

٥٦

مخنارات السرائيلية



ترجمات عبرية

- العرب في السياسة الإسرائيلية: إشكاليات الهوية
- التطبيع والتسوية: مؤتمران على ضفاف النيل
- سوريا/ إسرائيل: إتفاق على مبادئ التسوية

كتابات عربية

- طموحات الوسط العربي في المساواة داخل إسرائيل



رئيس مجلس الإدارة

ورئيس التحرير

إبراهيم نافع

مدير المركز

د. عبد المنعم سعيد

مدير التحرير

د. عماد جاد

المنسق

أيمن عبد الوهاب

المدير الفني

السيد عزمي

الإخراج الفني

حامد العويضي

وحدة الترجمة

أحمد الحملي

د. جمال الرفاعي

عادل مصطفى

محب شريف

محمد إسماعيل

منير محمود

مؤسسة الأهرام شارع الجلاء القاهرة

جمهورية مصر العربية

ت: ٥٧٨٦٣٠٠ / ٥٧٨٦١٠٠ / ٥٧٨٦٢٠٠

فاكس: ٥٧٨٦٠٢٣

مطابع الاهرام بكورنيش النيل

مجلة شهرية يصدرها مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية

السنة الثالثة - العدد السادس والخمسون - أغسطس ١٩٩٩

Printed in Egypt

مقدمة

دراسات:

- ١ - العرب في السياسة الإسرائيلية: إشكاليات الهوية..... كيس فيرو ٢
- ٢ - الأرض وسياسات التخطيط في إسرائيل.. المؤسسة العربية لحقوق الانسان ١٦

ترجمات عبرية

ملف العدد: ما بعد الانتخابات

- ١ - نصوص الاتفاقات الانتلافية..... هارتس ١٩
- ٢ - كلنا همجيون طالي ليفكين شاخاك ٢٣
- ٣ - آمال وتوقعات..... هارتس ٢٤
- ٤ - باراك أفضل لليهود..... دانييل بن سيمون ٢٤
- ٥ - الحكومة الجديدة وحقوق الإنسان..... جدعون ليفي ٢٦

[٢] عملية التسوية:

- ١ - الخطوط الحمراء للسلام..... ابراهيم تامير ٢٧
- ٢ - لم نكن في هذه الحرب..... أرييه كسبي ٢٨
- ٣ - أرض النسيان..... رافي مان ٣٠
- ٤ - اتفاقية واي..... دان مرجليت ٣٠
- ٥ - اتفاق مبادئ بين سوريا وإسرائيل..... عويد جرانوت ٣١
- ٦ - إلى أين تسير المفاوضات مع سوريا؟..... ألوف بن ٣٢
- ٧ - سوريا هي العنوان الحقيقي..... هاتسوفيه ٣٣
- ٨ - رحلة لإعادة الثقة..... هارتس ٣٤
- ٩ - اهمال العودة..... ميرون بنفينستي ٣٥
- ١٠ - مباركة مبارك..... تسيفي برئيل ٣٦
- ١١ - الفارق حسب مبارك..... عويد جرانوت ٣٦
- ١٢ - باراك طلب بإدرات طيبة..... موشيه ايشون ٣٨
- ١٣ - ازالة البؤر الاستيطانية..... هارتس ٣٩
- ١٤ - مكيدة أخرى..... داني روبنشتاين ٤٠
- ١٥ - مقياس السلام - يونيو..... افرايم يعر وتمر هيرمان ٤١

[٢] جدل التسوية والتطبيع

- ١ - هل تزداد حرارة العلاقات مع مصر؟..... ألوف بن ٤٣
- ٢ - منظر من فوق الجسر..... أوري افنيري ٤٤
- ٣ - الضربة الحادية عشرة..... ايتان هابر ٤٥
- ٤ - ثروة السلام فوق ضفاف النيل..... تسيفي برئيل ٤٦
- ٥ - لماذا تراجع وزير الخارجية عمرو موسى؟..... عويد جرانوت ٤٨

[٥] رؤية:

- ١ - بعد فوز باراك: طموحات الوسط العربي في المساواة داخل إسرائيل ٤٥
- ٢ - التعايش بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الدينية في الانتخابات الأخيرة ٤٩
- ٣ - التنشئة الاجتماعية في إسرائيل..... أمين اسكندر ٦١
- ٤ - صورة العربي في الأدب العبري..... دعاء الشريف ٦٦

استحقاقات التسوية ومتطلبات السلام

في زيارته الأولى لمصر، بعد تشكيله الائتلاف الحكومي، طلب رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك، مهلة من الوقت يرتب خلالها أوراقه التفاوضية، ثم يشرع بعدها في استئناف المفاوضات على المسارات الثلاثة المتبقية، أي الفلسطيني والسوري واللبناني. وبدأ واضحاً من خطوات باراك وتصريحاته المتتالية حول مكونات التسوية على المسارات المختلفة، أنه - أي باراك - مازال بعيداً عن دائرة التسوية الشاملة التي تقود إلى سلام حقيقي. فالملاحظ أن باراك تعمد إطلاق مجموعة من التصريحات المتناقضة ما بين الرغبة في استئناف المفاوضات على كافة المسارات، وأخرى تحدث فيها عما يمكن تسميته "شروط إسرائيلية" لا يمكن أن تقود إلى سلام، بقدر ما تؤدي إلى مجموعة من التسويات الجزئية التي تترك كافة المسارات في منطقة ما بين الصراع والسلام.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، تبدو محاولات "باراك" لإحداث نوع من التناقض بين المسارات الثلاثة، واضحة في تكثيف الرسائل الإعلامية المباشرة وغير المباشرة تجاه القيادة السورية، وذلك لأحداث نوع من التناقض بين المسارين السوري واللبناني، إضافة إلى إشاعة "جو من عدم الثقة" بين الأطراف العربية المعنية بهذه المفاوضات.

والمؤكد أن ما يقوم به "باراك" ليس خافياً على المتابعين للشأن الإسرائيلي ولمسيرة الصراع وجهود التسوية في المنطقة، وإذا وضعنا ذلك في إطار النسق الفكري لرئيس الوزراء الجديد والذي تجلى بوضوح في "الخطوط العامة للحكومة"، سوف نجد أن اهتمام باراك الرئيسى ينصب على إخراج الجيش الإسرائيلي من "الوحد" أي من الشريط الحدودي المحتل في الجنوب اللبناني، ولأنه يدرك واقع الارتباط "العملي" بين الشائين السوري واللبناني، فقد أقر بان الخروج من لبنان يبدأ عبر بوابة دمشق، وهذه البوابة لا يمكن طردها دون الإقرار بالحقوق السورية المشروعة في استعادة مرتفعات الجولان بالكامل، وانسحاب قوات الاحتلال إلى حدود ما قبل عدوان الخامس من يونيو ١٩٦٧. وفي هذا الإطار تتعدد الأفكار المطروحة حول ترتيبات أو ضمانات أمنية يمكن التوصل إلى اتفاقات بشأنها بناء على المفاوضات السابقة في عهد حكومة رابين، والتي شارك فيها باراك شخصياً عبر لقاءين مع رئيس الأركان السوري بالعاصمة الأمريكية واشنطن.

وتمثل هذه الصيغة أساساً سليماً للتسوية على المسارين السوري واللبناني، ولكن يبقى بعد ذلك المسار الفلسطيني والذي يتوقع أن يشهد مناورات ومراوغات من "باراك" على غرار ما قامت به حكومة نتنياهو، والجديد هنا أن "باراك" يراهن على فك الارتباط النهائي بين مسارات التفاوض المختلفة، وبين المسار الفلسطيني. ويمكن لباراك أن يحقق ما يسعى إليه من الناحية الشكلية، ولكن من الناحية الموضوعية ستظل مسيرة التسوية عاجزة عن بلورة أسس واضحة لسلام حقيقي، فالقضية الفلسطينية هي لب الصراع العربي - الإسرائيلي، كانت وستظل كذلك ودون التوصل إلى تسوية كاملة على هذا المسار، لا يمكن الحديث عن سلام شامل، فدفع استحقاقات التسوية على المسار الفلسطيني تمثل الشرط المسبق لتشكيل بيئة إقليمية جديدة يسودها الاستقرار وينمو خلالها السلام الحقيقي. وبالتالي يمكن القول أن انجاز اتفاقات للتسوية على المسارين السوري واللبناني يمثل خطوة متقدمة على طريقة التسوية، ولكن ما نود التأكيد عليه هنا، هو أن دفع استحقاقات التسوية على المسار الفلسطيني عبر تنفيذ قرارات الشرعية الدولية يمثل أول لبنة على طريق تدشين مصالح تاريخية في المنطقة سرعان ما تقود إلى سلام حقيقي، ودون ذلك ستظل المنطقة في منتصف الطريق ما بين الصراع والتسوية.

◆ دراسات ◆

من كتاب / العرب في السياسة الاسرائيلية : اشكاليات الهوية

دراسة ١

بقلم : كيس فيرو

هوية وانتماءات فرعية لدى الدروز في إسرائيل

ان عنوان الدراسة مأخوذ من متن ابحاث العلوم الاجتماعية التي تحاول النظر في الانتماءات الجماعية للمجموعات العرقية في وقت ومكان محددين . وما اقصده هنا هو محاولة دراسة العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أثرت على الصورة الذاتية للدروز كجماعة في دولة اسرائيل . تلك العوامل التي تركت اثرها على الدروز في الماضي وما زالت تؤثر عليهم في الحاضر ، وتأتي محاولتي لدراسة الهوية الدرزية في منظور تاريخي . ولم تكن كذلك . انها تتمتع بشكل محدد يتجدد ويتغير كنتيجة لسياسة الهيئة الحاكمة ، التي تمضي بشكل نمطي تقريبا للحيلولة دون تطور هوية جماعية مروراً بالهوية الانتقائية الطائفية التي ميزت طوائف دينية كثيرة مشابهة في الشرق الاوسط قبل ظهور دولة قومية حديثة .

والحفاظ على الهوية الطائفية الخاصة اتبعت المؤسسة الحاكمة ، منذ ١٩٤٨ ، سياسة حماية هويات فرعية ، مثل التضامن القبائلي والتكتلي ، الذي كان قائماً في المجتمع التقليدي . وأى تنظيم سياسى يتجاوز التكتلية القبلية ، يبدو في نظر المؤسسة الحاكمة عاملاً يمكن ان يؤدي الى تطوير هوية فوق - طائفية بين الدروز . وبهذا المفهوم انتهجت المؤسسة الحاكمة سياسة تسييس طائفي جنباً الى جنب مع سياسة تنفي كل ما يمكن ان يؤدي الى هوية فوق طائفية . هذا الادعاء يتأسس على بحث شامل ، ودراسة وافية لمادة ارشيفية ثرية في ارشيف الدولة وفي ارشيف جيش الدفاع ، وفي الارشيف الدرزي بجامعة حيفا ، ومادة ضخمة من الصحافة الدرزية والاسرائيلية ، بالاضافة الى كمية هائلة من المؤلفات التي تشرح التطور الاقتصادي والسياسي لاءبناء الطائفة الدرزية في اسرائيل .

ان الادعاء بشأن تسييس طائفي وعدم التسييس الذي يتجاوز الطائفة ، يطرح اسئلة اساسية امام باحثي العرقيات : هل الهوية الدرزية الطائفية والانتماءات القبلية

المحافظة هي نتاج علاقات اصيلة لا يمكن للمؤسسة الاسرائيلية تغييرها ؟ أم هل تستفيد المؤسسة - بالتعاون مع الزعامة الدرزية التقليدية - من تضامن وعزلة الطائفة الدرزية كأداة لتحقيق أهداف أخرى ، مثل منع التضامن الدرزي مع بقية العرب ، او للحفاظ على مصالح الزعامة الدرزية المرتبطة بالمؤسسة ؟

والمادة الارشيفية التي تعرض سلوك الزعامة الدرزية وموظفي الحكومة من الدروز ، تظهر ان الهوية الطائفية للدروز كانت وسيلة وأداة في ايدي المؤسسة الحاكمة وصفوة الشخصيات الدرزية . وهذه الذرائعية لم تبدأ من الصفر . فموظفو الحكومة وزعماء الطائفة استغلوا التميز العرقي للدروز لكي يحققوا مآربهم السياسية . غير انهم من خلال ذلك لم يحتفظوا فقط بهوية نقية كانت موجودة في الماضي التاريخي ، بل اضافوا اليها عناصر ثقافية جديدة ، او اخنوا من العناصر الثقافية للماضي واخترعوا قيماً تتوافق مع المتطلبات الجديدة لدولة اليهود .

بهذا المفهوم ، فان الفجوة بين النظرية الاصلية وتلك الذرائعية أو الحديثة مرتبطة بتفسيرات الباحثين المعنيين بالاعراق . وطبيعة التعامل مع المشكلة العرقية قد يؤدي الى تقليص الفجوة بين النظريتين حسب ما اورده ، أوري رام : "بعد ان يتفق المفسرون على ان الماضي هو بناء حاضر اختياري يمكن تأويله ، وبعد ما يتفق الحداثيون على ان الحاضر يجب ان يستند علي خلفية ثقافية من ماضي جماعي ، فربما تصبح الفجوة بين الاثنين صغيرة بالفعل " .

ولا يمكن استخلاص ، ان عملية اعادة تكون الهوية الدرزية قد تمت على ايدي السياسيين متخذي القرارات من الدروز واليهود فحسب . ففي هذه العملية تشترك ايضا عناصر كثيرة ، تعمل احيانا على تقوية أو اضعاف عمل متخذي القرارات . ولكي نميز تأثير هذه العناصر ، يمكن على سبيل المثال دراسة قانون الخدمة الالزامية في جيش الدفاع ،

وانعكاساته على منظومة التشغيل والتعليم ، وتشكيل الصورة الذاتية المتوافقة مع الطائفة ، والتي تبدو في نظر المؤسسة والمجتمع اليهودي "مشاركة في مصير الدولة" لقد جرى تطبيق التعبئة الإلزامية على الدروز في عام ١٩٥٦ ، كنتيجة لصفقة بين زعماء الطائفة وحكومة إسرائيل. ومنذ ذلك الحين وحتى الآن تطور اندماج الدروز في الاقتصاد الإسرائيلي حسب نموذج يختلف عن نموذج بقية العرب أو اليهود. فما يقرب من ٥٠٪ من قوة العمل بين الرجال الدروز مندمجون في قطاعات لا يتقبل اليهود العمل فيها، ولا يقبل العرب المسلمون بها. ما يقرب من ٤٠٪ من الرجال الدروز المنخرطين بسوق العمل يشتغلون في مجالات الدفاع والأمن المختلفة، وما يقرب من ١٠٪ يعملون في مصانع بتروكيماويات ، وفي الموانئ وشركات صيانة وكذلك في أماكن عمل لا يمكن قبول أبناء اقلية أخرى بها . ومثل هذا النوع من التشغيل يتطلب من الدرزي ان يتوافق مع عمله. وفي خضم عملية التوافق تلك يتبنى تصورا شخصيا يقوم على الاندماج في التصور الذي تريد الاغلبية اليهودية ان تراه في الدرزي .

ان الصورة التي تشكلت من خلال العناد بين الدرزي الذي ينتمي إلى جماعة الأقلية وبين اليهودي الذي ينتمي إلى جماعة الاغلبية الحاكمة، تبرز في تصريحات مسؤولين ، ووزراء وشخصيات عامة كثيرة منذ حقبة الخمسينيات ، وكذلك في الصحافة والاذاعة والتلفزيون، وسأحاول في المثال التالي ان أجسد صورة الدرزي كما أوجدتها وأقامت بنائها الاغلبية اليهودية . ففي عام ١٩٩٤ طلب مني رئيس تحرير مجلة "طبيعة الاشياء" - وهي مجلة دورية عبرية - ان أكتب مقالة عن الدروز وأن اختار واحد الصور المطلوبة للمقالة بناء على توجيهاتي. ويون مراجعات تصحيحية ، وجدت مقالتي تظهر تحت عنوان "تحالف الحياة وتحالف الدماء" ، وهو ما يخالف العنوان الذي وضعته . وكانت الصور التي اختارها المحرر تركز على الجندي الدرزي.

واضاف رئيس التحرير مقدمة من عنده ، تعرض الدروز في الشرق الاوسط ، كشعب يعيش منعزلا . انهم اقلية ، ظلت دائما اقلية ، شعب يحتفل باعياده حسب التاريخ المسيحي بينما التقويم السنوي السري له يبدأ بخلق العالم. انه شعب - طائفة - دين (...) والى جانب الاخطاء التاريخية التي اوردها رئيس التحرير ، فقد اضاف تأويلات لم تكن موجودة بالمقالة الاصلية. وفي اعتقادي انه اراد بذلك ان يقرب مقالتي من صورة الدرزي التي بنيت منذ عام ١٩٤٨ ، قد كانت المقالة بهذه الكيفية تطرح رؤي لم أكن مستعدا لكتابتها . وفي خطاب اعتذاره لي، اعترف رئيس التحرير بالتشويه الذي حدث لمقالتي ، مبررا ، بانه قصد "إنصاف طائفة مخلصه للدولة لم تحصل على حقوقها".

ان عبارات "شعب يعيش منعزلا" ، و"شعب - طائفة - دين" المنسوبة في المقالة للدروز ، لا تختلف عن وصف الشعب اليهودي ، كما يظهر في أكثر الكتابات الصهيونية . ووصف الدروز من قبل رئيس تحرير "طبيعة الاشياء" هو من قبيل

تصور مماثل لشعب وطائفة ودين اليهود . كما عبر عنه يتسحاق بن تسافى ، عندما كتب عن الدروز في الخمسينيات . ان الوصف التاريخي الذي اورده بن تسافى يميز غالبية التأريخ الاسرائيلي ، الذي يشيد ماضي الدروز وطبيعة علاقاتهم مع اليهود من خلال موائمة هذا الماضي بالحاضر. هذا التاريخ شدد على المزايا الانتقائية للدروز ، التي يجب الحفاظ عليها . وتكشف المادة الارشيفية التي جرى الإفصاح عنها ، ان النشاط الصهاينة ومنذ عام ١٩٢٠ أوصوا بتشجيع الانتقائية الدرزية ، لمنع أى تعاون درزي فلسطيني . وابان حقبة الخمسينيات طرح حاييم بلنك هذا السؤال : هل الدروز عرب ؟ وكانت اجابته :

كما يبدو ذلك (هذا السؤال) لا اجابة له، نظرا لان تعبير "العرب" بصورة متداعية يغطي مدلولات وافره (...) ومع ذلك ، من الناحية الثقافية، فالدروز ليسوا فقط "عرب" بل ، يبدو انهم ، "عرب بالمعنى الكامل للكلمة" .

ولكن وفق اعتقاد بلنك ، فإن النقاء الدرزي اقوى من أى هوية منافسة . ومفتاح التعرف على هذا النقاء هو الاستخدام الذي يمارسه الدروز لمبدأ "التقية" ، الذي يسمح لهم بان يكونوا مسيحيين مع المسيحيين ، ومسلمين مع المسلمين ، ويهودا مع اليهود . وبذلك ، يدعى بلنك ، ان الدروز يمكنهم التوائم مع الهوية الخاصة لاي نظام سياسي. من هنا يمكن - حسب اعتقاده - تفهم موقفهم تجاه اليهود .

وبعد عدة سنوات من كتابة هذه الكلمات ، دعى بلنك من قبل مستشار الشؤون العربية لكتابة مؤلفه الدروز ، الذي اصبح بمثابة مرجع لمسئولي الحكومة تتأسس عليه سياستهم تجاه الدروز . كما اصبحت "التقية" لدى جميع الباحثين الاسرائيليين تقريبا هي المبدأ الاصيل ، الذي بواسطته فقط يمكن فهم الدروز . وليس المقام هنا مناسبا للتدليل على هؤلاء الباحثين ، الذين يعتقدون ان مبدأ التقية ماهو الا نوع من "الانتهازية السياسية" الذي يميز الدروز .

ان الاستناد المبالغ فيه على مبدأ التقية ، سواء لدى متخذي ومنفذى السياسة أو لدى الباحثين الاسرائيليين ، يتجاهل كلية عناصر اجتماعية - اقتصادية وسياسية ساهمت في تشكيل هوية الدروز في دولة اسرائيل . واستخدام التقية لدى الاسرائيليين جعلها ، وبصورة متناقضة ، أداة ممتازة ليس للبحث في أمر الدروز ولكن لبحث منفذى السياسات والباحثين الاسرائيليين .

لقد كانت الاتصالات الاولى لنشطاء الحركة الصهيونية مع الدروز ، منذ عام ١٩٢٠ وخلال حقبة الثلاثينيات ، محدودة على عدد من الزعماء من عائلات ذات وضع أقل تواضعا من بين العائلات التي توجه المسار الدرزي . وفي عام ١٩٢٠ وقع معظم زعماء الدروز على البيان الذي يعلن ، ان موقف الطائفة الدرزية من النزاع اليهودي الفلسطيني هو موقف محايد . ومنذ قيام الدولة وحتى عام ١٩٥٤ ، على الاقل ، حاولت السلطات المعنية بالدروز ، مثل المستشار العام لشؤون العرب، وقادة "وحدة الاقلية" التي أنشئت عام

١٩٤٨ ، حاولت هذه السلطات ابعاد زعماء العائلات المترزمة مثل عائلة طريف ، وتصعيد زعامة هؤلاء الذين "تعاونوا مع الصهيونيين وكان لهم الفضل في ان ينجح النشاط الصهيونيين في اقامة علاقات مع الدروز وتجنيد طلائع الجنود الدروز بجيش الدفاع الاسرائيلي عام ١٩٤٨". وأدت هذه المحاولة الى انشقاق تكتلي بين الزعامة الدرزية وفي عام ١٩٥٦ ، عدلت الزعامة التقليدية خطها مع هؤلاء الذين اقاموا العلاقات الاولى مع الحركة الصهيونية . وعن طريق نخبة نشطة ومتورطة من العائلات الدرزية ، وهي النخبة التي تعمل وسط ابناء الطائفة السلبين - أو ، بمصطلح الباحثين ، وسط "غير النخب ، وهم السلبين غير المنظمين" - نجح واضعو السياسة من الاسرائيليين في بدء تطبيق قانون التجنيد الاجباري على ابناء الطائفة ، واتخاذ قرار بشكل منفرد ، عام ١٩٥٧ باستبدال القومية ببطاقة الهوية لكل درزي ، وبالاقرار في الوقت المناسب بالطائفة الدرزية كطائفة مستقلة ، لها محاكم خاصة بها وتنظيم سلطة روحانية مؤسسية .

ان فحص المادة الارشيفية المنسوبة الى تنظيم الطائفة في اعوام ١٩٥٧ - ١٩٦٤ يظهر ، ان انشاء محاكم ، ومؤسسات للطائفة ، واختيار مرشحين دروز للكنيست وتعيين موظفين في الهستدروت وفي جهات أخرى ، يأتي جميعه ارضاءً للنخبة الدرزية المتورطة والمشوشة . وقد تم طرد معلمين من وظائفهم لمنع ظهور طبقة تملك الاختيار من المتعلمين والمثقفين ، أما تنظيمات المثقفين المعترضين على سياسة الزعامة التقليدية فقد وصفوا من قبل المؤسسة بانهم "قوى سلبية" من المخربين في منظومة العلاقات بين الدروز والدولة . حتى المنظمات الدرزية الموالية للاسرائيليين ، مثل منظمة الرابطة الدرزية ، التي عملت في أعوام ١٩٦٧ - ١٩٧٢ من اجل المساواة ودمج الدروز ، تحظى بعلاقة سلبية من جانب مستشار الشؤون العربية ومن جانب عرب الحزب الحاكم آنذاك .

وفي فترة التغييرات الاقتصادية ، التي تميزت بانتقال التشغيل الى مجالات غير الزراعة ، وذلك بمصادرة الاراضي في اطار "قوانين وتنظيمات الاراضي" ، وبعدم تخصيص كميات مياه كافية لزراعات مربحة ، بقي اعتماد قوة العمل الدرزية ، ليس فقط في سوق العمل بل ايضا في الزعامة التقليدية .

واصبح تجنيد جنود مسرحين في الشرطة ، لخدمة السجون وفي حرس الحدود هو طريق الوسطاء والسماسرة بين الزعامة التقليدية ، وتعيين المتعلمين في النظام التعليمي او في مصالح حكومية اخرى اصبح ايضا هو طريق هؤلاء الوسطاء . والشباب المعترض على سياسة المؤسسة والزعامة التقليدية وصفوا بانهم "قوى سلبية" يتفقون في الرأي مع العرب . وقد نعتتهم وسائل الاعلام الاسرائيلية بالقوى السلبية التي لا تعبر عن الهوية العرقية الدرزية .

ولوقف صعود القوى السلبية بدأ المستعربون في مكاتب الحكومة وفي الحزب الحاكم التشاور لانشاء نظام تعليم

مستقل ، هدفه الاهتمام بالهوية الدرزية الاسرائيلية . وقد بدأت هذه الدعوة لانشاء نظام تعليم مستقل عام ١٩٤٨ ، وتحققت في نهاية الستينيات ، واصبحت مشكلة ملحة بعد ١٩٧٢ ، عندما اقتربت نسبة المقترعين لركاح بين الدروز ما يقرب من ٢٠٪ .

وفي نفس الوقت هدد احتجاج الدروز ضد مصادرة الاراضي وضد التجنيد في جيش الدفاع الاسرائيلي ، هدد بافشال سياسة عدم تسييس الشبان الدروز .

وقد تشكلت لجنتان للتحقيق في وضع الدروز عام ١٩٧٤ ، الاولى بمعرفة مستشار الشؤون العربية والثانية بمعرفة الكنيست . ومن بين توصيات عديدة اوصت بها اللجنتان تم تنفيذ توصية واحدة لاغير ، فصل التعليم الدرزي عن التعليم العربي . وفور بدء هذا الفصل بدأ متعلمون دروز ، بتوجيه من خبراء يهود ، اعداد برامج تعليم تأخذ بالاعتبار "هوية درزية اسرائيلية" . وهكذا تحول الرقص المترابط والخبر الفلسطيني ، ومعدات العمل الزراعية وغيرها ، تحول كل ذلك الى جزء من التراث الدرزي . ولكن بعد ان اتضح لبعض الدروز ان ايجاد مثل هذه الهوية يعد عملية رسمية حكومية ، بينما مساواة الحقوق في دولة اليهود تبدو بعيدة المنال ، تبنا بانفسهم هوية فوق طائفية ، تتشابه مع هوية الاقلية العربية الاسرائيلية وبعد ما يقرب من خمسين عاما منذ قيام دولة اسرائيل بات الدروز منقسمون على الأقل بين ثلاث هويات : هوية طائفية انتقائية ، هوية عربية فلسطينية ، وهوية عربية اسرائيلية .

المسيحيون في اسرائيل : بين الدين والسياسة بقلم : دفتا تسمحوني

صحيح ان هذا البحث يتعامل مع أزمات او اشكاليات الهوية في الوسط العربي . الا انه عندما يتعلق الامر بالمسيحيين ، فذلك يعني اشكالية مزدوجة ، اشكالية اقلية داخل اقلية . فالمسيحيون يشكلون اليوم حوالى ١٥٪ من اجمالي العرب في دولة اسرائيل - وهي اقلية لها وزنها ، اذا انها اكبر بكثير من الدروز . وفي الاحصاء السكاني الذي اجراه الانتداب البريطاني عام ١٩٣١ في ارض اسرائيل ، تحددت هوية الغالبية الساحقة من المسيحيين كفلسطينيين يتحدثون اللغة العربية . ومنذ بدأت موجة الهجرة من دول الكومنولث الجديد ، والتي اشتملت عددا لا بأس به من المسيحيين ، تشير بيانات الدائرة المركزية للاحصاء الى ظاهرة جديدة ولافتة للنظر ، وهي ازدياد عدد المسيحيين في اسرائيل كنتيجة لميزان هجرة ايجابي . وقد برزت لهذه الهجرة ، آثار هامة ، فبفضلها حدث ازدياد سنوي للسكان المسيحيين بنسبة تقترب من ١٠٪ تقريبا . وتمخض عن ذلك ان حوالى ٢٠٪ الى ٣٠٪ من المسيحيين في دولة اسرائيل ليسوا عربا . وعلى اية حال ، فأننى ساتعرض في هذه الدراسة للعرب المسيحيين فقط .

ان العرب المسيحيين يختلفون عن المسلمين والدروز في

دينهم أولا . وبخلاف الدين ، فانهم يشكلون جماعة مستقلة من الناحية الاجتماعية والثقافية ، وبدرجة ما من الناحية الاقتصادية ايضا . وفي هذا المجال فان المسيحيين اكثر قربا من اليهود عن المسلمين . وفي السنوات الاخيرة تلاشت الفروق في هذه المجالات بين المسيحيين والمسلمين ، وبخاصة في المدن وبين المثقفين . ولكن بين سكان القرى مازالت هذه الفروق قائمة . فمذ القرن التاسع عشر ، ويفضل نشاط الكنائس الغربية بينهم ، اصبح التعليم لدى المسيحيين غربيا اكثر وارتفعت النسبة في المتوسط عنها بين المسلمين ، وازداد بصورة اكبر مستوى التمدين ، وكذلك الازدهار الاقتصادي . ومع ذلك مازال هناك بين اوساط المسيحيين في دولة اسرائيل شعور الارتباط بالمجتمع المسلم المحيط بهم ، وهذا الشعور هو نتاج مئات من السنين عاشوها تحت الحكم الاسلامي . ولم يفلح العيش في دولة يهودية في محو هذا الشعور الراسخ .

وقد بدأ ظهور المسيحيين في النشاط السياسي بالمجتمع الفلسطيني مع نمو الحركة القومية العربية الفلسطينية في بداية فترة الانتداب البريطاني على ارض اسرائيل . ولعب المسيحيون دورا بارزا باعتبارهم متحدثين باسم الحركة بصورة خاصة ، وكهمزة اتصال بينها وبين سلطة الانتداب البريطانية ، وكممثلي المشكلة العربية الفلسطينية امام المجتمع الغربي . وبدرجة معينة يلعب المسيحيون دورا مشابها ايضا اليوم ، وخاصة داخل سلطة الحكم الذاتي الفلسطينية .

من خلال نشاطهم في الحركة القومية الفلسطينية في مراحلها الاولى ، طمحوا الى اقامة مجتمع علماني ، يمكنهم ان يكونوا متساوين فيه . غير ان زيف هذا الامل اتضح سريعا ، في ظل توثق العلاقات بين مؤسسات الحركة القومية الفلسطينية وبين المؤسسات الاسلامية . ولم تؤد خيبة الامل تلك الى انسحاب المسيحيين من الحركة . ورغم ابعادهم الى هامشها ، فقد استمروا في الاتفاق مع اهداف وغايات الحركة القومية الفلسطينية فيما يتعلق بصراعها مع الصهيونية ، مع التحفظ والخوف تجاه علاقات الحركة بمؤسسات اسلامية ، والتخبط بالنسبة للحدود والاشكاليات المرتبطة بهويتهم المسيحية .

لقد أعادت حرب ١٩٤٨ وانشاء دولة اسرائيل المسيحيين الى بؤرة العمل السياسي . وزادت نسبتهم بين السكان العرب من ١٠٪ في فترة الانتداب الى ٢١٪ من اجمالي العرب الذين ظلوا داخل حدود دولة اسرائيل عام ١٩٤٩ - وهي زيادة كبيرة بون شك . اضيف الى ذلك ، مع غياب النخبة الاسلامية الحضرية اثناء الحرب ظهر فراغ قيادي - اجتماعي ، وقد ملأ المسيحيون هذا الفراغ . وهكذا ، منذ الخمسينيات وحتى منتصف السبعينيات برز المسيحيون على المستوى السياسي بما يتجاوز بكثير وزنهم بين السكان العرب . وقد جرى نشاطهم بين ثلاثة اتجاهات ١ - العمل في اطار الاحزاب المصاحبة للاحزاب الصهيونية ، وخاصة ما باي - المعراخ ، عندما كان اسلوب تعيين المرشحين

العرب يقوم بصفة عامة على معايير طائفية ، في اطار الاحزاب العربية التابعة للحزب .

٢ - العمل في الحزب الشيوعي في اطواره المختلفة .

٣ - محاولات لانشاء منظمات مسيحية مستقلة - اتجاه لم يستمر طويلا .

في هذا السياق لا استطيع التوسع في الحديث عن التدخل السياسي للمسيحيين في الخمسينيات والستينيات . أذكر فقط ، انه في تلك السنوات كان المسيحيون يشكلون حوالي نصف اعضاء الكنيست العرب . نقطة هامة أخرى هي ، انه في كل مسار لنشاطهم السياسي منذ الخمسينيات وحتى اليوم لم يعمل المسيحيون فقط كممثلين لانفسهم لا غير أو من أجل المسيحيين فحسب ، لقد عملوا دائما من أجل كافة مواطني اسرائيل العرب . ويتجلى هذا الأثر في نشاط المطران مكسيموس حكيم رئيس الطائفة اليونانية الكاثوليكية في اسرائيل . فرغم انه كان قبل كل شيء رجل دين ، تاق المطران حكيم الى زعامة تتجاوز الطائفة الدينية ، وسعى الى لقب مقاتل من اجل حقوق العرب جميعا في دولة اسرائيل ، سواء في قضية مصادرة الاراضي أو القضايا الأخرى . وبسبب فشل مبادراته لاقامة تمثيل مسيحي مستقل ، توصل المطران حكيم الى اتفاق مع ما باي ، في اواخر الخمسينيات ، وضع الحزب بمقتضاه احد كبار شخصيات الطائفة اليونانية الكاثوليكية في ترتيب متقدم بقائمة هذا الحزب .

وعندما ألغيت القوائم العربية المصاحبة للاحزاب الصهيونية ، خلال السبعينيات ، انتهى ايضا التمثيل الطائفي في اطار ما باي - المعراخ ، وتقلص عدد اعضاء الكنيست المسيحيين . وجرى محاولة أخرى للترشيح للكنيست على اساس مستقل في انتخابات الكنيست العاشر عام عام ١٩٨١ ، قام بها حنا حداد ، وهو يوناني كاثوليكي من طورعان - ضابط كبير على الاستبداد بالشرطة - وكان يحظى باحترام كبير في المجتمع العربي واليهودي على السواء . وتوجهت القائمة التي شكلها بالاساس ، الى اصوات العرب المسيحيين ، ونجحت في تعبئة ١٠٪ فقط من الاصوات العربية ، وبالتالي لم تحقق النسبة المطلوبة .

ابرز النشاطات السياسية للمسيحيين في اسرائيل ما جرى في اطار الحزب الشيوعي باطواره المختلفة . وقد عمل المسيحيون كالمسلمين في اطار الحزب باعتبارهم عربا ، دون أي تميز لدين أو لطائفة دينية . غير ان طابع الحياة الاجتماعية في الشرق الاوسط لم يسمح بالغاء الميل الطائفي - الديني - رغم رغبة أو تصريحات الفرد . فهوية الشيوعيين المسيحيين وعلاقاتهم الاجتماعية مع ابناء طائفتهم لم تنقطع .

لقد برزت أنشطة المسيحيين في الحزب الشيوعي حتى في فترة الانتداب ، فقد كانوا في معظمهم ، وليسوا بالصدفة ، عرب من ابناء البطريكية اليونانية الاثوذكسية بالقدس . لقد بهرتهم الايديولوجية الشيوعية التي تلوح بالعلمانية

وتنفى أى ميل الى الدين . وينبع تطلعهم لهوية علمانية بدرجة كبيرة من الصراع المتواصل لرجال الكنيسة الاثوذكسية من العرب لابعاد رؤساء البطريركية اليونانية وتحويلها الى كنيسة عربية قومية ، وقد بدأ قبل نمو الحركة القومية العربية الفلسطينية ، بيد أنه لم يحقق اهدافه حتى اليوم . وقد دفع الاحباط من فشل الصراع - لا كثيرين من ابناء الطائفة الى البحث عن هوية عربية علمانية تتجاوز الهوية الطائفية .

بعد قيام الدولة بوقت قصير تم تنظيم الحزب الشيوعى من جديد كحزب يهودى - عربى ، والى حد كبير ملاً هذا الحزب الفراغ الذى بقى فى الحياة السياسية للمجتمع العربى بعد زهاب الزعامة التقليدية التى كانت فى معظمها مسلمة حتى حرب ١٩٤٨ . وفى سنوات الخمسينيات والستينات كان الحزب الشيوعى هو الوحيد فى اسرائيل الذى عبر عن التطلعات القومية للعرب فى الدولة ، والذى كافح للدفاع عن حقوقهم . وكان ايضا هو الحزب الوحيد الذى ضم تمثيلاً جيداً للعرب بجانب اليهود . وفى هذه السنوات برز المسيحيون فى الحزب ، سواء فى زعامته أو بين ناخبيه . وكان كل من توفيق طوبى (ارثوذكسى) واميل حبيبى (انجيلى - انجليكانى) عضوين بالكنيسة من قبل الحزب منذ تأسيس الكنيسة وحتى السبعينيات (جيبى) واخرى الثمانينات (طوبى) .

وفى الخمسينيات اعتبرت المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة الحزب الشيوعى كحزب متطرف يتآمر ضد كيان الدولة . ذلك رغم حقيقة ان الشيوعيين العرب كانوا الجماعة السياسية الوحيدة فى ارض اسرائيل وفى الدول العربية التى اعترفت بقرار التقسيم الصادر من الامم المتحدة وبحق اقامة دولة يهودية . وهكذا اعتبرت المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة المسيحيين فى طابور المتطرفين فيما يتصل بعلاقتهم بدولة اسرائيل اكثر من بقية المجتمع العربى . وتغيرت الصورة واستمرت بالتغير منذ السبعينيات . وتحول المسيحيون ليصبحوا العنصر المعتدل فى المجتمع العربى ، واصبحت المواقف الاكثر تشدداً تأتى من منظمات اسلامية اصولية . وفى نفس الوقت حدث انحسار للمسيحيين فى المجال السياسى وفى مجالات اخرى ، كنتيجة لتطورات سكانية ، وبخاصة التراجع فى نسبتهم بين السكان العرب وظهور جيل من الشباب المسلمين المثقفين .

وقد بدأ انخفاض تدريجى لمكانتهم فى الحزب الشيوعى ابتداءً من سنوات السبعينيات ، وارتبطت المسيرة بتبادل الاجيال وتحوله الى حزب الجماهير . هذه العملية كان معناها ايضا انتقال مركز الثقل للحزب من المسيحيين الى المسلمين ، وابتداءً ذلك فى المراتب المتدنية ثم تصاعد بعدها الى طريق الزعامة . وحدثت تغييرات مشابهة إنتقل النشاط الى المسلمين ايضا فى احزاب اخرى وفى هيئات مختلفة تعمل فى الوسط العربى ، مثل الهستدروت .

وقد برز المسيحيون خلال السبعينيات بانشاء منظمات عربية فى العموم تمثلهم فى مجالات مختلفة فى دولة اسرائيل ،

مثل منظمة رؤساء المجالس العربية ، لكن بروزهم هذا أخذ فى التقلص منذ الثمانينيات وماتلاها . وقد ارتبطت هذه العملية بون شك بتدنى ثقلهم الديموجرافى فى الوسط العربى .

وبينما كان انحسار التأثير فى المجال السياسى عملية طبيعية كان من المقرر ان تحدث على ايه حال ، فاننا نشهد منذ الثمانينيات تطورا اخر ، اكثر تشدداً : إنهيار الامن الشخصى للمسيحيين فى دولة اسرائيل ، كنتيجة لتطورات محلية ودولية فى آن واحد . ويمكن الاشارة الى ثلاثة تطورات رئيسية تركت اثرها فى هذا الاتجاه : (أ) نمو الحركة الاسلامية فى اسرائيل (ب) تدهور التوازن الطائفى بين الاقلية العربية فى اسرائيل (ج) تفتت الاتحاد السوفيتى واندحار الشيوعية . وسيتركز نقاشنا فيما يلى على التعامل مع التطور الاول .

كان العامل الرئيسى الذى يثير مخاوف المسيحيين هو صعود الحركة الاسلامية فى اسرائيل . ان التصريحات الرسمية للحركة فى اسرائيل صيغت بحذر شديد وتحدثت عن المشاركة فى المصير بين المسيحيين والمسلمين فى اسرائيل . وتؤكد التصريحات على الاخوة مع اخواننا المسيحيين وتتحدث عن التعاون معهم فى النضال القومى المشترك . ومع ذلك ، لم يقم أى نقاش أو حوار علنى بشأن وضع المسيحيين فى نفس الكيان الذى يتوق الجميع الى قيامه ، والذى سيحكم فيه الاسلام . ولكن لا يشك رجل واحد ، مسيحى أو مسلم ، فى وضع المسيحيين فى مجتمع تحدد فيه الاحكام الاسلامية معايير المجتمع والسلطة ، ووضع المسيحيين باعتبارهم - زمين - رعايا . زد على ذلك ، فى اعقاب تزايد قوة الحركة فى السنوات الاخيرة ، والى جانب التصريحات الرسمية الرصينة للحركة الاسلامية فى اسرائيل ، يمكن ان نميز التعامل مع المسيحيين ايضا فى بيانات وتصريحات المساجد ، وايضا حملات هجوم كلامية تستهدفهم .

مثال ذلك ، هو ما نشره عكرمة الفايد فى الصحيفة الناطقة باسم الحركة الاسلامية "صوت الحق والحرية" فى ١٤ فبراير ١٩٩٢ تحت عنوان "عطا الله منصور والماريجوانا الطائفية" . والمقال جاء ضمن حملة تشهير شخصية ضد الصحفى المسيحى العربى المخضرم عطا الله منصور ، فى اعقاب عدة كتابات نشرها منصور فى الصحافة العبرية والعربية (خاصة فى الصنارة ٧ فبراير ١٩٩١ ، وفى عال هامشمار فى ١٠ فبراير ١٩٩٢) وانتقد فيها حقيقة الاطار الاخلاقى لبعض نشطاء سياسيين مسلمين فى الوسط العربى . وقد اتهم منصور بترويج اكاذيب ، تستهدف تشويه الاسلام والاصوليين الاسلاميين والنيل من مكانة سيدات مسلمات . واتهم المقال منصور بالعنصرية وبمحاولة "اثارة نزاعات طائفية فى الوسط العربى" . ودعا رئيس تحرير "الصنارة" الى إقالة منصور ، لانه حول الصحيفة الى "منبر للاثارة والعنصرية" ، ودعا الزعماء الدينيين المسيحيين الى كبح جماحه ، لانه لا يضر فقط بالمسلمين بل بالمسيحيين

ايضا .

وبعد ان رفضت هيئة تحرير الصحيفة الاعتذار ، تقدم منصور بدعوى قذف قضائية ومدنية ضد صحيفة صوت الحق والحرية وكتابتها . وقد ألزم قاضي محكمة السلام بالناصره ، جبال جريل ، الذي عرضت عليه الدعوى ، ألزم الصحيفة في ٢٢ يونيو ١٩٩٢ بنشر صيغة اعتذار ، تتراجع فيه عن كل الاتهامات الموجهة ضد منصور وان تعتذر عن هجومها عليه . وقد تم نشر هذا الاعتذار بالفعل . وفي مذكرة القاضي الغيت الدعوى الجنائية وانتهت القضية في ٤ نوفمبر ١٩٩٢ ، بالحكم الذي ألزم المدعى عليهم بدفع تعويض مالي لمنصور بقيمة ٢٤,٠٠٠ شيكل ، بالإضافة الي اتعاب المحامي (محكمة السلام بالناصره ، تل أبيب ٩٢ / ١٦٧٩ ، حكم القاضي جبال جريل) .

ان دولة اسرائيل هي دولة قانون ، لكن ليس كثيرون من المسيحيين مثل منصور ممن يتوجهون للقضاء كرد فعل على حملات التشهير ضدهم . فالكثير من المسيحيين يخشون من الضرر الذي سيلحق بهم خاصة في واقع دولة اسرائيل . انهم يشيرون الى حقيقة انه في اسرائيل التي هي دولة ديموقراطية وفيها حرية تعبير ، لا تسجن السلطة الأشخاص نتيجة نشر افتراءات مسلمين ضد مسيحيين ، كما يفعلون في الاردن وفي مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني مثلا .

ان حملات الهجوم اللفظية على المسيحيين تجد احيانا منفذا للتعبير ليس فقط في الصحافة بل في دعايات المساجد وفي منشورات الحركة الاسلامية الموجهة للجمهور الاسلامي . وقد اثار بيان تم توزيعه عشية عيد الاضحى في خريف ١٩٩٦ في أم الفحم ، اثار الفتنة ضد السلوك الضال للشباب " الذين يقلدون الكفار اليهود والمسيحيين " . ووصل البيان أو المنشور الى الناصرة واثار هناك ردود فعل غاضبة في اوساط بعض المسيحيين ، الذين وجنوا منفذا للتعبير في مقالات مقابلة في الصحف العربية المحلية - كل العرب والصنارة - التي يعمل بها جزء كبير منهم . وفي ردودهم على هذا المنشور ، كما في مناسبات اخرى ، شدد المسيحيون على عروبتهم ومساهمتهم في الثقافة والقومية العربية ، وأدانوا الهجوم عليهم بسبب كونهم غير مسلمين . وقد انضم الى ردود الفعل المضادة تلك ، مسلمون مثقفون ايضا .

وبصفة عامة ، فان ردود فعل المسيحيين صيغت باعتدال وخاطبت العقل مباشرة ، وليس في مقدروها ان توقف حملات هجوم الحركة الاسلامية عليهم . ان كون المسيحيين مطالبين مرارا وتكرارا باثبات عروبتهم يدفعهم الى موقف الدفاع عن انفسهم . وهم مطالبون بوحدة الصف في كفاح العرب مع دولة اسرائيل من اجل مساواة كاملة ، وهوية قومية معترف بها وحكم ذاتي قومي . وعلى الرغم من دورهم البارز في هذا الصراع فان عليهم ان يتمالكوا انفسهم تجاه حملات هجوم المسلمين الاصوليين . ولان ظهور الاقلية العربية في اسرائيل كمجتمع تعددي ، يضم بين طياته كل انواع الطوائف

والاديان ، فانه يعتبر طائفا جديرا بأي ادانة ويعد مخربا للصراع القومي . هذا الواقع يدفع كثيرا من المسيحيين الى التفكير ، بانه من الافضل عدم طرح اشكالية هويتهم العربية المسيحية وعلاقتهم بالمسلمين ، اذ ان طرح مثل هذه القضايا للنقاش سيؤدي الى تفاقم العلاقات بين المسيحيين والمسلمين ، ولن تكون هناك أية فائدة ترجى من مثل هذا النقاش .

(المحور الثاني) الدين كعنصر في الهوية الجماعية

الحالة التالية تؤيد كلامي . ففي شهر يونيو ١٩٩٦ اجري دكتور عربي مسيحي من الرملة استطلاعا للرأي بين تلاميذ الثانوي المسيحيين في الناصرة ، في إطار بحثه لدرجة الدكتوراه في علم النفس الذي كان يعده لجامعة بريطانية ، كان موضوعه يدور حول مكونات هوية المسيحيين في اسرائيل . وكانت استمارة الاستطلاع مستقاه من نموذج استمارات وعينات اجتماعية ونفسانية معمول بها في الغرب ، وتم تجربتها ايضا في الشرق الاوسط ، بما في ذلك مصر والسعودية . وقد جرى توزيع هذه الاستمارة بين تلاميذ مدارس ثانوية عربية مسيحية في الرملة وحيفا ، بدون اي معوقات . غير ان اجراء الاستطلاع في المدارس المعمدانية في الناصرة اثار موجه هجوم حادة وشاملة من جانب مسيحيين ومسلمين على السواء ، ووصلت اصداها الى الصحافة العربية وكذلك الى محطات اذاعة صوت اسرائيل باللغة العربية . وكانت احدي الشخصيات المسيحية قد ردت على حملات الحركة الاسلامية بمقالات حادة في الصحافة العربية ، حيث نشرت هذه الشخصية مقالا يدين اجراء استطلاع الرأي ، " أنه ينتشر سموم العنصرية ويحلم بزرع الفرقة بين العربي المسلم والعربي المسيحي " . وقد هاجم كاتب المقال بالأخص " المسئولين عن المدرسة " ، الذين سمحوا بتوزيع استمارة الاستطلاع (فرج سلمان - صحيفة كل العرب ٢٨ / ٦ / ١٩٩٦) .

في هذا الجو المشحون تحول نزاع حول الاراضي في الناصرة ، عقب انشاء مسجد فوق موقع اسلامي جليل ، الى نزاع يهدد العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في المدينة . فقد اقيم المسجد بدون تصريح منذ فترة رئيس المدينة الراحل توفيق زياد - علي احدي الربوات المطلة علي مدينة الناصرة بالقرب من دير ، وحصل علي تصريح بناء بعد انتهاء العمل . وقد إدعى اعضاء الحركة الاسلامية مؤخرا ملكية منطقة قريبة من المسجد تقدر مساحتها بـ ٢١٢ دونم ، تعتبر من وجهة نظرهم وقفا اسلاميا ، بينما تقول بلدية الناصرة ، ان هذه المنطقة تنضوي تحت ملكيتها . وكان هذا الجدل حريا به ان يكون جدلا عاديا بين مجموعة مواطنين وبلدية ، لكنه تحول الى نزاع ذي شعارات دينية - طائفية (انظر مثالا ما كتب في الصحيفة المتحدثة بلسان الحركة الاسلامية "صوت الحق والحرية" في ٢٢ نوفمبر ١٩٩٦) . وكان خوف المسيحيين هو مما تراه لهم كهدف الحركة الاسلامية - اختراق مدينة الناصرة ومحيطها

التقليدي المسيحي، بعد ان فقدت ميزة الاغلبية المسيحية . كما وان الناصرة هي المدينة العربية الاكبر في اسرائيل ، وتشكل بؤرة النشاط الوطني للعرب في الدولة .

رد فعل آخر على نشاط الاصوليين الاسلاميين تمثل في محاولة انشاء تنظيم مسيحي مستقل في الناصرة . وقد حدثت محاولات اقامة مثل هذا التنظيم في فترة الانتداب خلال الخمسينيات ، وكانت تعتبر شرعية ، وان لم يكن لها اي تمثيل مسيحي مستقل في الكنيسة . ويشير استئناف هذه المحاولة في السنوات الاخيرة رد فعل معاد للغاية . وهناك مسيحيون في اسرائيل يعتقدون ان التلويح براهية العروبة العلمانية واقصاء الطائفة من جانب المسيحيين قد عادت اليهم كما تترد القذيفة الى راميها في نهاية الامر . واليوم يشهد ساعد الدين كاطار تنظيمي توحيدى بالنسبة للمسلمين ، بينما ليس لدى المسيحيين بالمقابل أى قاعدة مشابهة للالتكاء عليها .

هناك مشكلة أخرى ، تسببت في تقويض الامن الشخصي للمسيحيين هي اختلال ميزان القوى التقليدي بينهم وبين الدروز . فالعلاقات بين الطائفتين تحمل طابع حياة الجوار الطيبة عبر مئات السنين في قرى مشتركة ومشاعر المصير المشترك بالعيش في مناطق ذاتية الحكم في جبال لبنان ، وجنبا الى جنب مع الدين الاسلامي ، ولكن ليس تحت حكمه المباشر . وقد تأسست قرى مختلطة كثيرة في الجليل جمعت بين المسيحيين والدروز ، بفضل سياسيين من ابناء الطائفتين منذ الحرب الاهلية عام ١٨٦٩ . انهم مازالوا يحافظون على عرف العيش سويا في تعاون ، شابه احيانا تدهور الى حد النزاعات الدامية ، التي تحركها عناصر خارجية . ان العلاقات بين الطائفتين في اسرائيل هي بصفة عامة جيدة ، ولكنها تتعرض لبعض المنغصات في ظل حروب اسرائيل ، وخاصة عند تورطها في الصراعات الطائفية في لبنان . وهناك عامل هامة في الاحتكاكات بين الطرفين - المسيحيين والدروز - يتمثل في حقيقة ان الدروز كطائفة يخدمون في جيش الدفاع الاسرائيلي ، بينما المسيحيون لا .

كانت ذروة هذه الاحتكاكات ما حدث من وقائع دامية في قرية ياسيف عام ١٩٨١ . تطورت هذه الاحداث نتيجة نزاع محلي - شخصي ، وانتهت بهجوم دروز على مسيحيين بقرية ياسيف ، والتعرض لأناس ابرياء لم تكن لهم اية صلة بالنزاع ، وشمل ذلك سرقة واصابات وقتل . وكان الهجوم بمثابة صدمة عميقة بين المسيحيين ، ليس فقط في قرية ياسيف بل في الجليل كله ، بسبب مداها وبسبب حقيقة انه في اثناء الاحداث استخدم سلاح من جيش الدفاع الاسرائيلي . اضيف الى ذلك ان الشرطة لم تستطع ضبط المتهمين بالهجوم بعد وقوعه ، والذين كان يجب محاكمتهم . وأدت هذه الاحداث بمسيحيين كثيرين الى الشعور بانهم يستحقون حماية النظام الحاكم في دولة اسرائيل ، التي بانوا في حاجة اليها كقلية .

ومن نواح كثيرة شكلت الحرب الاهلية في لبنان منعطفا للمسيحيين في اسرائيل ، فقد تمزقوا بين شعور الاتفاق مع

الحكم الذاتي المسيحي الوحيد في الشرق الاوسط وبين توافقهم مع معاناة اخوانهم الفلسطينيين في لبنان ، وبخاصة بالنسبة لحقيقة ، ان اللبنانيين لم يتعاملوا مع المسيحيين الفلسطينيين بطريقة مختلفة تماما عن طريقتهم مع المسلمين الفلسطينيين . وقد أدى هذا الأمر الى شعور فظيع بفشل الدولة الوحيدة في الشرق الاوسط التي كان المسيحيون فيها ضمن النخبة الحاكمة .

ان تفكك الاتحاد السوفيتي وانقشاع الشيوعية اطاح بأمل المسيحيين ، وخاصة لدى العرب الأرثوذكس ، في خلق مجتمع مؤسس على ايدولوجيا علمانية ، وتقوض ما كان يبدو كسند لهم من جانب الاتحاد السوفيتي . كل هذا دعم وقوى بين المسيحيين في اسرائيل الشعور بالارتباط بالمجتمع المسلم المحيط بهم .

محصلة كل هذه التطورات في صناديق تصويت المسيحيين في انتخابات الكنيسة . ويمكن ان نميز صندوقين رئيسيين للتصويت : تصويت طائفي محلي وهو يمر بمرحلة تدهور ، وتصويت شامل الايديولوجية والقومية في عموم البلاد ، والذي يعد المسيحيون في طليعته . وصندوق التصويت الطائفي مرتبط بسياسة تعبئة الاصوات العربية لصالح الاحزاب الصهيونية وعلى رأسها ماباي في حقب الخمسينيات والستينيات . أما انهيار التمثيل الطائفي المسيحي في السبعينيات فمن اسبابه الضعف القاعدي للطوائف المسيحية ، وتبعثرها بين السكان المسلمين وارتباطها بهم . بالمقابل ازداد اتجاه التمثيل العام القومي . ان الخط المتواصل - رغم معطيات الدائرة المركزية للأحصاء - هو التصويت للاحزاب الشيوعية باطوارها المختلفة ، وكذلك للاحزاب اليسار . وقد تأكد هذا المسعى في انتخابات ١٩٩٦ للكنيسة الـ ١٤ ، عندما حصلت حداث وبلد (الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة - والتحالف القومي الديموقراطي) على ٤٨٪ من الاصوات في القرى ذات الاغلبية المسيحية ، مثل قرية ياسيف ، معيلاي ، بسوته ، رامه ، جوش ، وعلفون . بالمقابل ، كان نصيب دعم (القائمة العربية الموحدة) بزعامه دهامشة ودراوشة ، والتي تقوم قاعدتها في الثلث وفيها تمثيل للجناح المعتدل بالحركة الاسلامية ، كان نصيبها اصوات معبودة فقط في تلك القرى . واصاب المعراج انخفاض ملحوظا في هذه التجمعات السكنية - من ٢٢٪ الى ٢٢٪ . وكانت نسبة التصويت للاحزاب الدينية والاحزاب اليمين الصهيونية منعدمة . وكان من ابرز محصلات هذه النتائج الانتخابية الصعود الملحوظ لمرتس في القرى التي تتمتع بأغلبية مسيحية - اذ حصل على ١٦,٢١٪ مقابل ١١٪ في انتخابات ١٩٩٢ . انها نسبة تتعدى بنسبة ١٠,٥٪ الاصوات التي حصلت عليها ميرتس في الوسط العربي كله ، والجدير بالذكر أن نسبة التصويت لمرتس في الوسط العربي كانت ايضا اكثر بكثير مما حصلت عليه في اوساط المجتمع اليهودي ، اذ حصلت ميرتس هناك على ٨٪ فقط من اجمالي الاصوات . ان اتجاه التصويت لحزب صهيوني يفند تصور المسيحيين

في إسرائيل كقوميين متشددين بين العرب، حسب ما اعتقدته المؤسسة اليهودية في الخسمينيات والسنتينيات . ويمكن التدليل على عدة عوامل أدت الى هذا التصاعد في اتجاه التصويت لمصلحة ميرتس في قرى ذات اقلية مسيحية :

(أ) حقيقة ان مشاركة ميرتس في الحكومة فتحت لكثير من العرب الباب لمهام ومناصب عامة لم تكن متاحة اما مهم قبل ذلك ، خاصة بالنسبة للمتعلمين من بينهم .

(ب) الخدمات التي حاول وزراء ميرتس بالحكومة السابقة تطويرها في التجمعات السكنية العربية، وبخاصة في مجال التعليم .

(ج) حقيقة ان ميرتس هي الحركة التي تحمل لواء العلمانية. ان النسبة المرتفعة نسبيا في التصويت لميرتس تكشف الى حد كبير عن التطلع الذي سعى اليه النشاط السياسي للمسيحيين منذ بداية فترة الانتداب . الا وهو تحقيق المساواة في مجتمع لا يحتل فيه الدين المكانة العليا .

ويعبر تمثيل المسيحيين بالكنيست ايضا عن التطورات التي سبق واستعرضتها . فبعد ان كان نصف أعضاء الكنيست العرب من المسيحيين في الخسمينيات والسنتينيات - وهو اكثر للغاية من ثقلهم السكاني - بدأ في السبعينيات انخفاض تدريجي في عدد أعضاء الكنيست المسيحيين . وفي انتخابات الكنيست الـ ١١ والـ ١٢ (١٩٨٤ و ١٩٨٨) انتخب مسيحي واحد للكنيست - هو توفيق طوبى من حداث ، الذي لم يعتبر نفسه ممثلا مسيحيا بل كممثل للحزب الشيعي . وفي انتخابات الكنيست الـ ١٢ لم ينتخب اى مسيحيين على الاطلاق . وفي منتصف الدورة البرلمانية أدخل الى الكنيست مسيحيان : صالح سليم من حداث ورئيس مجلس محلي أعفيلين وذلك بعد وفاة توفيق زيادة في حادث طريق عام ١٩٩٤ ، وحنا حداد من العمل ، في أعقاب استقالة افراهام يورج من الكنيست بعد تعيينه رئيسا لإدارة الوكالة اليهودية عام ١٩٩٥ . وذلك بالطبع بعد ان كان حداد قد فشل في تنظيم قائمة مستقلة موجهة الى المجتمع المسيحي .

في الانتخابات التي جرت عام ١٩٩٦ للكنيست الـ ١٤ انتخب مسيحيان من قبل كتلة حداث - بلد : صالح سليم ، الذي كان عضوا بالكنيست الـ ١٢ وعزى بشارة المحاضر بجامعة بيرزيت . وجدير ان نذكر المرشحة المسيحية من قبل المعراخ ، نادية حيلو ، التي جاء ترتيبها في مرتبة متقدمة بقائمة الحزب لانتخابات الكنيست . ورغم ان حيلو لم تنجح في التأهل للكنيست فقد حفر لها تاريخا ، اذا انها المرأة العربية الاولى التي تنافست في انتخابات الكنيست الـ ١٤ في حزب العمل دون معيار طائفي ، بل بناء على معيار مساواة مكانة المرأة ذات الكفاءة بالرجل . لقد نجحت في الوصول الى ترتيب متقدم في حزب صهيوني ، بأصوات لم يكن بينها مسيحيون ولا عرب ، بل بأصوات يهود .

ورغم ان عزى بشارة لم يبرز هويته الطائفية المسيحية ، فان الاغلبية المسلمة لم تتسها . وبعد نجاحه في الانتخابات

خرج بشارة بسابقة جديدة : تقدم بالترشيح كعربي في انتخابات رئاسة الحكومة - وحسب اقواله ، فانه عمل تكتيكي من شأنه ان يؤدي الى جولة انتخابات ثانية ، اكثر منه خطوة فعلية (في مقابلة معه بجريدة هآرتس ٣٠ - ١ - ١٩٩٧) واثارت هذه الخطوة رد فعل عنيف وحاد في المجتمع العربي وفي اللجنة القطرية لرؤساء المجالس المحلية العربية ، المعنيين بدعم ورعاية الشؤون اليومية في الوسط العربي اكثر من الخطوات الاستعراضية . واعتبروا مبادرة بشارة بمثابة عرض جاء في غير أوانه ، ويتحدى بون ضرورة، قطاع من المجتمع اليهودي، وبذلك يسئ علاقتهم بالقطاع العربي .

والحقيقة ان معارضة ما أعلنه بشارة صيغت بمصطلحات طائفية ، ففي ادانته لبشارة ، اوضح حسين سليمان متحدث اللجنة القطرية للسلطات المحلية العربية، في مقابلة مع شبكة (تيفل) ان : "ليس لدى بشارة ماضى قيادي قومي مناسب وأقصى ما يستطيع ان يتزعم الطائفة الأثوذكسية" (برنامج بانوراما ١٤ - ٢ - ١٩٩٧ ، هآرتس ١٦ - ٢ - ١٩٩٧) وقد أدى هذا الكلام الى رد فعل من جانب حداث ، التي طالبت باستقالة سليمان ، الذي "يكونه عضوا بحزب المعراخ الصهيوني (...)" فانه يستخدم العائلية والطائفية اللتين تستغلها الاحزاب الصهيونية لزرع الفرقة والشقاق بين صفوف شعبنا .

وفي حوار مع ابراهيم نمر حسين رئيس بلدية شفا عمرو ورئيس لجنة المتابعة العليا لشؤون السكان العرب في اسرائيل ادعى سليمان، ان تصريحه " جاء بشكل شخصي ولا يمثل اللجنة" واعلن ايضا ، ان توحد ابناء شعبنا بجميع طوائفه مهم بالنسبة لي جدا ، وانه عارض ما اتخذ بشارة "ليس بسبب مسيحيته بل لانه ليس الشخص المناسب لذلك بسبب سجله الخاص" (بانوراما ١٤ - ٢ - ١٩٩٧) .

وفي محاولة لتهدئة النفوس ، نشر ابراهيم نمر حسين بيانا رسميا حذر فيه من ان الخلاف بين حسين سليمان وبشارة يمكن ان ينزلق الى "حافة مواجهة طائفية" ودعا الاثنيين الى التصرف بمسئولية قومية والتوقف عن الجدل . واضاف نمر حسين موضحا ، ان بشارة كان يجب ان يقدم الاقتراح للنقاش في لجنة المتابعة ، قبل ان يتسرع ويطلع وسائل الاعلام عليه . وبالنسبة للمطالبة باقالة سليمان ، شدد على ان الامر يتصل بمنصب ينتخب شاغله ، وان المؤسسة التي اختارته للمنصب هي فقط التي يمكنها اقالته .

(بانوراما ١٤ - ٢ - ١٩٩٧ ، هآرتس ١٩ - ٢ - ١٩٩٧) . وتشير انتخابات الكنيست الـ ١٤ الى يقظة ما في تمثيل المسيحيين في الكنيست . ومن هذه الناحية كانت الانتخابات استمرارا لمرحلة تفتح عهدا جديدا في الشرق الاوسط، وتبشر باجواء مختلفة في الوسط العربي عموما ، ولدى المسيحيين خصوصا . وقد عبرت العملية الانتخابية عام ١٩٩٦ عن روح المبادرة واستعادة المسيحيين لنشاطهم في المجال السياسي ، وهو ما تأثر بالتقدم الذي حدث في المسيرة السلمية ، وبالشعور انه مع تقدم العملية السلمية

يمكن ان يتم التغلب على المشكلات القائمة ومشكلات الهوية. وكان الأمل ان تقل الهجرة - التي تمثل عنصرا هاما في عدم الامن للمسيحيين - في اعقاب الفرص الجديدة وجو الامان الذي خلقته العملية السلمية.

الآن نعود ونسأل نفس السؤال ، الى أى مدى يشكل التغيير الذي حدث في صناديق الاقتراع ونتائج الانتخابات الاخيرة ، نقطة تحول ، والى أى مدى يصبح الامر عرضيا ومؤقتا فحسب . وفي اعتقادي ، الأمر مرتبط تماما بالعملية السلمية. اذا استمرت هذه العملية ووصلت الى النتائج المأمولة ، فان أى مكانة للمسيحيين ، سواء كمساهمين في العملية أو كمدمومين بها ، ستكون بارزة وهامة. ومن شأن نجاح العملية السلمية ان تضعف القاعدة التي ينمو عليها الحزب الاسلامي ، والذي يعد عاملا رئيسيا في تقويض أمن المسيحيين . ولكن اذا تدهور الموقف وقويت الحركة الاسلامية، سيتعاظم الشعور بالتعرض للادى لدى المسيحيين . وهناك من يعربون عن الخوف من انخفاض عدد المسيحيين لدرجة تؤدي الى اندثار كيانه . ليس المقصود هنا الكنائس - فهي دائما ما تقام - بل المقصود هو اندثار الهوية الثقافية الموحدة للمسيحيين في المنطقة، الهوية التي تتجاوز العقيدة الدينية. ويأمل كثير من المسيحيين ، بل يلقون حملهم ورهانهم على استمرار العملية السلمية .

المحور الثالث : الدين كعنصر في الهوية الجماعية الاسلام السياسي في اسرائيل وارتباطه بالحركة الاسلامية في المناطق . بقلم : إيلي ركيس

من خلال تطور الارتباط أو العلاقة بين الحركة الاسلامية في اسرائيل ونظيرتها في المناطق يمكن تمييز اربع فترات: سنوات البدء الاولى (١٩٦٧ - ١٩٧٨) ، سنوات البناء (١٩٧٩ - ١٩٨٧) ، مرحلة الانتفاضة (١٩٨٨ - ١٩٩٠) ، مرحلة التأثير غير المباشر (١٩٩١ - ١٩٩٦) ومرحلة العملية السلمية (١٩٩٦ - ١٩٩١) . وتركز هذه الدراسة على مظاهر المرحلة الرابعة .

وهذه المرحلة تحمل سمة تأسيس الحركة الاسلامية في اسرائيل كتنظيم سياسي . وأحد دلائل التأسيس البارزة في المجال السياسي والذي تنامي بين مراكز قوى متنافسة في صفوف الحركة - صراع حمل ايضا طابعا ايديولوجيا دينيا . وفي مطلع التسعينيات بدأ يظهر شقاق في الحركة ، تجلى في جانب منه في محاولة كتل متنافسة الفوز بوضع ومكانة بارزين وبشرعية سياسية سواء داخل حدود اسرائيل أو على الساحة الفلسطينية عموما . وكانت احدي الوسائل الاساسية التي استخدمتها كتل الحركة الاسلامية في اسرائيل في سباق الحصول على الشرعية، هي الاتصال بالمنظومة السياسية في المناطق ، وبالاسلام السياسي على وجه الخصوص .

على المستوى الخارجي القت عملية السلام بظلال عميقة على

تطورات الحركة الاسلامية في اسرائيل ، وايضا على ارتباطها بالتيار الاسلامي في المناطق ومنذ عام ١٩٩١ تفجر حوار حاد في الضفة الغربية في قطاع غزة وفي قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وحماس خارج المناطق ، فيما يتعلق بمسألة ما اذا كان على الفلسطينيين ان ينضموا الى المفاوضات السياسية ووصلت اصدااء هذا الجدل والحوار داخل الخط الاخضر . ونتج عن ذلك وضع مثير ، خلافا في الرأي سياسيا وايديولوجيا بالنسبة لتحديد الاهداف القومية للشعب الفلسطيني ، نشأت في الساحة الفلسطينية الخارجية، وانكشفت كما هي معروضة في الساحة الاسلامية داخل اسرائيل.

على هذه الخلفية بدأ يتبلور في الحركة الاسلامية معسكران ، تيار معتدل نسبيا ، ابدى موقفا برجماتيا ، مشجعا للتيار الرئيسي في منظمة التحرير بزعامة عرفات ومؤيدا لتسوية سياسية بين الفلسطينيين واسرائيل. ومقابله تيار راديكالي فعال ، تبني خطا سياسيا متعنتا ، بمعارضة العملية السلمية بمعيار أوسلو وتأييد جزئي لموقف المعارضة الفلسطينية ، وبخاصة الاتجاه الاسلامي بها . وعلى رأس التيار المعتدل يقف الشيخ عبد الله نمر درويش ، وبين مؤيديه جرى تعيين قادة الحركة الاسلامية في جنوب المثلث : رئيس المجلس المحلي بقرية قاسم (كفر قاسم) ، الشيخ ابراهيم صرصور ، رئيس المجلس المحلي بقرية برا - الشيخ كامل ريان، رئيس المجلس المحلي لجوليا - توفيق الخطيب ، وآخرون ومن بين ممثلي التيار المضاد عين رئيس بلدية أم الفحم - الشيخ رياض صلاح ، والشيخ كمال الخطيب ، وهو ناشط اسلامي بارز من قرية كانا.

وكما مضت عملية السلام ، بنجاحاتها واحباطاتها ، تماسكت الصفوف. وقد كان بدء المفاوضات المباشرة بين اسرائيل ومنظمة التحرير في صيف ١٩٩٢ اشارة الى نقطة تحول في تعميق الشقاق. وقد أدى الحوار الفلسطيني الداخلي حول اتفاقات اوسلو بين تيار الوسط البرجماتي في قيادة فتح وبين المعارضة في زعامة حماس ، أدى الى ولادة خلاف مواز داخل الحركة الاسلامية في اسرائيل. فالتيار البرجماتي ساند موقف تيار الوسط بمنظمة التحرير ، بينما أيد التيار الراديكالي موقف حماس. مع ذلك لم تكن تلك لعبة لا طائل منها . فرغم ان التيار البرجماتي أيد العملية السياسية السلمية وعرفات، فانه لم ينفصل عن حماس أو تنكر لها ، بالعكس ، فان انتقاد التيار الراديكالي لاتفاق اوسلو لم يجد صدى له بمقاطعة عرفات أو عزله ، على الاقل ليس في بداية المرحلة التي نتناولها . زيادة على ذلك ، ففي قضايا سياسية معينة ، مثل مشكلة القدس ، ساد اتفاق أو تطابق في الرأي بين الكتلتين ، بل وفي مجالات بعينها تعاون الطرفان سويا.

وعلى الرغم من ذلك ، كلما تقدمت العملية السلمية ازداد عمق الشقاق الداخلي . ويتضح هذا الاتجاه في اربعة مجالات : في الموقف تجاه اتفاقات اوسلو وتطبيقها ، في المواقف من الصراع المسلح والانشطة الارهابية ، في

محاولات التوسط بين حماس ومنظمة التحرير ، وفي مساعدة الحركة الاسلامية لسكان المناطق .

المواقف تجاه اتفاقات أوسلو وتطبيقها :

لقد توقيعت اتفاق المبادئ بين منظمة التحرير واسرائيل في سبتمبر ١٩٩٣ ترحيباً من التيار الذي يتزعمه الشيخ عبد الله نمر درويش . ولم يتردد درويش في المشاركة في مؤتمر تأييد احتفالي تم عقده بعد وقت قليل من توقيع الاتفاق - في الناصرة الى جانب ممثل بارز لحزب العمل ، هو وزير السياحة عوزي برعام . والواقع ان متحدثي التيار البرجماتي شرطوا تأييدهم للاتفاق ، فقط ، بضمان ان تفي النتائج المأمولة بالطموح القومي الفلسطيني . " اذا كان اتفاق غزة - اريحا أولاً سيؤدي الى انشاء دولة فلسطينية تكون عاصمتها القدس الشرقية ، فربما تكون هذه الخطوة في الاتجاه الصحيح " ، صرح بذلك الشيخ درويش ، (الديار ١٠-١-١٩٩٣) . وبطريقة مشابهة اوضح ابراهيم صرصور ، الذي صرح بان الحركة الاسلامية تؤيد الاتفاق ، بشرط ان يؤدي الى تقرير مصير الفلسطينيين (جوروزايم بوست ١٠-٩-١٩٩٣) .

ان تطبيق اتفاقات أوسلو ، واقامة السلطة الفلسطينية ودخول عرفات الى غزة جعل التيار البرجماتي قويا ومنطقيا في تأييده للمسيرة السلمية . ومع ذلك ، فقد تمسك متحدثو التيار باعلان موقف متزن وعدم توجيه انتقاد لاذع للمعارضة الاسلامية . وازافة الى هذا ، وبشكل متوازي بذلت شخصيات كبيرة في التيار جهودا ملموسة للتوفيق والتوسط بين حركة حماس ومنظمة التحرير الفلسطينية . ولكن بصفة عامة كانوا يميلون من كل قلبهم الى دعم قبضة السلطة الفلسطينية ومواقفها في العملية السلمية . فمثلا ، في صيف ١٩٩٥ وصف الشيخ عبد الله العملية السلمية بانها مصالحة بين العرب واعدائهم ، والتي - حسب اقواله - تعد تطورا مرتبطا وثابتا بالفكر الاسلامي على الدوام (الحياة - لندن ١٣ - ٨ - ١٩٩٥) . وفي انتخابات الكنيست الـ ١٤ التي جرت في مايو ١٩٩٦ ، عندما تشكل ائتلاف بين الحزب الديموقراطي العربي بزعامة عضو الكنيست عبد الوهاب دراوشة وبين التيار البرجماتي للحركة الاسلامية - القائمة العربية الموحدة - تضمن برنامج صياغة الهدف الفلسطيني من المسيرة السلمية متوائما مع الاتفاق الواسع في الرأي للتيار الفلسطيني الرئيسي : " لتحقيق السلام العادل والشامل ، الذي يضمن انهاء الاحتلال وتفكيك المستوطنات ، وكذلك اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس " .

هناك فكرة معكوسة تقريبا يذهب إلى أن موقف حماس في اساسه معارض تماما للاتفاق ، مع تأييد غير رسمي له ، هذه الفكرة روجتها عناصر المتحدثين بلسان متشددى الحركة الاسلامية . ومقابل الشيخ درويش الذي شارك في مؤتمر تأييد لاتفاق أوسلو ، فضل الشيخ رياض صلاح في نفس الشهر ان ينضم الى مظاهرة اضخم واوسع من حيث

المشاركين نظمتها جبهة المعارضة لعرفات في قطاع غزة . وهناك عرف صلاح الاتفاق بانه " عمل من أعمال الخيانة " ، ودعا الى السعي لالغائه بالطرق الديمقراطية (الديار ١٠-١-١٩٩٣) ، كذلك رأى صديقه الشيخ كمال الخطيب ، في الاتفاق " خيانة لحق الشعب الفلسطيني " ، وخاصة تأجيل النقاش والتفاوض حول القدس (كل العرب ٣-٩-١٩٩٣) . وأعرب التيار المعارض للحركة في اسرائيل عن معارضته ايضا بوسائل غير مباشرة ، مثل نشر مقالات تنتقد بشدة اتفاق أوسلو من قبل صحفيين أو شخصيات في المناطق محسوبين مع التيار الاصولي وبهذه الطريقة حقق قادة هذه المجموعة انجازا مزدوجا : انهم روجوا واشاعوا بطريقة واسعة الخط السياسي لحماس من جانب ، ونجحوا في ان ينقلوا لجمهور قرائهم رسالة غير مباشرة تتفق مع هذا الخط من جانب آخر . ومع المتطوعين الدائمين من المناطق تحدد خالد عميرة من الخليل ، فواز شاهين من حنين واسماعيل الجمل من اريحا . أما المجلة الاسبوعية صوت الحق والحرية التي كان من الممكن ان تؤثر على المجموعة المعارضة في اسرائيل ، فقد تحولت الى منبر رئيسي لكتاب علم الاجتماع السياسي من مؤيدي التيار الاسلامي في المناطق ، حتى انه تولد انطباع في بعض الاحيان ، بان النسخة الاسرائيلية ليست إلا المتحدث الرسمي بلسان حماس .

كانت الوسيلة الاخرى التي استغلها التيار المعارض هي نشر مقالات صحفية مع رجالات حماس . بدأ ذلك في عدد ٢٩-١٠-١٩٩٣ من جريدة صوت الحق والحرية ان نشرت مقابلة مع الشيخ محسن ابو عيطة وخالد الهندي ، وكلاهما من خيرة التيار الاسلامي في قطاع غزة . ان قال ابو عيطة فيها : " صفقة غزة - اريحا ، هي بمثابة جنين ولد ميتا . انها في نظري وجبة عشاء دسمة اندس السم فيها " وفي مقابلة صحفية اخرى قال الشيخ حامد البتاوي احد نشطاء حماس في نابلس لصوت الحق والحرية في ١٤-١-١٩٩٤ : " ان اتفاق غزة اريحا يسلب (الجانب الفلسطيني) لانه يمنع مليار مسلم من زيارة الاقصى " . وعندما سئل بيتاوي ماذا يقول لليهود ، اجاب . " اننا ندعوهم للاسلام انهم تعساء وحياتهم عسيرة ، ونحن ايضا كذلك والحل بالنسبة لنا ولهم - هو الاسلام " .

حتى بعد انشاء السلطة الفلسطينية واعادة انتشار جيش الدفاع الاسرائيلي إستمر متحدثو التيار المعارض في اسرائيل في التمسك بمنأى اتفاقات أوسلو ، مع التأكيد على اتفاق الراء بينهم وبين المعارضة الفلسطينية العامة . وقد اختفى الشيخ رياض بشكل دعائي من وفد زعماء عرب اسرائيل . الذي توجه لتهنئة عرفات بمناسبة دخوله غزة ، في يوليو ١٩٩٤ . كما امتنع الشيخ رياض بصورة معلنة عن مقابلة رئيس السلطة الفلسطينية ، وجرت اول مقابلة من هذا النوع - فقط - في بداية اغسطس ١٩٩٤ ، على الرغم من سعي عرفات ، وفي اطار محاولات توسط ممثلي الحركة الاسلامية في النزاع الذي نشب بين السلطة وحماس .

وقد عرف الشيخ كمال الخطيب سياسة التيار النشط تجاه اتفاق أوسلو - في صيف ١٩٩٥ :

ان الموقف المعارض لاتفاق أوسلو ليس قاصرا على الحركة الاسلامية في اسرائيل ، بل هو جزء بارز من توجهات الزعامات الفلسطينية التي ادركت انه لو نجحت عملية أوسلو فانها ستكون المسمار الاخير في نعش المشكلة الفلسطينية . فالتغييرات والتنازلات هي دائما لصالح الجانب الاسرائيلي ، على حساب الجانب الفلسطيني الموجود في الموقف الاضعف . اننا نؤمن بدون شك بطريق السلام ، ولكن في التوقيت المناسب . ان اختيار موعد أوسلو كان في فترة ضعف وشقاق في العالم العربي والاسلامى (...) . ان أوسلو هي سلام القوى مع الضعيف ، انها استسلام وليست سلام (١١-٨-١٩٩٥) .

وقد تماشى هذا الموقف تقريبا حرفيا مع تصريحات اعضاء حماس .

المواقف من الصراع المسلح وعمليات الارهاب :

ان اختلاف وجهات النظر بين المعسكرين في الحركة الاسلامية برزت بوضوح ايضا في التعامل مع مسألة الارهاب ، وخاصة دور حماس ومنظمة الجهاد الاسلامى في هذا النشاط . في فبراير ١٩٩٢ هاجم اربعة نشطاء اسلاميين مواطنين اسرائيليين من منطقة أم الفحم - معسكر مبتدئين تابع لجيش الدفاع بالقرب من كيبوتس جلعاد - وقاموا بقتل ثلاثة جنود بواسطة فؤوس ، ثم هربوا . بعد وقت قصير تم القبض على الخلية واتضح ان اعضاءها كانوا على صلة بالحركة الاسلامية في اسرائيل ، ولكن لم يعملوا بأوامر منها ، بل اقاموا حركة سرية متطرفة تسمى الجهاد الاسلامى ، عملت بشكل منفرد .

واثارت عملية القتل في جلعاد مرة أخرى جدلا عاما حول ، الى أى مدى تعتبر الحركة الاسلامية في اسرائيل متورطة في عمليات الارهاب . وقد سارع زعماء الحركة في اسرائيل بادانة هذا الفعل وتنكرت لتنفيذه ، وانكروا أى صلة لهم بالحركة . ولم تتكرر حالة جلعاد . وقد كتب المحلل العسكري زئيف شيف في يوليو ١٩٩٣ ، بالرغم من ذلك ، ان هذه الحركة تستخدم على ما يبدو لانضاج الاحداث الخطيرة ومخزنا لتعبئة رجال حماس . (هآرتس ٢٣ - ٧ - ١٩٩٣) . وقد اظهر التيار المعتدل في الحركة الاسلامية تماسكا بموقفه السلبي تجاه الارهاب . وعندما اختطفت الرقيب نسيم توليدينو على ايدي رجال حماس ١٩٩٣ ، استجاب الشيخ عبد الله للطلب الذي تلقاه من جهات رسمية (عن طريق مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية السيد / شموئيل توليدينو) بمحاولة التأثير على خاطفي الرقيب بالآل يلحقوا به الضرر ، وخرج الى وسائل الاعلام بندا متاثر الى حماس للحفاظ على حياة المخطوف . لأن القرآن ينهى عن المساس بالابرياء . وبنداء مماثل خرج درويش في اكتوبر ١٩٩٤ لمختطفي الجندي نحشون فاكسمان .

وعندما حدثت موجة الهجمات الشديدة من انتحاريين في

حماس والجهاد الاسلامى بالقدس وتل أبيب في شهرى فبراير - مارس ١٩٩٦ ، والتي راح ضحيتها عشرات القتلى من مواطني اسرائيل ، لقيت ادانة شديدة من جانب التيار البرجماتى في الحركة الاسلامية . وأكدت الحركة علانية مجددا ان المواطن الاسرائيلي العربي الذي ساعد الانتحاري - منفذ الهجوم في شارع ديزنجوف بتل أبيب في ٤ مارس ١٩٩٦ - لا ينتمى الى صفوفها وادان الشيخ عبد الله درويش بحدة الهجمات الانتحارية ، ودعا علماء الشريعة من المسلمين ان يعربوا بوضوح عما اذا كانت هذه الهجمات جائزة أم محظورة من الناحية الدينية .

واصر متحدثو التيار المتشدد ايضا على انهم لا يتفقون مع منفذى الهجمات أو مع من يرسلونهم . وبرز في مقالوه تأكيدهم بانهم يعملون في اطار القانون ، وليس لاءعضاء الحركة ان يتورطوا في عمليات ارهابية . ومع ذلك فقد كان لهم توجه معين في التعامل مع قضية الارهاب . فعلى خلاف التيار البرجماتى ، امتنع التيار الراديكالى المتشدد عن ادانة لاذعه وصريحة للعمليات الهجومية ، ورغم عدم موافقته على مثل هذه الاعمال وتحفظه على العنف ، أبدى احيانا تفهما لدوافعها .

هذه العلاقة المتناقضة برزت في اسلوب التقرير المتعاطف ، بصورة غير مباشرة . الذى نشر في 'صوت الحق والحرية' حول الهجمات الارهابية . فمثلا ، فى العدد الذى صدر بعد انفجار الاتوبيس فى مايو ١٩٩٤ والذى قتل فيه ستة اشخاص ، ونشر فى الملحق الخاص بالجريدة بعد قتل "المهندس" يحيى عياش فى بداية ١٩٩٦ . هذه العلاقة المزوجة برزت ايضا فى رد فعل زعماء التيار تجاه هجمات مختلفة . كما هو الحال - على سبيل المثال - فى اعقاب انفجار الاتوبيس فى رامات جان فى يوليو ١٩٩٥ اذ اعرب الشيخ كمال الخطيب عن تفهمه للدوافع التى تقف وراء هذه العمليات . وفى اعتقاده ، فان الانفجار فى رامات جان تمخض من اليأس المتصاعد لدى الفلسطينيين من النتائج السلبية للعملية السلمية ، أى الاغلاق المستمر المفروض على المناطق والموقف الاسرائيلي المتعنت فى المفاوضات مع الفلسطينيين (هآرتس ٢٥-٧-١٩٩٥) وبعد مرور اربعة اشهر ، وفى ابريل ١٩٩٥ ، أبدى الخطيب رأيا مشابها عندما قال انه يعارض العنف المعتمد على عمليات ارهابية للحركة الاسلامية المحظورة فى الجزائر ، لكنه يتفهم اسبابها .

محاولات التوسط بين حماس ومنظمة التحرير الفلسطينية :

مجال واحد هو الذى تعاون فيه ممثلو الحركة الاسلامية في اسرائيل هو محاولة التوسط بين السلطات الاسرائيلية وحركة حماس (مثلا حدث فى قضية الجندي المخطوف نحشون فاكسمان) ومحاولة اقامة جسر بين قيادة "فتح" وحماس فى المناطق . هذا النشاط الذى بدأ فى ١٩٩٢ ، وصل الى ذروته فى ١٩٩٤ - ١٩٩٥ ، بعد تشكيل السلطة الفلسطينية فى غزة ، على ضوء ثقافة النزاعات والمواجهات

العنيفة بين قيادة السلطة والمعارضة الإسلامية . وقد ساهم في عمليات التوسط أيضا بعض ممثلي تيارات سياسية أخرى في إسرائيل : أعضاء كنيسة عرب وممثلون كبار للجنة رؤساء المجالس العربية .

من ناحية الحركة الإسلامية في إسرائيل ، كان المعروف ان مبادرات الوساطة تهدف قبل كل شيء الى تهدئة النزاع بين الجانبين . ولكن في نفس الوقت سعت الحركة الإسلامية للحصول على شرعية واعترافا سواء من قبل التيار الرئيسي بمنظمة التحرير أو من قبل التيار الإسلامي في المناطق . ان دور الوساطة الذي تحمله عرب إسرائيل عموما ، والحركة الإسلامية خصوصا ، خدم مصلحة القيادات الفلسطينية في المناطق . وكانت وفود الوساطة من عرب إسرائيل أكثر تفاهما وسلاسة ، ولم تثر مزيد من العقبات والمشاكل لدى سلطات الأمن الإسرائيلية ، مثلما كان من الممكن ان يحدث اذا دعيت عناصر وساطة عربية من خارج المناطق التي تسيطر عليها إسرائيل . وقد ضمن ربط ممثلي المعسكر القومي العربي في إسرائيل بممثلي التيار الإسلامي لعرب إسرائيل - ضمن ذلك - ان تكون مصالح جميع التكتلات المعنية بالخلاف مأخوذة في الاعتبار .

فقط تجدر الإشارة باختصار الى تدخل ممثلو الحركة الإسلامية بمبادرات وساطة . فقد شاركوا في مؤتمر المصالحة لعرب إسرائيل الذي اقيم في يوليو ١٩٩٢ ، في محاولة لوضع حد للنزاع الدامي الذي نشب بين "فتح" وحماس في قطاع غزة . وفي اغسطس ١٩٩٤ توجه عرفات الى الحركة الإسلامية بطلب الوساطة بين السلطة الفلسطينية وحماس في القطاع ، وفي نوفمبر من نفس السنة ، وبعد حادث اشتعال بالقرب من مسجد فلسطين بالقطاع ، حاول ممثل كبير للحركة هو الشيخ درويش ، حاول مجددا التوسط بين الجانبين ، ومعه د . أحمد طيبي . وبعد حادث المسجد توقف ممثلو التيار المتشدد عن محاولات التوسط . ومن ثم بدأ هؤلاء في توجيه انتقاد لاذع للعلاقة بين السلطة الفلسطينية وحماس ، مع مساندة بارزة لموقف الجانب الإسلامي . في شهور اغسطس وسبتمبر ١٩٩٥ ، مع تعمق الفجوة بين السلطة وحماس ، صعدت وسائل اعلام الحركة الإسلامية في إسرائيل - الواقعة بالطبع تحت سيطرة التيار المتشدد - حدة الانتقاد تجاه السلطة . وبدأت "صوت الحق والحرية" وملحقها "منبر الحق" هجوما قاسيا ، وحيانا دون ضابط أو رابط ، على أجهزة الأمن والاستخبارات في السلطة الفلسطينية وعلى عرفات شخصيا .

وحدث تصعيد آخر في انتقاد التيار المتشدد للسلطة الفلسطينية في اعقاب عمليات انتحارية تمت في فبراير - مارس ١٩٩٦ ، وبعد اجراءات وقائية انتقامية نفذها عرفات ضد عناصر حماس . وكان وقوف التيار الراديكالي المتشدد الى جانب حماس قد بات واضحا . ولم يتأخر رد فعل السلطة . ففي بداية اغسطس ١٩٩٦ منعت السلطة توزيع صوت الحق والحرية داخل نطاق الحكم الذاتي .

وكانت سياسة التيار البرجماتي تجاه الخلاف بين منظمة التحرير وحماس في نهاية المرحلة التي نتحدث عنها ، مختلفة تماما . فقد حرص متحدثو هذا التيار على اتخاذ موقف محايد ، واحتفظوا بعلاقة مع الجانبين ، سواء مع السلطة أو مع حماس أيضا ، ومواصلة اداء دور الوسيط . ويمكن ان نجد ذلك الموقف فيما قاله الشيخ درويش في اغسطس ١٩٩٥ . ان الحركة الإسلامية تتوسط بين السلطة برئاسة ياسر عرفات وبين عناصر المعارضة وعلى رأسها حماس بزعامة الشيخ أحمد ياسين ، بهدف ايجاد قاعدة للحوار ارحب من الصدم . من اجل بناء دولة فلسطينية عاصمتها القدس . (الحياة - لندن - ١٣ - ٨ - ١٩٩٥) .

مساعدة سكان المناطق :

في بداية التسعينيات قويت العلاقة المتطورة بين التيار الإسلامي على جانبي الخط الأخضر ، عندما وسعت الحركة الإسلامية المساعدة الاجتماعية - الانسانية والاقتصادية لسكان المناطق ، وبخاصة لمؤيدي وجودها في المناطق . كانت تلك هي ساحة النشاط الذي بدأ مع اندلاع الانتفاضة ، وكان اساسه الرغبة في تخفيف الازمة الاجتماعية الاقتصادية الطاحنة التي اجتاحت سكان المناطق . واستمرت فروع الحركة الإسلامية في إسرائيل في جمع الغذاء والكساء وتنظيم قوافل سيارات النقل ، التي ارسلت الى المناطق بصورة متعاقبة احيانا . وعندما اتسع وزاد نطاق النشاط أنشأت الحركة تنظيما قطريا "لجنة المساعدة الإسلامية" والتي بدأت جمع اجهزة واثاث واغذية من اجل ضحايا الانتفاضة في المناطق ، بصورة منتظمة .

وقد اقامت اللجنة نظاما لتقديم مساعدات ثابتة للأطفال (خاصة يتامى شهداء الانتفاضة ، وايضا الاطفال الصم والبكم ، والذين يعانون الشلل أو امراض المخ) وللأسر المحتاجة في المناطق ، عن طريق تبني اي يتيم أو اسره بواسطة متبرعين محددين في إسرائيل . وازداد نطاق المساعدات بسرعة . في ١٩٩٥ وصل عدد الاطفال المدعومين الى ٧٠٠٠ طفل تقريبا ، وعدد الاسر التي تستحق المساعدة الى ١٠٠٠ أسرة تقريبا ، بالإضافة الى ذلك قدمت اللجنة مساعدات مالية لمن هم في حاجة الى علاج او عمليات طبية والمعاقين . وفي ١٩٩٥ دفعت اللجنة في المتوسط مبلغا شهريا يقدر ب ١٠٠ شيكل جديد لليتيم و ٢٠٠ شيكل جديد للأسرة . يتضح من هنا ، ان اجمالي المساعدات السنوية لهذين البنتين قد وصل الى حوالي ١٢ مليون شيكل جديد . وفي نهاية ١٩٩٥ داهمت قوات الشرطة مكاتب اللجنة ، وصادرت الوثائق والملفات والاجهزة واصدرت أمرا باغلاقها . وادعت الشرطة ان التبرعات التي جمعتها اللجنة قد أعطيت لأسر أعضاء حماس الذين قتلوا في عمليات ارهابية . وقد انكرت اللجنة هذه الاقوال جملة وتفصيلا ، واوضحت انها لا صلة لها بحماس ، وانها تعمل بشكل معزول وقانوني وتحمل طابعا انسانيا ، وان هناك شفافية كاملة في جمع اموال المساعدات . وفي اغسطس ١٩٩٥ رفضت محكمة

العدل العليا طلب الحركة الاسلامية وقررت ، ان لديها ما يكفي من الادلة على ان لجنة المساعدة الاسلامية تقدم المساعدات لنشطاء حماس . ولم يمنع اغلاق مكاتب اللجنة الحركة الاسلامية من مواصلة نشاط المساعدات في اطار كيان آخر باسم : "لجنة المساعدات الانسانية" ولكنها اغلقت ايضا فيما بعد .

والجدير بالذكر، انه بخلاف العلاقة على المستوى الانساني اقام نشطاء الحركة الاسلامية في اسرائيل اتصالا بعناصر اسلامية في المناطق في السياق التعليمي . وهناك تعبير آخر عن العلاقة الوطيدة بين التيار النشط والاسلام بالمناطق برز في اكتوبر ١٩٩٦ ، عندما اتضح ضلوع نشطاء اسلاميين من اسرائيل في ترميم واصلاح رواق سليمان في المسجد الأقصى وتحويله الى مكان للصلاة . وعلى مدى اربعة اشهر اشتغل حوالي ١٦٠ متطوع من اسرائيل في اخلاء القمامة التي تجمعت في المكان ، ورصفوا الارضية بالرخام ، واصلحوا البنية الأساسية الكهربائية ، وتحسين الصوت وتكييف الهواء . وقد تمت هذه الترميمات والاصلاحات بتبرعات المتطوعين ووصلت الى ٢ مليون شيكل .

كان لنور رجال الشق الراديكالي في ترميم المبنى دلالة خاصة تجاه الحملة التي انطلقت بعد افتتاح نفق حائط المبكى . ففي ١١ اكتوبر ١٩٩٦ . اجتمع اعضاء التيار المعارض في مؤتمر حاشد في أم الفحم "لنقاذ المسجد الأقصى والاماكن الاسلامية المقدسة في القدس" . وقد شارك في المؤتمر ما بين ٣٠ و ٥٠ ألف شخص . والقى الخطبة الرئيسية الشيخ حسن طهوب ، مسؤول الوقف الاسلامي في السلطة الفلسطينية الذي اثنى على النشاط المتناسق للمسلمين في اسرائيل مع الفلسطينيين في المناطق ، للدفاع عن الاماكن المقدسة . وفي المؤتمر أعلن عن حملة جديدة لجمع التبرعات لمواصلة اعمال الترميم في منطقة المسجد الأقصى وقد تم جمع اكثر من نصف مليون شيكل فورا انتهاء المؤتمر .

وقد غاب عن مؤتمر أم الفحم متحدو التيار البرجماتي . ويقول احد التقارير انهم لم يتلقوا أى دعوة للحضور . وفي خطاب القاه كمال الخطيب في المؤتمر اتهم "اشخاص" "بالخداع" ، الذي اساسه منح شرعية اسلامية لاغلاق رواق سليمان مقابل فتح مسجد في الكنيسة ، يخدم اعضاء الكنيسة الجدد من الحركة الاسلامية ، هذا الاتهام ، الذي القى على رجال درويش ، ولد حملة تبادل التصريحات والاقوال اللاذعة بين ممثلي التيارين .

كان لمؤتمر أم الفحم واعمال ترميم رواق سليمان أثرها في اضافة ميزة لزعامة الخطيب على حساب الكتلة المنافسة . وفي الصراع على الشرعية والاعتراف من جانب الزعامة السياسية في المناطق ، وخاصة من جانب التيار الاسلامي هناك ، لاشك ان يد الخطيب كانت هي العليا .

الختام :

ان الاستنتاج الاول الذي يطرحه التحليل ، وهو استنتاج يفهم من تلقاء نفسه ، ان هناك ارتباط قوى بين الاسلام السياسي على جانبي الخط الاخضر . الاستنتاج الثاني هو على المستوى التصنيفي فالحركة الاسلامية في اسرائيل هي فرع للاسلام السياسي الفلسطيني العام . ومن نواح متعددة فان ميلادها ونموها مرتبطان بوضع الحركة الاسلامية في المناطق . وكثير من المظاهر الفكرية للحركة الاسلامية في اسرائيل يتشابه وتطابق مع مثيلاتها في المناطق . ومع ذلك فالاسلام السياسي في اسرائيل طور خطوط متميزة خاصة به ، نتيجة الواقع الخاص التي يعمل فيه .

الاستنتاج الثالث هو ، ان هناك تشابه واضح بين طرق العمل واساليبه لدى الحركة الاسلامية في اسرائيل والحركة في المناطق ، خاصة في كل ما يتصل باقامة بنية اساسية اجتماعية ، وتعليمية ، وثقافية ودينية تحت رعاية التيار الاسلامي .

الاستنتاج الرابع يتعلق بالفكر الذي يتعامل به الفرع الاسرائيلي مع الجناح الاسلامي في المناطق . بواسطة هذا التعامل تسعى الحركة للحصول على شرعية سواء في المحيط الخارجي للتيار الاسلامي خارج اسرائيل أو في المحيط الداخلي ، في اطار صراع الكتل المتنافسة في اسرائيل .

الاستنتاج الخامس هو ، ان هذه العلاقة ليس جامدة، هناك ديناميكية مثيرة لتعميق أو سحب مفردات هذه العلاقة ، والتي تعد من ناحية مهمة دفع العملية السلمية وتطبيق اتفاقات اوسلو ودفع المفاوضات الفلسطينية الاسرائيلية ، ومن ناحية اخرى تعد بدائل سياسية داخلية على المستوى الاسرائيلي المحلي .

الاستنتاج السادس يتعلق بماهية العلاقة بين الاسلام السياسي في اسرائيل والمناطق . انها علاقة متعددة الاشكال والاتجاهات والروافد . وأى محاولة للتحدث بلسان واحد ومحدد عن الارتباط بين التيار الاسلامي في اسرائيل وبين حماس ، يعد خطأ فادحا .

ان وضع الحركة الاسلامية في اسرائيل هو وضع خاص . فالحركة تمثل اقلية مسلمة في دولة ذات اقلية غير مسلمة وتعمل تحت ظل تهديد نزاع قومي . وحدود المسموح والممنوع يتم وضعها بشكل محدد وواضح على خريطة نشاطات التيار الاسلامي في اسرائيل وفي المناطق . انها تمضي في اربعة آفاق رئيسية : ارتباط عقائدي روحاني - على المستوى الديني ، اتفاق وتضامن - على المستوى السياسي ، تعاون في المجال الانساني الاجتماعي ، واخيرا ، ارتباط مبهم في مجال الاعمال المعادية .

الأرض وسياسات التخطيط في إسرائيل

دراسة ٢

المؤسسة العربية لحقوق الإنسان Factsheet No. 2

ترجمة / أكرم ألفى

القانونية ضد أوامر المصادره هذه وذلك نتيجة اعطاء السلطة التنفيذية سلطات واسعة. من ناحية اخرى ، فان شروط المصادرة مجحفة من حيث مستويات التعويضات المنخفضة أو من خلال تحديد الحكومة لقيمة الأرض.

هذه الشروط عادة ما يتم رفضها من قبل العرب وبالتالي تتم مصادرة الأراضي بدون تسوية إلى جانب وجود نظام ضرائبي ذو صيغة "عقابية" خاص بالأراضي لتشجيع اصحابها على بيعها .

وتتم حماية أراضي الدولة في مناطق العرب الفلسطينيين من خلال تسيبها أو تشجيرها لمنع الملاك الاصليين من الاستمرار في استغلالها.

وذلك من خلال وحده شبه عسكرية (بيئية) خاصة تعرف "بالكشافة الخضراء" والتي انشئت لمنع التعديات على الأراضي العامة .

- الاستيطان في الاراض العامة :

في اطار هدف نشر السكان اليهود ، تستمر الدولة في سياستها الخاصة ببناء مستوطنات جديدة لليهود فقط، وهذه المستوطنات اضيفت لها وظيفة اخرى وهي العمل كخازوق وسط مناطق تركّز العرب الفلسطينيين. ويتم بناء هذه المستوطنات من خلال الوكالة اليهودية

في ١٩٤٨ ، كان تجمع العرب الفلسطينيين يملك أو يستغل معظم الاراضي في دولة اسرائيل اما اليوم فهو يملك اقل من ٣٪ من هذه الاراضي .

ان امكانية امتلاك واستغلال الاراضي بالنسبة للمواطنين من العرب الفلسطينيين يتم تقيدها بسلسلة من القوانين والممارسات التمييزية ، وهو ما يتم عرضه بالتفصيل فيما يلي :

- مصادرة الاراضي :

تسيطر الدولة اليوم على ٩٣٪ من أراضي دولة اسرائيل وهو يشكل ما يعرف بـ "أراضي اسرائيل"، هذه الرقعة الواسعة من الأراضي تمت مراكمتها من خلال عملية مصادرة مستمرة للأراضي المملوكة للعرب وهو ما أدى الى تقلص ملكية العرب من الأرض وتوطيد سيطرة اليهود على كل بقاع البلاد .

هذه العملية (المصادرة) تمت عبر سلسلة من القوانين والتدابير العسكرية، التي اتاحت لسلطات الدولة ان تصادر الأراضي لأغراض محددة (مثل التخصيص للمجال العسكري ومشاريع البنية الأساسية).

وهناك شكل آخر للمصادرة يتمثل في الامتناع عن الاعتراف بحقوق الأراضي الاهلية (مثال، البدو في النقب). هذا ويوجد حيز ضيق لامكانية الدعوة

أكثر منها من خلال الحكومة ، حيث توفر الأولى المنازل والبنية الأساسية إلى جانب التسهيلات الخاصة بالخدمات الأساسية.

هكذا فإن المستوطنات يتم بناؤها لليهود فقط (حتى في الأراضي العامة) كما لا يسمح للمواطنين من العرب الفلسطينيين بالانتقال لهذه المستوطنات هذا ولا توجد مستوطنات موازية للمواطنين من العرب الفلسطينيين .

وعلى الرغم من هذه السياسية التمييزية الواضحة ، إلا أنه لم يتم وقفها من خلال المحكمة العليا .

وفي حالة مازالت معروضة أمام المحاكم ، حاولت أسيرة من العرب الفلسطينيين أن تشتري منزل في مستوطنة جديدة ، (Katzuir) هذه المستوطنة تم بناؤها بالتعاون بين الدولة والوكالة اليهودية على أرض مملوكة للدولة ، إلا أن لجنة أسكان المستوطنة رفضت السماح للأسيرة بالانتقال إلى المستوطنة بحجة أنهم ليسوا يهود !!

وقد قدمت الأسيرة التماس للمحكمة العليا تؤكد فيه أن هذا بمثابة تمييز عنصري يعطى للوكالة اليهودية حق استبعاد المواطنين من الأراضي العامة . (هذا ولم تصل المحكمة لقرار حتى اليوم في هذه الدعوى) .

هكذا فإن عملية حصر استغلال الأرض على اليهود فقط من خلال الوكالة اليهودية هي عملية مدعومة من الدولة .

"فتوسيع المستوطنات اليهودية في المناطق التي لازال يهيمن عليها السكان العرب وحيث يكون عددهم أكبر من عدد السكان اليهود ، يوضح إمكانية إضعاف تركيز السكان العرب ، وذلك مع دعم قوانين الدولة لتقييد "كسر القاعدة" الخاص باستيطان العرب في مختلف مناطق البلاد "

(تقريراً "Koenig" الخاص بالعرب في إسرائيل)

- إدارة الأراضي العامة :

تتم إدارة الأراضي العامة في إسرائيل بواسطة "إدارة الأراضي الإسرائيلية (ILA) وهي مؤسسة عامة ملتزمة قانوناً بعدم ممارسة التمييز ضد المواطنين.

إلا أن هذه الإدارة لها علاقة قوية بالصندوق القومي اليهودي (JNF) والذي يعمل في مصلحة اليهود فقط، وتستخدم العديد من الوسائل لمنع منح الأراضي للتنمية لصالح التجمع العربي الفلسطيني .

ومن ضمن هذه الطرق :

- نطاق السلطة :

يتم وضع مناطق واسعة من أراضي العرب الفلسطينيين تحت سيطرة اليهود من خلال إنشاء مجالس محلية في المناطق العربية كما في (Misgan)، أن الحد من السلطات الخاصة بمحليات العرب الفلسطينيين يجعلها تكتظ مقارنة بالمحليات اليهودية .

فعلى سبيل المثال ، في Nazerth تم تخصيص ١٤,٢٠٠ دونام لـ ٦٠,٠٠٠ شخص بينما مدينة يهودية قريبة منها هي Nazerth illit، خصص فيها ٣٤,٠٠٠ دونم لـ ٤٥,٠٠٠ شخص فقط، وجزء كبير من هذه الأراضي كانت تعتبر جزءاً من منطقة Nazareth العربية، ما يظهر عدم توافق تخصيص مساحات من الأراضي مع النمو الطبيعي للسكان من العرب الفلسطينيين.

* التطويق :

يتم أيضاً تطويق الأراضي من خلال البناء أو الزراعة أو الصناعة، لمنع التجمعات العربية الفلسطينية من التوسع وللمحد من الأراضي الممكن البناء عليها . بل وصل الأمر لانكار حق بعض التجمعات في الوجود ، كما يحدث في حالة القرى غير المعترف بها، فلا توجد أي حالات لتغيير الأرض لصالح التنمية للعرب، "فإدارة التخطيط من خلال وزارة الداخلية عليها وضع تعليمات تفصيلية لخطط التنمية في القطاع العربي وذلك لتشجيع الانشاءات راسياً والسماح للبناء على رقع صغيرة من الأراضي ولتخصيص أراضي الدولة للانشاء العام والخاص من خلال إدارة الأراضي الاسرائيلية". (تقرير لجنة ماركوفيش) .

* الصندوق القومي اليهودي (JNF) :

هذا ويتم تحويل ملكية الأراضي العامة المجاورة للتجمعات من العرب الفلسطينيين لصالح الصندوق القومي اليهودي (JNF) ، هذا الصندوق وفق لائحته الأساسية يتم استخدام أراضيها بواسطة اليهود فقط . هذا وقد تم إحباط خطة "بواج شارون" لسنة ١٩٩٨ والخاصة بتحويل الآلاف من الدونامات في الجليل ومثلث النقب لصالح الصندوق القومي اليهودي (JNF) وذلك في إطار المزاوغات للهروب من الضغوط القانونية الخاصة بعدم التمييز في أراضي الدولة .

* الخدمة العسكرية :

ترتبط أسعار أراضي الدولة بأداء الخدمة العسكرية ،

حيث يتم خفض السعر نتيجة تأدية الخدمة العسكرية ، بل ان السعر قد ينخفض بحوالى ٢٠ مرة اعتمادا على تأدية الخدمة العسكرية من عدمها .

وهو ما يعتبر تمييزاً ضد السكان من العرب الفلسطينيين حيث ان ٩٠٪ منهم لا يؤدون اولا يطلبون اساسا للخدمة العسكرية .

ـ التخطيط القومى :

من اجل تحقيق اهدافها السكانية (الديموجرافية) تستخدم الدولة عدد من الطرق للتمييز والتفريق بين اليهود وتجمعات العرب الفلسطينيين وتتضمن .

* الاولوية القومية .

تقوم الدولة باعلان مناطق محددة كاوليات قومية، حيث تمنح هذه المناطق ميزانيات تنموية ضخمة الى جانب المميزات الاقتصادية والاجتماعية الاخرى التى تمنح كحافز لدفع التوسع فى هذه المناطق.

وفى ١٩٩٨ ، ومن حوالى ٤٢٩ منطقة محلية صنفوا على ان لهم وضع الاولوية القومية ، كمناطق A ، كان هناك ٤ مناطق فقط مخصصة للعرب.

* الخطط المحلية .

من ناحية اخرى يتم تأجيل الموافقة على خطط التنمية المحلية للتجمعات العربية ، فالى اليوم تمت الموافقة على خطط تنمية ٢٩ ادارة محلية عربية فقط من حوالى ٨١ ادارة وذلك انتظارا لموافقة السلطة المركزية على هذه الخطط وهو ما يمنع الادارات المحلية من استخدام الميزانيات التنموية الضرورية لتنفيذ هذه الخطط .

* الخطط القومية .

يتم تجاهل المتطلبات الخاصة بالسكان العرب حتى فى الخطط الاقليمية والقومية بل ان خطط التنمية الخاصة بالادارات المحلية العربية يتم انقاصها أو الغاؤها. حيث تضمنت الخطة الجديدة الخاصة بالمنطقة الشمالية (الجليل) مشاكل اساسية منها .

(١) الهيمنة الديموغرافية للاقلية من اليهود على عديد من اجزاء الجليل .

(٢) بقاء الوضع الجغرافى للتجمعات العربية كما هو،

على الرغم من منح النولة مؤخراً " بلدية Nazareth ارض لبناء منطقة صناعية كجزء من خطة التنمية المحلية ، وقد تم تطوير جزء من هذه الاراضى فيما بعد كمناطق بيئية فى الخطة القومية لاسرائيل ٢٠٢٠ ، مما يمنع العمل بهذه المنطقة من الاساس .

* مشاركة العرب .

هناك تمثيل وحيد للعرب الفلسطينيين فى لجان التخطيط القومية ، اليوم ، وحتى وقت قريب كان لا يوجد احد .

كذلك فان العرب الفلسطينيين غير ممثلين فى ادارات التخطيط الخاصة بالمقاطعات أو المحليات .

ـ الطرد القسرى .

تتعرض المنازل المنشأة خارج اطار التخطيط أو بدون تصريح للتخصيص للهدم، مما يجعل قوانين التخطيط قوانين تمييزية، فبينما يتم التساهل مع البناء غير القانونى فى التجمعات اليهودية فانه يتم توقيع عقوبات صارمة فى التجمعات العربية ، حيث يتم استخدام قرارات الهدم لتغيير وضع التجمع العربى.

هذا و سجل تقرير وزارة الداخلية لعام ١٩٩٦ ان ٥٧٪ من المنشآت العربية تم بناؤها بدون تصريح ومثلت نسبة ٩٠٪ من قرارات الهدم؟ فهناك ١٢,٠٠٠ قرار هدم فى الجليل وحدها .

هذه السياسة تعد مجحفة وبشكل خاص بالنسبة للمقيمين فى القرى " غير المعترف بها " بواسطة الدولة ، حيث انهم غير قادرين على الحصول على تصاريحات البناء تحت اى ظرف ، بل ان قرى كاملة مرفوع عليها دعاوى فى المحاكم الى جانب قرارات الهدم.

كما تعاني هذه القرى من شروط معيشية صعبة، وذلك لان المنازل التى لا تأخذ تصريح لا يمكن قانونا ان تمد بالمياه، الكهرباء أو اى من الخدمات الاساسية.

هذا وتستمر الحكومة فى سياسة انكار الحقوق الاساسية للقرويين من اجل الضغط عليهم ليرحلوا .

ومن ضمن الاجراءات التى تستخدم لتطبيق هذه السياسية ، عدم توفير الخدمات وهدم المنازل مما يضع اساس لسياسة الطرد القسرى.

◆ ترجمات عبرية ◆

ما بعد الانتخابات



ملف العدد

نصوص الاتفاقيات الائتلافية

هآرتس
١٩٩٩-٧-٦

الحكومة الألمانية لضحايا النازي على نحو مستقل أي أنها لن تعتبر دخلاً متعلقاً بمخصصات التأمين .

ب - ستستمر الحكومة في العمل من أجل التوصل إلى حل يتماشى مع المؤسسة الحاخامية بشأن تسجيل الزيجات التي تمت على نحو منافي للشرعية اليهودية .
المناصب والمسئولية

أ - سيشتغل من سيعمل بالحكومة من قبل كتلة "يسرائيل باعلياه" "منصب وزير الداخلية ، وسيكون الوزير شريكا في بلورة سياسة الحكومة تجاه سياسات دول الكومنولث والطوائف اليهودية المقيمة بها .

ب - من المسلم به أن رئيس الوزراء لن يطرح أية تعديلات وزارية متعلقة بوزارة الداخلية قبل التشاور مع وزير الداخلية .

ج - سيتم تعيين عضو كنيسيت من قبل كتلة "يسرائيل باعلياه" ككاتب لوزير الهجرة والاستيعاب

د . سيعمل الوزير المعين من قبل "يسرائيل باعلياه" رئيساً للجنة الوزارية المختصة بشؤون الهجرة والاستيعاب وسيكون لكتلة يسرائيل باعليه تمثيل في لجان الكنيسيت بما يتماشى مع مكانتها النسبية في الكنيسيت .

الاتفاق مع كتلة الحزب الديني القومي (المفدال)

نظراً لأن رئيس الوزراء وكل من كتلة "يسرائيل ايحات" و"المفدال" توصلوا إلى اتفاق بشأن إقامة ائتلاف يرأسه ايهود باراك ، ونظراً لأن حزب المفدال مطالب خاصة سيتم الأخذ بها في دورة الكنيسيت الخامسة عشرة فقد وافق رئيس الوزراء والأطراف المعنية على النقاط التالية :

١ - تشكل الخطوط الرئيسية لسياسة الحكومة والاتفاق الائتلافي جزءاً لا يتجزأ من هذا الاتفاق .

٢ - سيتم الحفاظ في دورة الكنيسيت الخامسة عشرة على

١ - الاتفاق مع كتلة يسرائيل باعلياه

يما أن رئيس الوزراء وكتلة "يسرائيل باعلياه" توصلوا إلى اتفاق بشأن إقامة ائتلاف برئاسة ايهود باراك ، ونظراً لأن كتلة يسرائيل باعلياه لها مطالب خاصة سيتم تطبيقها في دورة الكنيسيت الخامسة عشرة فقد اتفقا .

١ - تشكل الخطوط العامة لسياسة الحكومة والاتفاق الائتلافي جزءاً لا يتجزأ من هذا الاتفاق .

اتفاقيات السلام والتسويات المرحلية

أ - تعارض الحكومة إلغاء أو تغيير قانون نظم السلطة والقانون (إلغاء تطبيق القانون والقضاء الإداري) إلا إذا تم التوصل إلى اتفاق مع سوريا يمكن معه طرحه على الشعب في إطار استفتاء للتصويت عليه ، وأن يظل البند الثاني من القانون ساري المفعول .

ب - ستعارض الحكومة وبما يتماشى مع نتائج الاستفتاء الشعبي إلغاء أو تغيير قانون هضبة الجولان الصادر عام ١٩٨١ .

ج - لا يعني ما تقدم تقييد حرية رئيس الوزراء في دفع عجلة المفاوضات مع سوريا لتحقيق السلام

د - ستستمر الحكومة في الإبقاء بكافة الاحتياجات المرتبطة بحياة المستوطنين في هضبة الجولان .

هـ - يحق لكتلة "يسرائيل باعلياه" التعبير عن موقفها بشأن المسيرة السياسية مع سوريا ، وترى هذه الكتلة أن التوصل إلى أي اتفاق سلام مع سوريا وتطبيقه يجب أن يقوم وعلى نحو تدريجي على تحلي النظام السوري بالديمقراطية والانفتاح والشفافية .

الاهتمام بالمهاجرين وضحايا النازي

أ - ستحرص الحكومة على التعامل سواء من خلال التشريع أو أية وسيلة أخرى مع أموال التعويضات التي تسدها

ما هو قائم في كل الأمور الدينية .

٢- سيتم تشكيل لجنة وزارية لبحث موضوع "التهويد" وستقدم هذه اللجنة للحكومة توصياتها بخصوص هذا الموضوع لحسمه إما من خلال القانون أو أي طريق آخر . وستوضع في الاعتبار توصية لجنة "نثمان" والوضع القائم في هذا المجال .

٤- سيتم قصر طرح أية مبادرات تشريعية في المواضيع الدينية على الحكومة فقط .

اتفاقيات السلام والتسويات المرحلية
أ- لن تلغي الحكومة أو تغير قانون نظم السلطة والقضاء (إلغاء تطبيق القانون والقضاء الإداري) إلا إذا تم التوصل إلى اتفاق مع سوريا يمكن طرحه أمام الشعب للتصويت عليه في إطار استفتاء شعبي . وسيظل البند الثاني من القانون ساري المفعول .

ب- ستعارض الحكومة بما يتماشى مع نتائج الاستفتاء الشعبي إلغاء أو تغيير قانون هضبة الجولان الصادر عام ١٩٨١ .

ج- لا يتضمن ما تقدم أي شيء يمكنه أن يقيد حركة رئيس الوزراء على صعيد دفع المفاوضات مع سوريا لتحقيق السلام .

د- يحق لكل "المفدال" التعبير عن مواقفها بشأن تفسير إسرائيل لقراري ٢٤٢ و ٢٣٨ الصادرين عن الأمم المتحدة .

هـ- ستستمر الحكومة في الإيفاء باحتياجات المستوطنين في الجولان .

٦- مناصب ومسئولية

أ- سيشغل الوزير الذي سيعين في الحكومة من قبل حزب المفدال منصب وزير البناء والسكان

ب- سيشغل نائب الوزير الذي سيعين من قبل حزب المفدال منصب نائب وزير التعليم

ج- سيتولى أحد أعضاء الكنيست المنتخبين من قبل حزب المفدال رئاسة إحدى اللجان الوزارية .

د- سيكون أحد نواب رئيس الكنيست من نواب حزب المفدال في الكنيست .

هـ- سيكون لحزب المفدال ممثلين في لجان الكنيست بما يتماشى مع ثقل الحزب بالكنيست .

و- سيكون أحد أعضاء لجنة تعيين القضاة وزيرا من قبل حزب المفدال .

* وزارة الأديان

أ- سيشغل ممثل حزب شاس طيلة الدورة البرلمانية منصب وزير الشؤون الدينية

ب- سيشغل مندوب حزب المفدال طيلة الدورة البرلمانية منصب نائب وزير الشؤون الدينية

ج- سيقوم وزير الشؤون الدينية بتعيين من يراه حزب المفدال مناسباً لشغل منصب مدير عام الوزارة ، وسيتم التعيين بالتشاور مع الحزب ورئيس الوزراء .

د- سيتم إدارة شؤون الوزارة من خلال التعاون بين الوزير ونائبه . وفي إطار هذا التعاون فسيقوم الوزير بإطلاع نائبه على إجراءات تعيين بعض الأفراد .

*ستتمثل صلاحيات نائب وزير التعليم في التعليم الديني ، وتلك المجالات التي يرى رئيس الوزراء أنها تدخل في اختصاصه .

لن تقوم مؤسسات حزب المفدال بالتصديق على هذا الاتفاق دون الموافقة على صلاحيات نائب الوزير .

الاتفاق مع كتلة يهودوت هتوراه

نظراً لأن رئيس الوزراء وكل من كتلة "يسرائيل ايحات" و "يهودوت هتوراه" توصلوا إلى اتفاق بشأن إقامة ائتلاف برئاسة ايهود باراك وبمشاركة هاتين الكتلتين ، وبما أن لكتلة "يهودوت هتوراه" مطالب خاصة سيتم تطبيقها في دورة الكنيست الخامسة عشرة فقد وافق رئيس الوزراء والكتلتان سالفتي الذكر على النقاط التالية :

١- تشكل الخطوط الأساسية لسياسة الحكومة والاتفاق الائتلافي جزءاً لا يتجزأ من هذا الاتفاق . وتعتزم كافة الأطراف بذل أقصى جهد ممكن للتوصل إلى تفاهم واتفاق بشأن موضوع تجنيد من يدرسون في الأكاديميات المتخصصة في الدراسات التلمودية

٢- سيتم الحفاظ وفي إطار دورة الكنيست الخامسة عشرة على الوضع الراهن في كل ما يتعلق بالأمور الدينية

٣- سيقوم وزير الدفاع فور الانتهاء من تشكيل حكومته بتشكيل لجنة ستضم في صفوفها مجموعة من رجال القضاء . وستضم هذه اللجنة في صفوفها مندوبين عن رئيس الوزراء ووزير الدفاع ومستشار الحكومة القانوني ومندوبين عن لجنة الأكاديميات سألقة الذكر (والتي سنشير إليها فيما بعد باسم "اللجنة") . ويهدف هذا التشكيل إلى التوصل إلى تسوية قانونية مناسبة بشأن تجنيد أبناء الأكاديميات الدينية .

٤- أ . نظراً لأن محكمة القضاء العالي حكمت بأنه لا يحق لوزارة الدفاع بموجب القانون الحالي إرجاء الخدمة العسكرية لأي فرد كان لتفرغه للدراسة بالأكاديميات التلمودية . ولا يمكن لوزارة الدفاع إرجاء الخدمة طالما أن القانون لم يخوله هذا الحق . ونظراً لأن النية لا تتجه إلى حرمان أبناء هذه الأكاديميات من مواصلة دراساتهم فمن الضروري تعديل الصورة المتكاملة لقانون الخدمة العسكرية الصادرة في عام ١٩٨٦ على نحو يكفل لوزارة الدفاع صلاحية الاعفاء من الخدمة العسكرية لاعتبارات دراسة التوراة . وسيتم تكليف اللجنة بأن تقدم لرئيس الوزراء خلال ثلاثة شهور الصيغة المعدلة للقانون .

ب سيجتث الجيش الاسرائيلي وبون المساس بكل ما تقدم السبل والظروف التي من الممكن أن يتم في إطارها تشكيل أطر مناسبة يمكن لبعض المنتمين للقطاع الحريدي أن يخدموا في إطارها بالجيش الاسرائيلي . وتشمل هذه الأطر تخفيض سن الاعفاء من الخدمة العسكرية إلى سن الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين ، وتهدف هذه الخطوة إلى تمكين الشباب من الاندماج في العمل بعد أن يكون قد تم منحه الحد الأدنى من الاعداد العسكري . وسيتم توفير هذا

الحد بما يتماشى مع إمكانيات الجيش واحتياجاته .
 ٥- سيتم الحفاظ على التسويات القائمة حتى تنتهي اللجنة من عملها .
 ٦- سيقترن طرح أية مبادرات متعلقة بسن أية تشريعات دينية على الحكومة .
 ٧- نظرا لاحترام مكانة المتوفي فسيتم إقرار أنه إذا تم الكشف عن أية مقابر أو عظام بشرية فإن العمل في هذا الموقع سيتم بموجب التسوية التي تقرها الحكومة .
 ٨- سيتم بقدر الامكان تجنب المساس بطرق حياة الحريديم في المناطق التي يشكلون فيها غالبية السكان .
 ٩- ستحرص الحكومة على احترام قداسة يوم السبت والاعياد اليهودية .
 ١٠- لن يتعرض أي عامل إلى أي ضرر أو أذى بسبب احترامه لقداسة يوم السبت وامتناعه عن العمل .
 ١١- سيتم الحفاظ على مكانة التعليم الحريدي في المؤسسة التعليمية .
 سيعمل أحد أعضاء الكنيسة المنتخبين من قبل حزب "يهادوت هتوراه" كمنوب للكنيسة بلجنة تعيين القضاة .

الاتفاق مع كتلة ميرتس

بما أن رئيس الوزراء المنتخب وكلا من كتلة "يسرائيل ايحات" و "ميرتس" توصلوا إلى اتفاق بشأن إقامة ائتلاف فيما بينهم برئاسة ايهود باراك ، وبما أنه توجد لكتلة "ميرتس" بعض المطالب الخاصة في دورة الكنيسة الخامسة عشرة فقد وافق رئيس الوزراء وكل من التكتلين على ما يلي :
 ١- تعد الخطوط الأساسية لسياسة الحكومة والاتفاق الائتلافي جزءا لا يتجزأ من هذا الاتفاق .

طلاب الأكاديميات التلمودية

٢- ترى كتلتا "ميرتس" و "يسرائيل ايحات" أن الخدمة العسكرية بالجيش الاسرائيلي تعد واجبا قوميا يفرض على كل يهودي . ويلتزم تكتل ميرتس بأن يؤيد في الكنيسة سن قانون يحسم موضوع التجنيد ، وإعفاء طلاب الأكاديميات التلمودية المتخصصة من الخدمة . وسيتم التفاوض بشأن هذا الموضوع مع كافة المعنيين بالأمر .

٣- سينضم تكتل ميرتس إلى الائتلاف بعد الاتفاق على قيام الحكومة بالعمل في الكنيسة الخامس عشر على استكمال القوانين الرئيسية وبلورتها على نحو يجعل منها دستورا للدولة في موعد يوصي به رئيس اللجنة التي ستعينها الحكومة لبحث الموضوع .

القدس

٤- يحق لميرتس أن يعبر عن موقفه بشأن القدس ، فيرى الحزب أن القدس عاصمة لإسرائيل ، ولن يتم تقسيمها مرة أخرى . وسيرتبط تحديد الوضع النهائي للمدينة بالاعتبارات الدينية والقومية الخاصة بالقدس . وسيؤيد حزب ميرتس أي اتفاق خاص بالقدس يتم الاتفاق عليه من قبل الطرفين . وحتى يتم التوصل إلى هذا الاتفاق فيدعو "ميرتس" الطرفين تجنب اتخاذ أية إجراءات فردية تفرض ببدورها أي واقع .

٥- من خلال الاهتمام بحرية البحوث العلمية والأثرية سيتم إقرار استمرار العمل في الأماكن التي يتم الكشف فيها عن

أية مقابر أثرية أو عظام بشرية وفقا للنظام الذي ستراه الحكومة مناسبا وبما يتماشى مع القانون .

٦- ستعمل الحكومة على استكمال القانون الذي يمنح المواطنة للأقارب الذين هم من الدرجة الأولى لمن يخدمون بالجيش .

٧- سيتم منح حزب ميرتس حق التصويت في كل الأمور الدينية وبما يتماشى مع إطار التشاور المسبق ووفقا للتسوية التي سيتم التوصل إليها مع رئيس الوزراء .

٨- ستجري أحزاب "يسرائيل ايحات" و "ميرتس" و "الوسط" اتصالا مستمرا مع التكتلات العربية بالكنيسة بغرض معالجة القضايا التي تشغل اهتمام المواطنين العرب في إسرائيل .

٩- سيعبر تكتل "ميرتس" عن تطلعه لأن يكون التعليم إجباريا ، وأن يتم توحيد مناهج التعليم حتى يصبح من الممكن توحيد الشعب .

١٠- مناصب ومسئولية

أ- سيشغل أعضاء الحكومة المعينين من قبل "ميرتس" وزارات التعليم والصناعة والتجارة

ب- سيشغل أحد أعضاء ميرتس منصب نائب وزير الخزانة

ج- سيشغل أحد أعضاء ميرتس منصب رئيس إحدى لجان الكنيسة

د- سيكون أحد أعضاء تكتل "ميرتس" نائبا لرئيس الكنيسة

هـ- سيكون أحد ممثلي الحكومة بلجنة انتخاب القضاة وزيرا من قبل "ميرتس" .

١١- يعلم وزير التعليم المعين من قبل حزب ميرتس أن لنائبه المعين من قبل الحزب الديني القومي (المفدال) صلاحيات ومسئولية الاشراف على التعليم الديني ، ومع هذا فليس من شأن هذه الصلاحيات المساس بصلاحيات الوزير .

الاتفاق مع كتلة الوسط

بما أن رئيس الوزراء وكل من تكتل "يسرائيل ايحات" و "الوسط" توصلوا إلى اتفاق بشأن إقامة ائتلاف فيما بينهم برئاسة ايهود باراك ، وبما أن لتكتل "الوسط" مطالب خاصة في دورة الكنيسة الخامسة عشرة فقد وافق رئيس الوزراء والتكتلات سالفة الذكر على ما يلي :

١- تشكل الخطوط الأساسية لسياسة الحكومة والاتفاق الائتلافي جزءا لا يتجزأ من هذا الاتفاق .

٢- سينضم تكتل الوسط إلى الائتلاف على اساس من التفاهم مفاده أن الحكومة ستعمل على استكمال دستور إسرائيل من خلال سن بعض القوانين الرئيسية غير القائمة حاليا في موعد يوصي به رئيس اللجنة التي ستعينها الحكومة بخصوص هذا الموضوع .

٣- يصير تكتل الوسط على أن تقدم اللجنة التي ستشكل وفقا للبند الثاني توصياتها في الموعد الذي سيوصي به رئيس الوزراء .

٤- سيعبر تكتل الوسط عن تطلعه لأن يكون التعليم إلزاميا ، وأن تتضمن العملية التعليمية برامج دراسية أساسية من شأنها تحقيق مزيد من الوحدة .

٥- ستجري أحزاب "يسرائيل ايحات" و "ميرتس" و "الوسط" اتصالات دائمة مع الكتل العربية بالكنيست بغرض معالجة القضايا التي تهم المواطنين العرب .

٦- سيكون لتكتل الوسط حق التصويت في القضايا الدينية بما يتماشى مع منظومة التشاور المبكر ووفقا للنظام الذي سيتم الاتفاق بشأنه مع رئيس الوزراء .

٧- مناصب ومسئولية

أ- سيكون نائب رئيس الوزراء وزير المواصلات عضوا بحزب الوسط

ب- سيكون أحد أعضاء حزب الوسط نائبا لوزير السياحة

ج- سيكون أحد أعضاء الوسط رئيسا لإحدى لجان الكنيست

د- سيكون أحد نواب رئيس الكنيست عضوا بحزب الوسط

هـ - سيكون لحزب الوسط تمثيل في لجان الكنيست المختلفة بما يتماشى مع حجمه النسبي بالكنيست .

و - سيشغل أحد أعضاء الكنيست المنتخبين من قبل حزب الوسط وبالتناوب منصب مندوب الكنيست في لجنة تعيين القضاة .

الاتفاق مع كتلة شاس

بما أن رئيس الوزراء وكل من كتلة "يسرائيل ايحات" و "شاس" قد توصلوا إلى اتفاق بشأن إقامة ائتلاف برئاسة يهود باراك ، وبمشاركة هذه الأطراف ، وبما أن لكتلة "شاس" بعض المطالب الخاصة في دورة الكنيست الخامسة عشرة فقد وافقت كل الأطراف على ما يلي :

١- تشكل الخطوط الأساسية لسياسة الحكومة والاتفاق الائتلافي جزءا لا يتجزأ من هذا الاتفاق .

٢- سيتم الحفاظ على الوضع الراهن في كل القضايا الدينية في ظل دورة الكنيست الخامسة عشرة .

٣- تجنيد أبناء الأكاديميات التلمودية

أ- سيقوم وزير الدفاع فور الانتهاء من تشكيل الحكومة بتكوين لجنة ستضم مندوبين عن رئيس الوزراء ووزير الدفاع ، ومستشار الحكومة القانوني ، ومندوبين عن لجنة الأكاديميات التلمودية . وسيتمثل دور اللجنة في بلورة تسوية قانونية مناسبة لموضوع تجنيد طلاب هذه الأكاديميات .

ب- نظرا لأن محكمة القضاء العالي أصدرت حكما وبموجب القانون الحالي بأنه لا يحق لوزير الدفاع إعفاء أحد من الخدمة العسكرية بدعوى تفرغه لدراسة الشريعة ، ونظرا لأن النية لا تتجه لحرمان هؤلاء الطلاب من تفرغهم للدراسة فسيكون من الضروري تعديل قانون الخدمة العسكرية (بصورته المعدلة) الصادر في عام ١٩٨٦ وعلى نحو يخول لوزير الدفاع حق الاعفاء من الخدمة العسكرية .

وسيتكليف اللجنة في أولى مراحل عملها بأن تعرض على رئيس الوزراء وفي غضون ثلاثة شهور صيغة تعديل القانون على نحو يساعد الحكومة على تجنب وضع يكون فيه إرجاء الخدمة منافيا للقانون .

ج- سيبحث الجيش الاسرائيلي وبون المساس بكل ما تقدم

عن الطرق والوسائل المناسبة التي يمكن في إطارها توفير أطر ملائمة يمكن لأبناء القطاع الحريدي العمل في إطارها .

٤- سيتم تشكيل لجنة وزارية مختصة بموضوع "التهويد" وستعرض هذه اللجنة على الحكومة توصياتها التي ستضع في اعتبارها توصيات لجنة "نئمان" والوضع الراهن .

٥- ستعمل الحكومة على إيجاد حل لإخضاع قنوات التليفزيون والاذاعة لإشراف رسمي وعلى نحو يكون في صالح القطاع الحريدي .

٦- سيكون من اختصاص الحكومة فقط سن كل التشريعات الخاصة بالمواضيع الدينية .

٧- ستعمل الحكومة على احترام قداسة يوم السبت والاعياد اليهودية .

٨- مناصب ومسئولية

٨-١ سيتولى أعضاء الحكومة الذين من طرف حزب شاس المناصب التالية

أ- وزير شؤون الأديان بما يتماشى مع الظروف الواردة في بند ٨ - ٢ الذي سيلي ذكره

ب- وزير البنى القومية

ج- وزير العمل والرفاه

د- وزير الصحة

هـ - سيشغل أحد الوزراء المعينين من قبل حزب شاس منصب نائب رئيس الوزراء

٨-٢ وزارة الأديان

أ- سيكون ممثل حزب شاس طيلة الدورة الحالية وزيرا للشؤون الدينية

ب- سيكون ممثل حزب المبدال طيلة الدورة الحالية نائبا لوزير شؤون الأديان

ج- سيقوم وزير شؤون الأديان بتعيين مرشح حزب المبدال في منصب مدير عام الوزارة

د- سيتم إدارة شؤون الوزارة من خلال التفاهم والتعاون بين الوزير ونائبه

٨-٣ سيشغل أحد أعضاء الكنيست المنتخبين من طرف حزب شاس منصب نائب وزير الداخلية

٨-٤ من المتفق عليه في كل ما يتعلق بإحداث أي إصلاح في الوزارات الحكومية أن رئيس الوزراء لن يطرح أي مقترح بشأن إجراء أي تعديل في شؤون البنى القومية إلا من خلال المختص مع مع الوزير المختص بشأن الحلول وطرق الإصلاح .

٨-٥ سيتم تعيين عضوي كنيست من طرف حزب شاس في منصب نائب رئيس الكنيست .

٨-٦ سيتم تعيين عضوي كنيست من طرف حزب شاس في منصب رئيس إحدى لجان الكنيست

٨-٧ سيكون لحزب شاس تمثيل في لجان الكنيست بما يتماشى مع ثقته في الكنيست

٨-٨ سيشغل وزير من قبل حزب شاس منصب ممثل الحكومة بلجنة تعيين القضاة

كلنا همجيون

نحن نعيش في مجتمع معجب بالقوة وضرب الضعفاء. ومن أجل تدمير العنف يجب أولاً تغيير هذه الروح دماء أخواتي تصرخ إلى من الأرض والصور تعكس مناظر البشاعة لأنهار الدم داخل روتين مجتمع - والذي تجمد للحظة - فالصور لا تعالج. أين أخطأنا، وكيف بحق الجحيم نترك ذلك ليحدث كل مرة من جديد، وما هو مصدر قلة الحيلة (لا حول ولا قوة) التي لدينا جميعاً؟ التليفزيون يذيع من ساحة القتل، محطات الراديو تطحن الكلمات، والاحصائيات تبارك؟ والجيران يجرون أحاديث صحفية، وكل ذلك يتكرر والعياذ بالله. نعم تتكرر كذلك العادة والاعتقاد بالشعور بالندم (وإعتراف بالذنب مع وخز الضمير) حيث أن القائمة المكتوبة بهذا المقال هي جزء منها.

إن جدول الأعمال الجماهيري لدينا تمليه الأحداث وهو مبنى من صعود وسقوط ومن صرخات وفترات صمت. وفي أقصى درجات النقاش الساخن والمتهب حول عنف الشباب، تحدث كارثة فظيعة في ديمونة، زوجة وإبناها يذبحون، ومركز الثقل للإنشغال العلني مرة أخرى يتأرجح نحو الإرهاب ضد النساء.

إن أسباب العنف الذي يحدث في بيئتنا يحلله المعلقون من وجهات النظر المختلفة. إنه عمل كبير لرجال علم الاجتماع، والتربويين، وعلماء علم النفس الاجتماعي، وعلماء النفس والمؤرخون.. وربما أيضاً العلماء المتخصصون في علم الحيوان، إلا أنه لا يجب إهانة الحيوانات، فيبدو أنه من الطبيعة أن يوجد نظام اجتماعي أكثر صلابة وتوازن من الذي يمكن إيجاده في الغابة التي نعيش فيها. إننا مجتمع عسكري يعيش على الخرائب (الانقراض) ويقدم المأسى مجتمع إصبعه جاهزه على الزناد ويبعث في الأرض فساداً (طاغية) ومنذفوع وراء شهواته، مجتمع يدعى معرفة كل شيء عن أي شيء أكثر من الجميع، إنه مجتمع لا يصفى للضعيف أو للأخر، والهوامش تندفع أكثر للهامشية حتى غطت المركز.

إن الهوامش ليست مغيبة لدينا. إننا نحن الذين نسير في أثناء نومنا، غير مركزين، غير موحدين الصفوف، والمأخوذ من أعناقنا، تاركين للهمجية وللفضاظة أن

ينتصروا، ونتيح للعنف أن يسيطر.

إن جسد الإنسان هو الوعاء الذي يستوعب روحه، وحرية الجسد والنفس هي أولاً وقبل أي شيء الحق في أن تكون سيدهم في كل عمر ولحظة من الحياة، وفي أي حال. ولو كان الفهم والأدراك لذلك موجود وله جذور في كل واحد فينا من الرضاعة والطفولة وحتى البلوغ، لما كان هناك ولد يضرب ببساطة جسد صديقه، ولكانت قدسية الجسد قد تطورت إلى قدسية الحياة، والعكس. وطالما قدسية الإمتلاك الشخصي موجودة بالنسبة للسيارة وللغير - فالزوجة هي من المتعلقات وأحياناً كثيرة أيضاً الأولاد - وليست موجودة بالنسبة لأنفسنا ولجسودنا، فإنه لن تأتي نهاية للعنف، وللعنوان وللإغتال.

إن تجاوزاً وقحاً في الطرق هو بمثابة دعوة لحادث، وأن دفعاً في صف أمام نادى هو دعوة لمشاجرة عنيفة، والانتماء الطائفي أو القومي الآخر هو دعوة للإذلال، وخلافات الرأي السياسية هي دعوة لرصاصة في مظهر أو في الرأس، وإن إعلاناً شهوانياً لمشروب صيفي هو دعوة للإعتداء الجنسي، وحب غير كاف هو دعوة للإغتال والقتل معروفة مسبقاً.

كان يجب علينا أن نكون مائلون لوقف ذلك، وقطع تلك الدائرة المشعوذة التي لا يوجد أحد على استعداد لأخذ المسؤولية عليها حتى النهاية، تلك الدائرة المشبعة بالمزاعم التي لا أساس لها من الصحة، فيما يتعلق بضرورة التوازن إزاء الرجال المضطهدين أيضاً والذين يقتلون، وفيما يتعلق بالمبالغة في مزاعم المطاردات والاعتداءات الجنسية.

لا يوجد هنا مكان لتوازن مقدس. إن الضعفاء يضربون في مجتمعنا البربري (الهمجي)، و الضعفاء هم نساء، وأولاد، وعجائز وآخرون. إن مجتمعنا من أعلى دهايز السلطة وحتى أصغر مقاعد الأطفال، تضرب ضعفائها وتعجب بالقوة إلى درجة الشمالة. وحتى ننجح في تغيير ذلك الشعور العام (الحالة النفسية)، فإننا سنستمر في إحصاء موتانا، ونبكي على الهمجية وعلى الإذلال. إن هذا ليس موضوعاً لتغيير السلطة، بل لتغيير العقلية في الرأس.

آمال وتوقعات

والذين يستطيعون أن يكونوا عوناً لرئيس الوزراء في توجيهه لتحقيق أهدافه.

إن في تشكيل الوزراء توجد تجديدات ذات أهمية. فوجود د. يوسي بيلين في وزارة العدل من الممكن أن تظهر كعامل منشط، رغم أنه ليس رجل قانون، وعلى وجه الخصوص من المهم أن نتابع وجود مثقف مثل البروفيسور شلومو بن عامي على رأس منظومة الشرطة.

فإن حقوق الإنسان يتم تحديدها هناك حتى قبل تعرضها للاختبار في المحاكم. فلا مجال للحفاظ من المناصب التي قبلها الوزراء على أنفسهم. فإذا كانت داليا إيتسيك والتي تسلمت وزارة البيئة تشعر بأنها تلقت وزارة تنفيذية أصغر من تطلعاتها، فيجب أن نذكرها بأن حماية البيئة هي المشكلة الكبرى التي تواجه النول العصرية في بداية القرن القادم، وهي مشكلة مركزية بالذات لدولة، ذات مستوى معيشي مرتفع ومساحة صغيرة كإسرائيل. ومع ذلك فهناك تحفظ على أن وزيرة واحدة فقط هي الجديرة بالتواجد في الحكومة الجديدة.

هناك أملاً كبيرة تعلقت برئيس الحكومة باراك منذ انتخابه. وحتى مع وضعه لتقديم المسيرة السلمية على رأس إهتماماته، فإن ذلك الأمر لا يجب أن يعيق التقدم في مجالات أخرى. فإن عليه وعلى الحكومة أن يحققوا ما وعدوا به بتعميق أسس دولة إسرائيل كدولة ديمقراطية تعتمد على سلطة القانون. ولا نتوقع أن تنجح الحكومة في إصلاح العيوب الاجتماعية بإيماءة يد، ولكن من الواضح أنها ستحسن فعل ذلك إذا ما وضعت النظام التعليمي في صدر إهتماماتها. إن الحكومة خارجة للطريق محملة بالآمال والتوقعات ومباركة الشعب كله تحيطها.

بنهاية معركة إنتخابات متواصلة ومفاوضات ائتلافية طويلة نجح إيهود باراك في تشكيل الحكومة التي سعى إليها منذ أن عرفت نتائج الإنتخابات للكنيست. لقد درس باراك خيارات كثيرة ومختلفة للائتلاف، ولكن يبدو أنه في نهاية الأمر نجح في تحقيق هدفه: وهي حكومة لا تهددها الحرية البرلمانية، فلا يوجد بين شركائه في الائتلاف تكتل يستطيع بمفرده أن يهدد الحكومة بإسقاطها.

وعندما حان الوقت لإختيار وزراء من بين زملائه في حزب العمل نواة تكتل إسرائيلي واحدة، تعامل باراك مع كبار حزبه بشكل أثار الإحباط وخيبة الأمل. فقد شعروا أن رئيس الحكومة لا يتعامل معهم كأول بين مجموعة متساوية (سواسية)، بل كحاكم أوحده، والذي برغبته يعين ويرغبته يرفض المرشحين لحكومته. فلم يحظى بأن يبلور حوله طاقم وزراء يتمتع بالثقة والقرب.

لقد قطف (جنى) رئيس الحكومة ثمار تعامله المثير للمشك بسرعة وذلك حين رد من أبعدوا من قربه له برفض مرشحه لمنصب رئيس البرلمان. فقد فضل أعضاء هيئة حزب العمل وتكتلها في الكنيست، فضلوا ترشيح أبراهام بورج على ترشيح شالوم سيمحون، ويمكن أن نأمل أن هزيمة باراك السياسية الأولى، في بيته السياسي، ستعلمه الدرس الصحيح.

ومن الصعب تعريف الحكومة "بحكم الجديرين" حسب وحدة باراك. فقد إختار لعدد من الوزارات الهامة أناس أقل من أفضل الموجودين لتلك المناصب. من المحتمل أن يكون من طبيعه السياسة هي أنها تفرض حلول وسط، ولكن باراك لم يبرهن على أن حلول الوسط التي قام بها هي بالفعل حيوية. ومع ذلك فحكومة باراك لا ينقصها نوى القدرات والكفاءات،

باراك أفضل لليهود

وبمرور ستة أسابيع، إنهارت الأحلام واضطر المنتخبون العرب لإدراك ما يدور. ففي الأيام الأولى التي تلت الإنقلاب مباشرة.. كانوا على أمل أن يدعوهم تليفون من باراك للجلوس حول مائدة المفاوضات الإئتلافية. ومن هنا وهناك وصلت مكالمات من إحدى مساعدي رئيس الحكومة المنتخب، ولكن بسرعة إتضح أن باراك طالب بإرسال السلام لا أكثر ولا أقل. ومرت أيام أخرى واندحش النواب العرب من عرض المدعوين للمفاوضات الإئتلافية. لقد كان من الصعب عليهم

ربما بسبب أنهم أخطأوا بسذاجة، أو ربما بسبب أنهم سقطوا ضحية لشعور بالعظمة، قام أعضاء الكنيست العرب بتضخيم الأوهام على أمل أن هذه المرة ستكون مختلفة. فتباهى هاشم محاميد بأنه سيكون العربي الأول الذي سيرتدي بدلة وزير في الحكومة. وأحمد طيبي سلى نفسه بفكرة أنه ربما يفجر الحاجز التاريخي ويكون العربي الأول الذي سيخترق لجنة الخارجية والأمن، وتمنى محمد بركة أن يتحد اليهود حول ترشيحه لرئاسة الكنيست.

تقبل الصورة التي بدى فيها رؤساء حزب المفدال المهزوم وهم يجلسون مع المنتصرين الجدد وكأنهم جاءوا من نفس القرية. وإندهوا عندما رأوا في التلفزيون كيف أن أريئيل شارون وإيهود باراك يتهامسون فيما بينهم كل في أذن الآخر بكلام ودي.

ومرت عدة أيام أخرى والتليفون المنقذ يأبى الاتصال أو الرنين. وفي النهاية تم دعوتهم للقاء رئيس الوزراء المنتخب. وقبل أن يفيقوا من الانفعال الذي تملكهم، اجتمع كل النواب العرب من حاداش (الجبهة الديمقراطية من أجل السلام) وقاموا بصياغة نصائح في كيفية التصرف إزاء الدعوة الرسمية للانضمام للإئتلاف. وبمشاعر إحتفالية وإيمان عميق، إمتثل النواب العرب أمام رئيس الحكومة على أمل أن يسمعوا منه البشرى الطوة. وقد تزودوا بالتوصيات فيما يتعلق بالخطوط الأساسية ولتوزيع المناصب وكانهم كانوا يهودا في كل الأمور. وعندئذ هبطت عليهم الصدمة. فقد إتضح لهم أنهم دعوا للقاء ودي بين أصدقاء وليس لمفاوضات إئتلافية. فقد تحدث إليهم باراك بأسلوب الأصحاب الذي يميزه، وقام بتوزيع المديح والثناء على تجنيدهم للصوت العربي من أجله. وإعترف لهم وعلى شفثيه إبتسامة عريضة: "بدونكم لم أكن لأنتصر".

وتذكر هاشم محاميد قائلاً: "لقد كنت مذهولاً في ذلك اللقاء الذي كلما طال بدا لي في نظري ليس له معنى. وأضاف قائلاً: لقد أمنت من أعماق قلبي أن فصلاً جديداً قد إنفتح في المجتمع الإسرائيلي، حيث أنه للمرة الأولى منذ قيام الدولة يرتقى العربي إلى درجة متساوية للمواطنة ومتساوية في الحقوق مع زميله اليهودي. لقد صدقت أنه قد طرأ تغيير في العقلية الحاكمة، في صورة الفكر. وفجأة كل شيء عاد إلى سنوات الخمسينات، الحكم العسكري، السيادة، العنصرية وكان شيئاً لم يكن ولم يحدث طوال الـ ٥١ عاماً السابقة. وظل محاميد يتحدث ويروي بألم إحباطاته. وبعد عدة ساعات كان الكنيسيت يقوم بالتصديق على الحكومة الجديدة. وحضر محاميد إلى المبنى كعادته القديمة وأعياناً لما يحدث وبدون أوهام، ومرة أخرى إتضح له الحقيقية المرة بأن دولة إسرائيل هي بالفعل دولة اليهود وأنه ليس بها مكان للعرب كمواطنين متساويين. وأضاف قائلاً: "إن ذلك ليس يوم عيد بالنسبة لي إنه عيد لليهود. الآن فهمت أنه حين كان باراك يتحدث عن دولة لجميع أنه كان يقصد الجميع (بأقل ٢٠٪) السكان العرب".

ويتذكر محاميد زيارات باراك لأم الفحم قبيل الانتخابات، فقد زاره مرتين في منزله واستقبل بترحاب شديد. لقد كان صاحب ودود ويقول محاميد: لقد عانق كل الحاضرين لأنه رجل تعانقه بسهولة وتتكلم معه ببساطة. وللأسف الشديد إكتشفت أنه مثل كل اليهود. فمعظمهم يعاني من طريقة تفكير إسرائيلية - يهودية لم تتطور وظلت مغلقة. وكذلك بعد مرور السنين ظلت صورة العربي من الماضي، العربي الذي من المستحيل إعطاء الثقة فيه.

وفي اليومين اللذين سبقا التصديق على الحكومة الجديدة

تجول النواب العرب في دهايز الكنيسيت بعدم راحة تراودهم الآمال المختلفة ولكن فشلوا في تحقيق أي منها. وقد واكبهم الألم الشديد وهم يفيقون من الأوهام.

وحتى اللحظة الأخيرة لم يعرف النواب العرب كيف سيتصرفون. ففي البداية درسوا إمكانية إبتلاع إهانتهم والاقتراع لصالح الحكومة التي لم ترغب فيهم. وبعد أن فكروا في الأمر، فكروا في الإقتراع ضدها بسبب عدم رغبتها فيهم. وفي النهاية وجدوا مخرجاً في الامتناع، على أمل أن تحدث معجزة وترغب فيهم في المستقبل. وقد قرب بينهم وضع غير المرغوب فيهم. فوضعوا خلافاتهم الشخصية جانبا وإتحوا في كتل سياسي واحد.

وتفاوتت ردود الفعل عندهم، فأحمد الطيبي والذي يعتبر طريقه لليهود أسهل من باقي زملائه، كان من الصعب عليه أن يخفي غضبه. فقد اصطدم بسارا نتنياهو وتبادل الاثنان بينهم الكلمات. وبعد أن قال لها مشاعره بإدركته بقولها: "سوف تشتاقون مرة أخرى لزوجي". فما كان منه إلا أن إبتسم وصمت.

أما أصدقاء طيبي فقد أصابتهم الدهشة، في حين عاد طيبي وقال: "إن باراك يريد أغلبية يهودية" وأضاف: لدى شعور بأنه يكره العرب بل ويخشى أن تلتقط له الصور التذكارية معهم. وأنه عندما قال دولة للجميع فقد كان ينوي ويقصد بالذات للرجال اليهود. والحقيقة هي أنه استهزأ بالسكان العرب جميعاً والذين أعطوه أكثر من ٩٥٪ من الأصوات. وإذا كان هناك إنسان يجري لرئاسة الحكومة ويتجراً في التصوير على جناح طائرة في حين إنسان عربي قاتل وممدد تحت قدمية، فإن ذلك ليس له إلا معنى واحد وهو: "أنه رئيس حكومة لليهود فقط".

وكأنه إندفع نحو مشاعرهم، فقد سارع باراك بعمل خطوة لتهدئة غضب النواب العرب. فذاة التصديق على الحكومة أرسل باراك الوزير حاييم رامون للكنيسيت وفي ديه عرضاً من الصعب رفضه. "الحكومة تدرس تعيين نائب عربي في لجنة الخارجية والأمن للكنيست". نقل لهم ذلك رامون.

وتسبب ذلك الخبر في راحة نفسية في أوساط التكتلات العربية، حيث عقب على ذلك عضو الكنيسيت طالب الصانع من تكتل راعام (القائمة العربية الموحدة) بقوله: "بداية ليست سيئة"، والصانع يرى نفسه مرشحاً مناسباً لذلك المنصب. أما نائب عربي آخر رفض ذكر إسمه فقال: "أن الصراع على المقعد العربي بلجنة الخارجية والأمن من الممكن أن يؤدي لاشغال حرب بين التكتلات العربية الثلاثة". وأضاف لنفترض أنت إخترت واحداً لذلك المنصب، فمن المحتمل أن يأتي جهاز الشاباك (الأمن العام) ويرفضه لأسباب أمنية وتصبح صورتنا كالبهائم. وربما يكون هناك سيناريو آخر، فلنفترض أننا إختارنا نائباً ووافق عليه الشاباك من الناحية الأمنية. ففي نظر الكثير في الوسط العربي، تصديق كهذا سيتم تفسيره بشكل تلقائي كتعاون مع أجهزة الأمن. إنه ليس من السهل أن تكون عربياً في دولة اليهود.

الحكومة الجديدة وحقوق الانسان

هآرتس ١١/٧/١٩٩٩
بقلم / جدعون ليفي

هل تُقدم الحكومة الجديدة على تغيير ما بالنسبة لحقوق الانسان؟ هل ستواصل سياسة الاحتلال التي لا يناسبها سوى وصف ظالمة؟ الاجابة الاولى على ذلك كامنة في مدى التقدم في المسيرة السياسية، إذ لن يكون هناك بديل أخلاقي للاحتلال سوى إلغائه. ولكن ٣٢ عاما علمونا ان اليد المحتلة يمكنها أن تكون قاسية أو أقل قسوة.

إن ما سجلته حكومات العمل لا يبشر بخير من هذه الناحية، وزعماء حزب العمل على اختلاف أجيالهم هم الذين ارتكبوا أخطر وأسوأ صور القسوة والتجاوز في المناطق. فمناحم بيجين كرئيس حكومة لم يطرد ولم يهدم، ربما كان الأكثر إنسانية بين المحتلين، ودان مريدور كوزير للعدل والذي دخل في صدامات مع جهاز الأمن العام، ربما كان الأكثر وعيا بين وزراء العدل جميعا. فالإغلاق والاعتقال، وهدم المنازل، واضطهاد جهاز الأمن والإبعاد، وتكسير العظام - كلها ولدت وتعاضمت في عهد حكم اليسار. ولكن هناك بعض تعيينات في الحكومة الجديدة من شأنها - مع كل هذا - أن تبشر بتغيير وتبث أملاً، ما في قلب ما، بأن الحفاظ على حقوق الانسان، حتى في ظروف الاحتلال، يمس قلوبهم. وبعض تعيينات أخرى لا تضمن منها ذلك.

وليس هناك الكثير يمكن أن نتوقعه في هذا المجال. صحيح أن ايهود باراك تحدث في خطاب تنصيبه عن معاناة الفلسطينيين، وهي خطوة طيبة، لكنه عرف عرب إسرائيل في نفس الخطاب أيضا بأنهم "طائفة أقليات". فهل سيكون مستعد لتخفيف معاناة الفلسطينيين، أم أنه سيجد ثمن ذلك في عينيه "إضرار بالأمن"؟ هل سيفكر في معاناة مليون إنسان قبل أن يقرر استمرار الإغلاق؟ هل رأى مرة ما الذي يتبقى بعد أن تنتهي بلدورات الإدارة المحلية من هدم منزل آخر؟

هل هو مستعد ليضع بين اعتباراته الدلالة المؤثرة من أرض اباء مصادرة؟ هل يعلم كيف تدار الحياة في ظل إغلاق لا نهائي وهل يعنيه الطريقة التي يتم التحقيق بها مع مئات الفلسطينيين كل عام؟ من الصعب أن نتوقع أن تتساوى منظومة حقوق الانسان لأبناء شعب آخر، لدى باراك مع منظومة الأمن، المقدمة أكثر من أي شيء آخر لديه، على الأقل كما كانت لدى جميع سابقه.

كما وأن صورة وزير الداخلية الجديد، ناتان شرينسكي، لا تبشر بخير، ففي السنوات الأخيرة تحول دور وزير الداخلية إلى دور المتحكم في مصير الفلسطينيين والعمال الأجانب ومصدر هام لمعاناتهم. فربما سيكون وزير الداخلية شرينسكي حسنا مع حقوق مهاجرين هناك شك في يهوديتهم، ولكن من المشكوك فيه كثيرا أن يحسن صنعا مع الفلسطينيين والعمال الأجانب. ومنذ أن جاء إلى البلاد كأحد

فرسان النضال للحفاظ على حقوق الانسان في الاتحاد السوفيتي، لم يتوقف شرينسكي عن إثبات أن هذه الصورة الدولية التي رسمها لنفسه لم تكن سوى جاذبية كاذبة. إن شرينسكي مهتم صراحة بالحفاظ فقط على حقوق اليهود، أما المعتقلون دون محاكمة، والمعتزون من التحقيقات، والمطرودون والمهجرون كما هو الحال في الاتحاد السوفيتي، فيجب عليهم أن ينشأوا له بالذات محطة استغاثة، لأن ضحاياهم ليسوا يهودا فحسب.

عندما تسلم هذا الاسبوع منصبه سارع بإعلان عدة سمات، للامح عمله مفادها أنه سيعمل كوزير داخلية "لصالح كل شعب إسرائيل" ولكن في هذه المهمة ربما يجب عليه ألا يهتم فقط بشعب إسرائيل. فهل سيوقف "الترانسفير الصامت" لسكان القدس الشرقية؟ هل سيجهد نفسه قليلا ويصل إلى مكتبه هناك ليرى كيف يعامل الفلسطينيون بقسوة كل يوم؟ هل سيوقف تعقب الانسان البائس من العمال الأجانب؟ هل سيستشعر قلبه مصير طفل فلسطيني مصاب بالسرطان، وفقد العلاج والرعاية الطبية بسبب موظفي مكتبه؟ من الصعب التصديق. فالمحتمل أنه وزير داخلية فقط لشعب إسرائيل.

بالمقابل، هناك بالطبع عدة شعاعات ضوء حقيقية. فإن شلوموه بن عامي كوزير للأمن الداخلي سيعرف كيف يدخل هذه الاشعاعات، يسمح لنا بالأمل، في روح جديدة داخل الشرطة، وخدمة السجون وسلاح الحدود. فإذا نشر بن عامي مبادئه المعلنة بين رجاله، وخاصة بين رجال حرس الحدود، فربما تنتشر بينهم روح أكثر انسانية، وأقل عنفا ومهانة، خاصة تجاه الفلسطينيين والأجانب. ويستطيع بن عامي أن يجعل من اليد القابضة على الزناد بقوة، أخف قليلا. ليس فقط تجاه الفلسطينيين عند نقاط الإغلاق، بل أيضا تجاه الطلاب والتلاميذ. إن بن عامي هو تعيين يثير أملاً كبيراً، لن يكون كاذباً.

ومن التعيينات المشجعة جدا أيضا - تعيين يوسي بيلين وزيراً للعدل. انه ليس رجل قانون، لكنه رجل مبادئ أكثر من بعض سابقه من القانونيين، ولنا أن نثق بأن بيلين سيعمل من أجل القضاء على عدة انحرافات قضائية وأخلاقية وعلى رأسها الاعتقالات الادارية وفساد جهاز الأمن العام (شاباك). ويجب أن يتذكر أسامة برهام الذي ظل سجيناً ما لا يقل عن ست سنوات دون محاكمة. إن وزير العدل - يوسي بيلين يجب أن يكون صوت العدل في الحكومة الجديدة. وهناك احتمال كبير بأن يكون كذلك. وإذا ما انضم اليه بعض الوزراء الآخرين، فسيبدو أن هذه الحكومة تبشر فعلاً بتغيير، على الأقل في هذا المجال الذي تصعب المبالغة في مدى تأثيره سواء على علاقتنا مع جيراننا أو على صورتنا ومظهرنا أمام العالم.

عملية التسوية

هآرتس ٤/٧/١٩٩٩
بقلم / ابراهيم تامير

الخطوط الحمراء للسلام

لإسرائيل بدون أن تكون لها سيطرة في هضبة الجولان، كذلك من الممكن دراسة امكانية تعديل الحدود على أساس مبدأ المساواة والتبادلية. وعلى الجانب الآخر وعندما نتطرق إلى السلام بين إسرائيل والفلسطينيين، فإنه يجب أن نضع في الاعتبار ضرورة التوصل إلى حلول من الممكن تطبيقها ويجب أن تشمل هذه الحلول:

- إقامة دولة فلسطينية داخل حدود سيادية تشمل معظم مناطق يهودا والسامرة وذلك بالإضافة إلى الترتيبات الأمنية القادرة على منع نشوب الحرب وممارسة الارهاب من داخل الدولة الفلسطينية أو من خلال العلاقات بين هذه الدولة مع دول أخرى وعناصر من خارج الحدود.

- أن تكون هناك حدود إسرائيلية سيادية في مناطق يهودا والسامرة وغزة تعتمد على تعديلات في حدود اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩، وعلى الرغم من ذلك تبقى القدس موحدة وتحت السيادة الإسرائيلية وتبقى الكتل الاستيطانية الإسرائيلية التي أقيمت لدواعي الأمن كما هي.

- تبقى المناطق الأمنية تحت سيطرة إسرائيل لفترة طويلة إلى أن يعاد النظر في وضع هذه المناطق. وتكون هذه المناطق في قطاعات الحدود مع مصر والأردن وفي سماء الدولة الفلسطينية وشواطئها. وسوف تتمتع الدولة الفلسطينية بصلاحيات الإدارة المدنية تجاه السكان والنشاط المدني الفلسطيني في هذه القطاعات (مثل الملاحة والطيران).

- يكون هناك نطاق كونهيدرالي في مجالات الأمن والاقتصاد بين إسرائيل والأردن والدولة الفلسطينية.

- أن تكون هناك صلاحيات مستقلة للدولة الفلسطينية في إدارة الأماكن الإسلامية المقدسة في القدس عاصمة إسرائيل وللدولة إسرائيل في مغارة المكابيلا والحرم الابراهيمي.

لقد عرض ايهود باراك في المعركة الانتخابية خطوطا حمراء لا يمكن تجاوزها في السعي نحو اتفاقية السلام. وتبرز هذه الخطوط في المبادئ الأساسية للحكومة.

ولكن يجب أن يكون هناك فصل بين نوعين من الخطوط الحمراء. النوع الأول هو الخطوط الحمراء التي إذا تم تجاوزها يقوم جيش الدفاع بشن هجوم وقائي مثلما حدث في حرب الأيام الستة عندما قام المصريون بادخال فرق مدرعة لسينا. هذا من خلال الحفاظ على الباب مفتوحاً للسلام. وأما النوع الثاني فهو الخطوط الحمراء في اتفاقيات السلام نفسها في مجالات الأمن والحدود الدائمة والتطبيع في العلاقات بين الشعوب وليس فقط بين الحكومات.

وهناك امثلة كثيرة على الخطوط الحمراء الإقليمية والتي لم تساعد على التوصل إلى اتفاقيات سلام منذ بداية عملية السلام العربية الإسرائيلية بعد حرب عيد الغفران. ويجب أن نذكر أنه بفضل توسط الولايات المتحدة والذي شمل مساعدات كثيرة و ضمانات أمنية، وافقت إسرائيل على تقديم تنازلات إقليمية ساعدت في عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ على التوصل إلى الاتفاقيات المرحلية لفصل القوات في جبهات مصر وسوريا، وبعد ذلك التوصل إلى اتفاقيات السلام مع مصر والأردن والاتفاقية المرحلية أو الانتقالية مع منظمة التحرير الفلسطينية. ولكن الاتفاقيات التي تم التوصل إليها حتى الآن لا يمكن أن تتمتع بالاستقرار طالما لم يتحقق السلام العربي الإسرائيلي الكامل.

والآن وبعد أن انتعشت الآمال لتحقيق السلام الشامل، فإنه يجب التوصل إلى حلول من شأنها أن تمنع الخطوط الحمراء من الوقوف عقبة في طريق التوصل إلى اتفاقيات سلام. ومن هذه الناحية فإنه على المستوى الإسرائيلي السوري، يمكن الربط بين الخط الأحمر السوري الذي يطالب بانسحاب إسرائيل إلى حدود يونيو ١٩٦٧ وبين الخط الأحمر الإسرائيلي الذي ينص على عدم الانسحاب من الجولان، وذلك بواسطة ترتيبات أمنية وعلاقات طبيعية توفر الأمن الوطني

(*) كان الكاتب يشغل منصب مدير عام وزارة الخارجية.

لم نكن في هذه الحرب

هآرتس ١١/٦/١٩٩٩
بقلم / ارييه كسبي

الانقلابات العسكرية التي شهدتها الدول العربية في الخمسينات والستينات. كان الرأي السائد يقول أنه لا يوجد شيء أقل استقراراً من الحاكم العربي. وفي السنوات التالية اتضح أن الانظمة التي كان عمرها شهرين ونصف الشهر أصبحت راسخة لعشرات السنين، والزعماء الذين نشك إلى اليوم في سلامة عقولهم، يظهرون قدرة على البقاء جديرة بالثناء.

لقد نصب صدام حسين نفسه رئيساً منذ عشرين عاماً. والقذافي في الحكم منذ ٣٠ عاماً. كذلك اسوأ الزعماء العرب اتضح خلال مسيرتهم أنهم حكام عمليون جداً.

لقد أدى تركيز الحوار العام على الشعارات الأمنية السابقة إلى اضطراب المسؤولين وأصحاب القرار إلى وضع قواعد جديدة للعبة أسفل المنضدة لسنوات طويلة. كما قام مسئولو وزارة المالية، وهم خبراء معروفون في أسلوب السلام، بتقليص ميزانية الدفاع بعناد على مر عشرين عاماً.

كل عام يقومون بتخفيض بنسبة ٨٪ أو نصف في المائة. والشعب الإسرائيلي معتاد على أن يحسب بمفهوم معدل الاسعار للمستهلك. والمسئولون يعلمون أن الاقتصاد ينمو في السنوات الطبيعية بما يتعدى ارتفاع معدل الاسعار. لقد سمحوا لجيش الدفاع بالمحافظة على الموجود في حدود ارتفاع الاسعار، ولكن ليس فيما بعد ذلك. لقد تراجعت نفقات الدفاع الإسرائيلية، التي كانت تمثل عام ١٩٧٧ حوالي ٣٠٪ من الناتج القومي، إلى ٩٪ حالياً. بمفهوم الناتج القومي، أصبحت ميزانية الدفاع أقل من ثلث حجمها في الماضي.

أن المجتمع الإسرائيلي الذي كان عبداً على مر السنين لميزانية دفاع فلكية مازال ينفق ثلاثة اضعاف ما تنفقه دولة عربية أوروبية، ولكن الاقتصاد الإسرائيلي حالياً لم يعد منبثقاً عن ميزانية الدفاع. فالتغيير الذي فرضه رجال الاقتصاد يتضمن قولاً خاف رجال السياسة أن يقولوه للجماهير بلغة واضحة. ان مستوى الخطر الأمني الذي يواجه إسرائيل تراجع بصورة كبيرة. فهم لم يعودوا يريدون تدميرنا. يمكن تقليل بعض الأخطار القائمة بصورة مفيدة جداً ورخيصة جداً بوسائل سياسية.

الحرب التي في الخيال: تدريب الاخطار يعتبر شرطاً لاتخاذ القرارات العملية. المهووسون فقط هم الذين يتأهبون بشكل متساو لجميع الأخطار. لقد تلقينا بشري هذه الأيام بأن جيش الدفاع قد توصل إلى نتيجة تقول أن خطر وقوع حرب شاملة مازال يحتل أسفل القائمة. في المركز الثاني يأتي الإرهاب، ولكن الخطر الأكبر جداً هو الصواريخ الباليستية ذات الرؤوس غير التقليدية التي يمكن اطلاقها من دول بعيدة كالعراق وإيران وليبيا، ويتكلمون عندنا قليلاً عن هذا الخطر.

بتأخير قوامه ١٥ عاماً اكتشفوا في وزارة الدفاع أن خطر نشوب حرب شاملة هو خطر ضئيل، وأن الإرهاب هو خطر

من أجل التأهب للتهديد الحقيقي يجب أن تخبر دولة إسرائيل الشعب ماهو ذلك التهديد.

كالعادة عندنا، بدأوا متأخرين منذ عام الحديث عن (نظرية الأمن الإسرائيلية). وقد اتضح أنه يوجد هذا الأمن. فقد قام اسحاق مورديخاي، وكان وقتها وزيراً للدفاع بتشكيل فريق من الخبراء لبحث الموضوع، ويقولون لنا هذه الأيام أن هناك نتائج. هناك خبراء في الأمن يقولون أن إسرائيل مستعدة منذ سنوات وبشكل مثير للاعجاب للحروب التي وقعت، ولكنها ليست كذلك بالنسبة للحروب القادمة.

لقد ظهرت نظرية الأمن الإسرائيلية في عهد دافيد بن جوريون. اليوم اختلف الأمر تماماً. وأصبحنا شيئاً آخر، والعرب شيء آخر، والعالم مختلف، والتكنولوجيا مختلفة. في البرامج الجماهيرية الحوارية يبدو كأن معارك حرب التحرير مازالت تؤثر على مستقبل الدولة اليهودية.

على مر السنين توارى تعبير الأمن. لقد استخدموه فقط من أجل تبرير التصرفات الغبية وأعمال النذالة، والتي لا تمت لأمن الدولة بأي علاقة. وقد برروا أحياناً باسم الأمن أعمالاً أضرت بأمن الدولة.

لقد اضافوا عدة كيلو جرامات من الأمن لكل جنون سياسي عندنا. وقد سيطرت دعاية اليمين على مجموعة كلمات إعلامية حتى اسحاق رابين تكلم عام ١٩٩٢ عن (المستوطنات الأمنية). وكان المستوطنة المدنية يمكن أن تصبح عامة عبثاً أمنياً. واليوم زال هذا التعبير، وبات واضحاً أن المستوطنة المدنية ليست إلا عبثاً أمنياً فقط.

* العربي المجنون: كانت النظرية الأمنية تقوم على ثلاثة أسس وهي: الردع الفعال، ونظام الانذار والقدرة على الحسم السريع الذي ينقل جبهة العمليات إلى أرض العدو. وقد أدمنا الردع على وجه الخصوص. وأصبح كل من في الحي يخافنا، ولكن ليس بالشكل الكافي. كان الردع بمثابة نجاح محدود. كان أكبر تخوف إسرائيلي ينصب على وقوع حرب عربية شاملة مفاجئة، مثل حرب عيد الغفران، في الماضي لم يكن هناك غموض في نظرية الأمن. أما اليوم فقط أصبح أغلبها منفصلاً عن الواقع. والحرب في لبنان هي نموذج لحالة تؤكد أن أي من عناصر نظرية الأمن التاريخية الإسرائيلية صالح للاستخدام.

لا الردع صالح، فالحقيقة أنهم يواصلون ضربنا في كل نقطة ضعيفة. الردع غير صالح، فهم لا يكفون عن مفاجئتنا. والقدرة على الحسم؟ لقد نسينا امكانية هذا الاحتمال. الأكثر من هذا، فإن اداعا الفاشل في لبنان يضر بقدرتنا العامة على الردع، لأنه يذكرنا اسبوعياً - لمن يريد - بمحدودية القوة الإسرائيلية. كان من العناصر الخفية لنظرية الأمن الإسرائيلية، النظرة إلى العربي المجنون. العرب يكرهوننا كراهية مرضية عديمة المنطق وعلى استعداد لدفع أي ثمن من أجل أن يلقوا باليهود في البحر. ومن الدلائل الثابتة على الغوغائية العربية تلك

ثانوي، ولكن هذه المعلومات لم تصل بعد إلى أغلب المواطنين. هناك فجوة سحيقة بين الحوار العام الذي يديره خبراء الأمن في الأكاديمية وفي الجيش، وبين الحوار الجماهيري. وهذه الفجوة تمثل أحد الأخطار الشديدة على أمن إسرائيل. لا يمكن أن تكون نظرية الأمن الإسرائيلية من شأن المتخصصين فقط. حتى يكون لها تأثير حقيقي على ترتيب الأولويات لدينا يجب العمل على أن يستوعبها أغلب الجماهير. يجب أن تكون في بؤرة العمل الإعلامي. فالقرارات السياسية متأثرة بالحوار العام أكثر من حوار الخبراء. الجمهور مشغول أساساً بالارهاب. الأغلبية تجد صعوبة في أن تدرك أن حماس وحزب الله وحتى الارهاب المشكوك فيه من جانب السلطة الفلسطينية يعتبر موضوعاً مهماً مقارنة بخطر الصواريخ الباليستية ذات الرؤوس النووية.

والاهتمام الجماهيري الشديد والهستيرى بالعمليات الارهابية ليس ظاهرة إسرائيلية. ففي الولايات المتحدة حوالي ٢٠ ألف عملية قتل سنوياً، ولكن مقتل ١٥ شخصاً في عملية أرهابية في مدرسة جذب الاهتمام القومي. في الوقت الذي تحدث فيه الرئيس كلينتون عن الاغتيال في التليفزيون قتل بالطبع عدد مماثل من الأفراد في أماكن أخرى بالولايات المتحدة، بدون أن يبدى الأمريكيون لهم اهتماماً خاصاً. نحن نعيش في واقع تؤثر فيه الرموز الخيالية بقدر لا يقل عن الأحداث الحقيقية.

* الحرب الحقيقية. تعتبر منظومة الدفاع ضد الأسلحة غير التقليدية بمثابة التحدي الحقيقي للمؤسسة العسكرية. لا توجد حالياً لدى إسرائيل منظومة دفاع موثوق بها ضد الصواريخ حاملة الرؤوس غير التقليدية. لقد حظى الصاروخ حيتس في السنوات الأخيرة بإشادات كثيرة. وقد وجدت نقائصها اهتماماً قليلاً. فهناك حاجة إلى صاروخين من طراز حيتس تكلفتها مليوناً دولار من أجل إسقاط سكاك واحد تكلفته مائة ألف دولار. أي أن الحماية من الصواريخ سكاك تفوق عشرة أضعاف ثمن السكاك نفسه. ولكنها ليست مشكلة مال فقط. هناك خبراء يقولون أن فائدة الحيتس مازالت محل شك. ليست هناك أي إمكانية لحماية السماء بشكل تام. أي، حتى لو حقق الحيتس نسب نجاح مرتفعة جداً فإن عدداً من صواريخ العدو سوف تنجح دائماً في اختراقنا وستكون الخسائر غير محتملة. يكفي أن يصل صاروخ نووي واحد إلى قلب تل أبيب حتى يقتل مئات الآلاف. يعتمد أمن إسرائيل في الأساس حالياً على الردع. والردع مبني في الأساس على القدرة النووية. وجزء ملحوظ من قدرة ردعنا تعتبر حالياً سياسية وليست عسكرية. كان من العناصر الأساسية لنظرية الأمن التاريخية أننا نستطيع وقت الطوارئ أن نعلم على أنفسنا فقط.

وهذه تعتبر نظرة شاب في عمر المراهقة. لقد نضجنا قليلاً. فقدرة الردع الإسرائيلية حالياً هي تكامل بين قدرتنا العسكرية والتأييد الذي نلقاه من الغرب. فنظام الانذار ضد الصواريخ متعلق بأقمار التجسس الأمريكية التي حذرتنا في كل مرة كان ينطلق فيها صاروخ سكاك من العراق. كما أن جزءاً من اسلحتنا نشتره من الولايات المتحدة وبعضاً يتم تمويله بأموال أمريكية.

ترتبط مصر والأردن حالياً بالولايات المتحدة. تحتل مصر المركز الثاني في قائمة المساعدات الخارجية الأمريكية بعد إسرائيل. وسيكون الضرر الذي سيلحق بها نتيجة الحرب ضد

إسرائيل كبيراً. في المقابل ستكون الفائدة صفراً. وحقيقة خروج مصر والأردن من دائرة الحرب هي تحييد سوريا. من الصعب أن نتخيل أن يحاول حاكم سوريا الانتصار على إسرائيل بدون وجود تعاون أردني - مصري. وليس الأمريكيون فقط هم الذين يساعدون القوة العسكرية الإسرائيلية. بمرور السنين أصبح العرب متعلقون بالغرب، وهو ما يقتضي من الزعامة العربية أن تضع قواعد اللعبة العالمية في الحسبان. أن قوة الردع الإسرائيلية تتضمن أيضاً الثمن السياسي والاقتصادي الذي ستدفعه الدولة العربية التي ستخرج عن القواعد وتدخل الحرب.

اين يوثاف؟ هناك من يعتقدون أن مناقشة النظرية الأمنية لا يعدو عن أن يكون ترفيهاً ثقافياً. ولكن حتى القرارات الحيوية التي ستتخذ صباح الغد متأثرة بالنظرية الأمنية. أن لدينا اليوم انذاراً كافياً من وقوع حرب شاملة، ولن يكون لدينا ابداً انذار كافٍ قبل وقوع أعمال أرهابية، ولذلك يجب القضاء على الارهاب سياسياً وتوجيه كافة القوة والقدرة الانذارية للتهديد الأشد، أي حرب الصواريخ. إذا كان الخطر الرئيسي الذي يواجه إسرائيل هو الصواريخ الباليستية والرؤوس غير التقليدية، فقد يفضل سلاح الطيران طائرة طويلة المدى مثل F. 15 عن الطائرة F. 16.

إذا كانت حرب المستقبل هي في الأساس حرب خبراء، فنحن في حاجة إلى جيش صغير ومتطور، ولذلك فإن الانشغال بتجنيد طلاب المدارس الدينية يعتبر امراً عديم الأهمية من الناحية العسكرية. وإذا كان الدعم السياسي من الغرب والمساعدات الأمريكية هما عناصر هامة لقدرة الردع الإسرائيلية، آنذاك فمن الأفضل أن يكون رئيس الوزراء رئيساً فقط للوزراء ويهتم بالبعد السياسي للأمن، ويهتم وزير آخر بالأمن الجارى.

بعد سنوات طويلة من ترتيب أولويات معيب في النظرية الأمنية، ربما قد حان الوقت كي نبدأ في النظر إلى الواقع بصراحة. أن تأمين مسيرات المستوطنين في طرقات الخليل يشوه مخصصات ميزانية الدفاع، ولكنها تبعد انتباه جيش الدفاع والرأي العام في البلاد عن التهديد الحقيقي - أي الأسلحة غير التقليدية.

في الأسبوع الماضي كتب رؤبان بدهتسور في هآرتس، أنه في الشهور الأخيرة تقرر في وزارة الدفاع وقف استمرارية (مشروع يوثاف). وهناك قلة فقط في الدولة الذين يعرفون من هو (يوثاف) هذا، إنه برنامج لتطوير طائرة بدون طيار تفجر صواريخ العدو فور إطلاقها. من سيطلق صواريخ على إسرائيل سيتلقى ضرباتها. مشروع كهذا، لو نجح، فسوف يردع العدو كما سيساعد على الدفاع. وطبقاً لما قاله بدهتسور، حتى وزير الدفاع ارينز لم يعرف بقرار وقف برنامج يوثاف، يحتمل أن يكون القرار صحيحاً ويحتمل العكس. أن مشروع كهذا هام لأمن إسرائيل ألف مرة من مشاكل تأمين بيت هادساه أو حتى صواريخ الكاتيوشا التي سقطت على كريات شمونا. ولكن أيضاً بعد النشر لم يحظ الموضوع بأي اهتمام لا في الحكومة ولا في أجهزة الإعلام.

هناك قائد واحد في جيش الدفاع وبعض الخبراء في هذه الوزارة يعتبر هذا الموضوع هو موضوعهم الخاص. وماذا عنا نحن؟ ما الذي يهمنا؟

أرض النسيان

معاريف ٢٩/٦/١٩٩٩
بقلم / رافي مان

طائراتنا في عمق الساحة اللبنانية، سوف ننجح في تحسين ما للوضع؟

إنه بدون ذاكرة، من المستحيل تحليل الموقف واستخلاص النتائج. من المستحيل أن نتذكر أننا دخلنا لبنان منذ بداية السبعينات من أجل تصفية "فتح" وقواعد المخابرات ودولة منظمة التحرير الفلسطينية. ففي تلك الفترة وصلنا إلى مصالحة مع الفلسطينيين، ولكن بقصر نظرنا قلبنا علينا حزب الله، ونحن مستمرون في التخطيط في لبنان، بدلا من محاولة الأمر الآخر الذي لم نفعله: الخروج من هناك.

وهاهو على سبيل المثال: أبريل شارون. بذاكرتنا القصيرة هو فقط الشخص الذي ورث بنيامين نتنياهو ويعمل على رأب صدع الليكود. لحظة، أليس هذا هو الشخص الذي قادنا مرة إلى حرب فظيعة في لبنان، والذي وقف على رأس عملية المستوطنات بشكل لم يسبق له مثيل في حجمها في الثمانينات، وهو الذي قبل شهر فقط أعرب عن فخره بأنه الرجل الذي نسف محاولات السلام لنتنياهو مع الأسد؟

ليس شارون فقط هو الذي يستطيع أن يخطط لعملية سياسية على ظهر (على حساب) ذاكرتنا الباهتة. فلكذلك هناك شخص آخر إضافي، والذي طرد لتوه بأيدي الشعب من مقعد رئيس الحكومة، يستطيع في هدوء أن يدير فترة توقفه: وعندما يرغب في العودة للساحة السياسية، بعد أربع أو خمس سنوات، من سيتذكر حينذاك مرات فشله وخرابه؟

فقط بولة ذات ذاكرة قصيرة يمكن أن تتوقع أن تعود طائراتها سالمة من لبنان بإنجاز.

حتى تتم طباعة تلك السطور، سوف يترسب غبار صواريخ الكاتيوشا في الشمال إلى حواشي ذاكرتنا. وهكذا طريق وسائل الإعلام والسياسة الإسرائيلية: لكل قصة، مهما كانت كبيرة، هناك فترة زمنية قصيرة، مثل البرق تقريبا، يوم أو ربما يومان قبل أن يمحي من العناوين - ومن الذاكرة - بواسطة حادث آخر.

إن الذاكرة أخذة في القصر، وهي ليست فقط مسألة سن. ذاكرتنا كلنا. نفاذ صبرنا وقصر نفسنا، الايقاع السريع للأمور - عاصفة التجديد - كل ذلك يمحو أجزاء من الذاكرة مثل فيروس أجهزة الكمبيوتر المفترس.

وهاهو أمامنا على سبيل المثال، لبنان: لقد نسينا كم مرة ضربنا بعنف في لبنان، في الجبهة وفي المؤخرة، في قواعد المخابرات وفي البنية الأساسية. وكم مرة سقطت صواريخ الكاتيوشا على كريات شمونا وكم زعيم تحدث عن تغيير الموقف. ونذكر منهم جميعا مناحم بيجن مع قوله: "لن يسقط بعد ذلك صاروخ كاتيوشا على كريات شمونا" في مايو ١٩٨١ لمن نسي.

وينفس القدر يجب أن نتساعل كم عدد المرات التي ركض فيها سياسيون لكريات شمونا ووعدوا بالمساعدة، وكم مرة تم تشكيل لجنة وزارية، وكم مرة قال. من قال: لا يمكن الاستمرار بهذه الصورة، وكم مرة أمنا بأنه إذا ما أرسلنا

اتفاقية واي - من الصعب تجاوزها ومن الصعب تنفيذها

هآرتس
١٩٩٩/٧/٥
بقلم / دان مرجليت

كبيرة جدا من يهودا والسامرا وليس من المعقول أن يوافق على تأجيل موعد تسلم هذه المناطق.

كذلك فإن باراك يفهم أن ما يريد أن يفعله باتفاقية واي مرهون بموافقة عرفات وأنه من المستحيل إجباره على التنازل عن الالتزام الموقع الذي نجح في انتزاعه من بنيامين نتنياهو. وإذا وافق عليه عرفات فلا بأس وإذا رفض فلا بد من إعادة المناطق له.

وفي مثل هذه الحالة ستتحول الضفة إلى ساحة للاحتكاك المستمر بين اليهود والعرب، وما يحدث في الخليل يمكن أن يكون نموذجا لما يحدث في أجزاء أخرى في الضفة. وبذلك سيغلل باراك لعرفات والآخرين جدوى تأجيل اتفاقية واي

لن يفرض بيل كلينتون وحسنى مبارك على ياسر عرفات الاستجابة لمبادرة ايهود باراك بشأن تجاوز تنفيذ اتفاقية واي والانتقال إلى المفاوضات المكثفة حول التسوية الدائمة. ولكن إذا نجح باراك في اقناع عرفات بأنه ينوي إجراء مناقشات موضوعية حول التسوية الدائمة - فإن الرئيسين (وأيا ملك الأردن) سوف يتقبلان بتفاهم أي تنازل من جانب الزعيم الفلسطيني.

واحتمال مثل هذا التنازل ليس كبيرا، حيث أن الإسرائيليين الذين تحدثوا مع ياسر عرفات يرون أنه لن يوافق على استبدال اتفاق موقع بأمال. وكانت حكومة الليكود قد التزمت في واي بأن تنقل إلى السلطة الفلسطينية أجزاء

لصالح المفاوضات السريعة حول التسوية النهائية. ولن تستطيع أى حكومة أن تفتح المره تلو الأخرى النسيج الرقيق للجرح الذى التأم فى جسد المجتمع الإسرائيلى بعد كل قرار بشأن الانسحاب من المناطق. كذلك فإن تنفيذ اتفاق واى سوف يجعله يتخذ موقفا متشدداً فى مفاوضات التسوية النهائية.

هذا وسوف تزداد الخلافات فى المفاوضات وفى نفس الوقت سيستمر الواقع الخطير للحياة فى المناطق وفقاً لاتفاقية واى. كذلك فإن اطالة امد المفاوضات سوف يشجع المتطرفين فى الجانبين على اللجوء إلى العنف والارهاب وسوف يفشل هؤلاء فى احتمال تحقيق السلام والفصل بين الشعبين.

وعلى الرغم من المنطق من وراء هذه الادعاءات فإن كلينتون ومبارك سوف يؤيدان عرفات سواء رد بإيجاب أو رد بالنفى، ولكن ماهو احتمال حدوث تطور آخر؟ وألا يعلن عرفات عن قراره لزعماء امريكا والشرق الأوسط ولكن يطلب سماع وجهة نظرهم؟ وأعتقد أن مبارك سوف يتصرف بأسلوب آخر إذا سأله الفلسطينيون ماذا يفعلون ولم يطلبوا منه فقط أن يؤيد القرار الذى اتخوه بالفعل. وفى هذا الصدد ليس هناك فرق إذا زار باراك القاهرة أولاً أو واشنطن أولاً، حيث أن الصعوبة التى يواجهها هى كيفية اقناع كلينتون ومبارك بالثقة فيه وتصديق أن العرض الذى يقدمه لا يهدف إلى

اضاعة الوقت. وهذا يعنى أن هناك تغييراً فى نمط السلوك السياسى الذى كان متبعاً حتى الآن والذى تنازلت إسرائيل بمقتضاه عن أشياء ثمينة كثيرة مقابل وعود شفوية. والآن نجد أن إسرائيل هى التى تطلب من الفلسطينيين التنازل عن شئ جوهري مقابل وعد شفهي ذى مغزى.

ونحن نعلم أن هناك تأثيرات أخرى تتمخض عن مبادرة باراك، تأثيرات على معدل سير المفاوضات مع سوريا وعلى تأهب جيش الدفاع والمستوطنات التى يجب ادخالها فى نطاق كتل استيطانية. ولكنه أول تأثير نراه على مستوى العلاقات الشخصية على الساحة الدولية. فإذا نجح باراك فى اقناع كلينتون ومبارك والملك عبدالله - هذا مع العلم أن الرئيس المصرى دوراً رئيسياً فى هذا الصدد - بتأجيل تنفيذ اتفاقية واى فسوف تزيد ديون رئيس الوزراء الجديد لرؤساء هذه الدول أثناء المفاوضات السياسية.

وسوف يجد صعوبة فى رفض مطالبهم بل ويجد نفسه منطلقاً بسرعة نحو تنفيذ التسوية الدائمة. ومن يحصل على مساعدات من مبارك الآن سيجد صعوبة فى الرفض عندما يطلب من الرئيس المصرى أن يلبي المطالب الفلسطينية فى المستقبل. والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو ماهى الالتزامات التى يمكن لباراك أن يتحملها مقابل تجاوز اتفاقية واى؟ وما هو الثمن الذى سيدفعه مقابل ذلك؟ ليس هناك رد قاطع على هذا السؤال.

اتفاق مبادئ بين إسرائيل وسوريا (وثيقة موراتينوس)

ملحق معارف

١٩٩٩/٦/٢٥

بقلم / عويد جرانوت

وهى أيضاً ستأخذ فى الاعتبار طابع المنطقة، المواقع الخاصة للطرفين فى المجال العسكرى والسياسى، وأبعاد إعادة الانتشار من جديد على القدرات العسكرية.

٣- إن الاستقرار سيتم إتخاذهُ عن طريق تقليل احتمال الهجوم العسكرى وبالذات الهجوم المفاجئ وتقليل احتمالات نجاحه إذا ما حدث.

٤- من أجل إنجاز هذا الهدف ومن أجل تقليل خطر التصعيد، يتم تقليل الاحتكاك بين الجيشين، ويتم إبعادهم عن بعض بواسطة خلق ثلاث مناطق:

- منطقة منزوعة السلاح تماماً.

- منطقة خلفها، بعمق كاف، تفرض فيها قيود على الكم

والكيف لقوات الجيش وأنظمة الأسلحة.

- منطقة ثالثة يتم فيها نصب قدرات دفاعية فقط.

٥- إن منع المفاجأة يلزم إنشاء محطات إنذار أرضية.

٦- يدرس الأطراف مشاركة قوة دولية مع نواة أمريكية ومشاركة أوروبية والتى تقوم على الإشراف والمتابعة لبنود الاتفاق.

ج- عناصر أخرى:

هذه هى الوثيقة التى وضعها مبعوث الاتحاد الأوروبى، ميجيل موراتينوس بناءً على التفاهم والاتفاقات التى حققها فى الرحلات المكوكية بين نتنياهو وبين الأسد. إن اتفاق سلام مستقر بين إسرائيل وسوريا يجب أن يبنى على الأسس الآتية:

أ- عناصر إقليمية:

١- جيش الدفاع لإسرائيل ينسحب من الخطوط الحالية بهضبة الجولان طبقاً للتحديدات التى ظهرت فى خطاب الدعوة لمؤتمر مدريد، وكتنفيذ لقرارات مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ و٣٣٨.

٢- قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ (القرار الذى يدعو لإنسحاب إسرائيل من لبنان) يتم تنفيذه بالتوازي مع تنفيذ القرارات ٢٤٢ و٣٣٨.

ب- عناصر الأمن:

١- سيتم عمل الترتيبات الأمنية على أساس المساواة المتبادلة بهدف تقوية الاستقرار والتطرق للمصالح الأمنية للطرفين.

٢- تلك الترتيبات تسير فى معيار واحد مع مبدأ السيادة والكمال الإقليمي لكل طرف وتتضمن أيضاً البعد اللبناي.

١ - علاقات سلام بين الأطراف تتضمن علاقات دبلوماسية، إقتصادية وثقافية. وبهدف تمهيد الطريق لتنمية السلام، يتم تنفيذ خطوات لبناء الثقة في المجالات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية. وسيكون على الأطراف المؤيدة لذلك المشاركة في أطر التعاون الاقليمي والمتعدد الأطراف. إن القنوات المتعددة الأطراف لمؤتمر مدريد ومسيرة برشلونة من الممكن أن تكون بمثابة إطار ملائم، لهذا الغرض.

٢ - مصادر المياه:

يتم معالجة مسألة المياه وفقا للقانون الدولي. مع الأخذ في الاعتبار حقوق سوريا واحتياجات إسرائيل فيما يتعلق بالمياه.

٣ - الإرهاب:

في الوقت الذي سيتم فيه إنجاز إتفاقية بين الدولتين، كل طرف يمنع وجود أو تنظيم قوى غير نظامية، عصابات مسلحة أو قواعد أساسية للإرهاب، والتي يكون غرضها تنفيذ عمليات سطو (هجوم) أو أعمال إرهابية في المجال الإقليمي الخاضع لأراضي الطرف الآخر، أو أى أنشطة أخرى يكون غرضها تهديد أو تعريض أمن الطرف الآخر للخطر.

وذلك سواء كان التنظيم أو العمليات في أرضه أو على أرض دولة ثالثة، يكون للدولة تأثير عليها.

٤ - البرنامج الزمني:

مراحل تنفيذ الاتفاق يتم مناقشتها بين الأطراف كجزء من الاتفاقية.

هآرتس ٢١/٦/١٩٩٩

بقلم / الرف بن

إلى أين تسير المفاوضات مع سوريا؟

عملية واحدة ومدرستان

شيء ما تحرك منذ الانتخابات في العلاقات المجمدة بين إسرائيل وسوريا. فجأة أزيح الستار عن الجهود الخفية التي قام بها بنيامين نتنياهو ليمد يده للسوريين، وسلسلة من الوسطاء الذين زاروا قصر الرئاسة في دمشق، من كاتب السيرة الذاتية باتريك سيل وحتى وزير الخارجية السابق، جيمس بيكر، الذي التقى أمس مع الرئيس حافظ الأسد. لقد جاءوا جميعا ليسمعوا رسالة ايجابية لنقلها إلى ايهود باراك. ومثل مؤشرات النفط التي تقلب البورصة بتل أبيب، حتى بعد عشرات السنين من الفشل، فإن تلميحات السلام من دمشق تثير توقعات بحدوث معجزة، وحدث تغيير ما في الموقف المتعنت للنظام السوري.

ما زالت إسرائيل مشغولة بمسألة ماذا يريد الأسد، ويتجادلون حول ترتيب الأولويات لحكومة باراك: السلام مع سوريا والخروج من لبنان أولا، أم التسوية النهائية مع الفلسطينيين وبقاء سوريا لنهاية عملية السلام. هذا الجدل سوف يشغل الساحة السياسية، في القدس وواشنطن خلال الشهور القادمة.

أما الرسائل الصادرة من دمشق في الوقت الحالي فهي غير مثيرة للحماس. يريد السوريون استئناف المحادثات مع الحكومة الإسرائيلية الجديدة، بعد أكثر من ثلاث سنوات من التوقف، ولكن لا توجد أي علامة على حدوث مرونة في مواقفهم. فهم بداية يطالبون بأن تتعهد إسرائيل بالانسحاب التام من الجولان في بداية المفاوضات. وهذا أمر معروف، وحسبما قال أحد قدامى المفاوضين (لو تم استئناف المفاوضات بالمؤشرات التي دارت في الماضي، أو بخطوات قليلة، فإنها لن تؤدي إلى أي شيء). وقد استجاب باراك بسعادة للانفتاح من جانب الأسد. فقد بسط البساط الأحمر

لباتريك سيل الذي تلقى دعوة لسلسلة لقاءات مع كبار المسؤولين في الادارة الجديدة. قال له باراك أنه ينوي أن يحقق (سلام الشجعان) مع السوريين، وأنه على استعداد لاتخاذ القرارات الصعبة والمؤلمة التي تقتضي ذلك.

وقد أخذ اللواء (احتياط) اورى ساجي، نبي (الخيار السوري) والمرشح لادارة المفاوضات، سيل إلى هضبة الجولان، ليلتقي مع مجموعة من المستوطنين الذين كانوا مرعوسين في لواء جولاني. وقد تأثر سيل بتصميم ساجي، أمام العبارات القاسية التي صدرت عن رفاق السلاح. وقد خرج من الزيارة بشعور أنه لم يسبق أن كانت متوافرة مثل هذه الارادة في إسرائيل للانسحاب من الجولان، مقابل السلام مع سوريا.

إن باراك مثل زملائه في المؤسسة العسكرية يسعون إلى التوصل إلى تسويات تبعد عن إسرائيل خطر الحرب وإبعاد القوة العسكرية الرئيسية عن حدودها. فقد سعى باراك في حديثه إلى صحيفتنا يوم الجمعة الماضي إلى إحصاء الأسلحة السورية (٧٠٠ طائرة مقاتلة و ٤٠٠٠ دبابة و ٢٥٠٠ مدفع وصواريخ أرض - أرض منتشرة بشكل جيد، تغطي بغاز الاعصاب كافة أرجاء الدولة)، من أجل أن يفسر أسباب حيوية السلام.

وهناك حافز آخر لدى باراك لعقد صفقة مع سوريا، وهو احترام وعده الأساسي اثناء المعركة الانتخابية، بإخراج جيش الدفاع من لبنان خلال عام. يريد باراك اتفاقا يتيح الانسحاب. أن المفتاح في جيب الأسد الذي رفض إلى اليوم التخلي عن ورقة المساومة التي يقتل بها جنودنا في لبنان. يثق باراك في أنه سينجح في التغلب على الاعتراض السوري عن طريق اغراءات عملية للأسد، على رأسها الوعد بأن لبنان هي الخطوة الأولى في الطريق إلى الاتفاق حول الجولان.

كانت التركة الاساسية للمفاوضات مع سوريا من عهد رابين وبيريز ومنتيا هو، هي أن الجمهور الإسرائيلي قد تفهم ثمن السلام، أي الانسحاب التام من هضبة الجولان. لقد صوت الكثير من الإسرائيليين لصالح حزب الماريجوانا مقارنة بهؤلاء الذين صوتوا لصالح حزب الطريق الثالث. كذلك أيضا، ليس من السهل أن نمرر في الرأي العام فكرة الانسحاب إلى ساحل طبرية، حيث يكون الطرف الثاني للصفقة هو حافظ الأسد الذي يعارض أي لفطة علنية درامية. هذا في الوقت الذي تتعهد فيه الحكومة بإخلاء مناطق أخرى في الضفة الغربية وربما أيضا مستوطنات.

ومرة أخرى ثار جدل في وزارة الخارجية وأجهزة تقدير إسرائيلية، وفي الولايات المتحدة وأوروبا حول نوايا الأسد. الجميع متفقون على أن الهدف الأول للأسد هو أن يضمن الحكم لابنه بشار. في هذه النقطة تظهر خلافات. هناك مدرسة تقول أن الأسد يريد (أن يبقى المائدة نظيفة) لابنه، وإعادة الجولان إلى الملكية السورية قبل أن يختفى عن المسرح. وطبقا لهذه النظرية، يجب على إسرائيل استغلال الفرصة وإنهاء الموضوع مع الأسد الأب. ويعتقد أصحاب النظرة العكسية أن الأسد سيرغب للغاية في منع أي اهتزازات في نظام الحكم، وسيمتنع عن انقلاب تاريخي مثل عقد سلام مع إسرائيل في هذه الفترة الحرجة جدا.

لهذا، سيواصل جس نبض السلام، ولكن بدون نتائج فعلية. ونتيجة هذه النظرية هي أنه لا توجد فرصة للسلام مع سوريا، ويجب احراز تقدم مع الفلسطينيين.

يعتقد رئيس المخابرات العسكرية اللواء عاموس ملخا أن الأسد يرغب في تحقيق سلام في حياته، وعدم ترك هذه المهمة لحاكم جديد تنقصه الخبرة. وقال ملخا في محاضرة له، أن النتيجة النظرية من وراء ذلك هي أن الحاكم السوري

سيوافق على ابداء مرونة في مواقفه تجاه إسرائيل بل وكبح جماح حزب الله في لبنان. في سيناريو رئيس المخابرات العسكرية، احراز تقدم في العملية السياسية سيؤدي إلى شرح بين سوريا وبين حليفتها إيران، التي تعارض التسوية مع إسرائيل، وتشجع حزب الله على مواصلة الهجمات.

يقول ملخا، إن سوريا ولبنان تعتقدان أن جيش الدفاع سيخرج من الحزام الأمني خلال عام أو عام ونصف، وحتى ذلك الحين فقد يحدث تصعيد - يظهر أيضا في تزايد حدة رد الفعل الإسرائيلي على هجمات حزب الله.

وتقديرات المخابرات العسكرية تعطي لباراك حبالاً لاحراز تقدم على المسار السوري. وضد هذه التقديرات يقف عدد من كبار المسؤولين في حزب باراك، وعلى رأسهم يوسي بيلين وشلومو بن عامي، اللذان يحذران من اضاءة الوقت في أعمال عبثية مع السوريين.

أن لدى حكومة باراك هدف واضح في عملية السلام وهو احراز تقدم في مسار التسوية النهائية مع الفلسطينيين. أي انحراف جانبي سيعرقل تحقيق التسوية وتسويقها للجماهير. من يريد الخروج من لبنان، وفقا لهذا الرأي، يجب أن يحمل حقائبه ويرحل، وأن يكون الخروج من جانب واحد، ويتمنى ألا تعرقل سوريا الأمور. كرئيس جديد للوزراء، فسوف يعلن بارك عن رغبته في احراز تقدم على المسارين الفلسطيني والسوري. وتدل مواقفه الاساسية - في المرحلة الحالية - على أنه لم يقتنع بوجود شريك سوري للصفقة. أنه يقول أنه لن يتكلم عن انسحاب، قبل ان يسمع ماهو المقابل الذي ستحصل عليه إسرائيل، من ناحية التطبيع والترتيبات الأمنية وتقسيم المياه والهدوء في لبنان. أنه يرفض الزعم السوري القائل بأن رابين وعد بالانسحاب من كل هضبة الجولان وأن هذا الوعد ملزم لخليفته.

سوريا هي العنوان الحقيقي

هاتسوفيه ٢٧ / ٦ / ١٩٩٩
مقال افتتاحي

إن العملية العسكرية الواسعة النطاق التي قام بها سلاح الطيران في لبنان ودمر فيها بعض الكبارى ومحطة كهرباء وتسبب في حدوث حالة ارتباك في كثير من الأماكن في بيروت، تعتبر بمثابة خطوة ضرورية وكان يجب اتباعها قبل ذلك.

وكانت اللجنة الوزارية للشئون السياسية والأمنية قد قررت قبل عدة أشهر - وتم نشر هذا القرار ولكن بصورة غير رسمية - ان الأهداف اللبنانية لن تكون لها حصانة في مواجهة هجمات جيش الدفاع، إذا استمرت منظمة حزب الله في اطلاق صواريخ الكاتيوشا على شمال إسرائيل. وكان رئيس الأركان العامة الفريق شاعول موفاز قد أعلن يوم الخميس الماضي أنه في المرتين الأخيرتين اللتين وقع

خلالهما هجوم من جانب حزب الله ضد المستوطنات الشمالية اقترح جيش الدفاع الإسرائيلي توجيه ضربة مؤلمة للبنان ولكن الحكومة لم توافق على ذلك. ولكن بعد تهور حزب الله يوم الخميس وإطلاق صواريخ الكاتيوشا بصورة مفاجئة في وضح النهار على الجليل الغربي وأصبح الجليل اعطت الحكومة الضوء الأخضر لجيش الدفاع للقيام بعمل جوي واسع النطاق، وربما يكون اوسع هجوم منذ عملية عناقيد الغضب التي وقعت قبل أكثر من ثلاث سنوات. وقد تسبب ذلك في حدوث تصعيد أدى إلى اطلاق المزيد من صواريخ الكاتيوشا على كريات شمونة وسقوط ضحايا. ولكننا نأمل في أن يعود الهدوء بعد فترة قصيرة ويتم استيعاب مغزى رد فعل جيش الدفاع لدى حزب الله ولدى

حكومتى لبنان وسوريا.

أن العملية العسكرية الكبيرة التى قام بها جيش الدفاع ضد أهداف مدنية فى لبنان تهدف إلى ابلاغ رسالة لحكومة بيروت بأنه يجب عليها أن تتحمل مسئوليتها ازاء هذه الأعمال الهوجاء التى تقوم بها منظمة مخربين تعمل من داخل الأراضى اللبنانية بصورة مزعجة. حيث أن حكومة لبنان مسئولة عما يحدث داخل اراضيها وإذا كانت غير قادرة على السيطرة على مخربى حزب الله، فإنه يجب أن تكون لحكومة سوريا السيطرة الحقيقية فى لبنان. ولكن يجب نقل رسائل إسرائيلية أيضا إلى حكومة سوريا بأن إسرائيل تعتبرها مسئولة أيضا عن الاعمال الاستفزازية من جانب حزب الله وهذا الاطلاق الوحشى لصواريخ الكاتيوشا. وكان الرئيس السوري حافظ الأسد قد ادلى فى الآونة الأخيرة بتصريحات معتدلة فى اتجاه رئيس الوزراء المنتخب ايهود باراك ودعا إلى استئناف المفاوضات بين الدولتين. ولكن يجب أن نوضح للأسد بصورة قاطعة أنه إذا استمر فى استغلال حزب الله للقيام بأعمال ارهاب ضد إسرائيل من

اجل ممارسة الضغط عليها فى المجال السياسى، فإن ذلك يكون خطأ كبيرا من ناحيته، حيث أن إسرائيل لا يمكن أن تقبل استمرار هذه الأعمال الارهابية التى تهدف إلى اجبارها على استئناف المفاوضات ولن تقبل الارهاب خلال هذه المفاوضات، من أجل دفعها إلى الأمام والضغط عليها لتقديم تنازلات. وتعتبر حكومة سوريا مسئولة عن اعمال حزب الله على اعتبار أن المعدات العسكرية التى تستخدمها هذه المنظمة تصلها من الأراضى السورية ولأن حزب الله يخضع لأوامر سوريا وتعمل بتوجيهات منها.

إن العنوان الحقيقى لكل ما يحدث فى لبنان هو سوريا. ويجب أن نوضح لها أنها لن تستطيع الاستمرار فى أداء هذه اللعبة المزدوجة.. التصريحات المعتدلة، من ناحية والقلب الأسود من ناحية أخرى، مع استخدام منظمة سفاحين من أجل قلب حياة سكان الشمال إلى جهنم وممارسة الضغط على إسرائيل. ولن تستطيع أى مفاوضات سياسية أن تجرى فى ظل هذا الوضع غير المحتمل ومسئولية ذلك تقع على عاتق سوريا.

رحلة لاعادة الثقة

هآرتس ١١/٧/١٩٩٩

إسرائيل دولة غير ذات مصداقية، تبنى سياستها على الخداع. وقد أصبح شعار (الحكم للأعمال وليس للكلمات) هو الشرط الضرورى فى نظر جيراننا لاستئناف العملية السياسية. ومع تلك التركيبة السياسية التى ورثها باراك أصبح عليه أن يبدي قدرا من الفعل الذى يعيد بناء الثقة ويتيح الاستمرارية الموضوعية والفعلية للعملية التى تحقق التسويات الدائمة.

هناك مساران متوازيان فى انتظار ايهود باراك: الفلسطينى والسورى - اللبناني. ولكليهما أهمية متماثلة لأن كليهما معا قد يؤدى إلى إنهاء النزاع. وعلى كلا المسارين ينتظره زعماء على استعداد للتفاوض، وإلى جانبهم مساندة مصرية وأردنية تخدم باراك.

وفقا لنتائج الانتخابات والمناخ الجديد الذى ظهر فى الشرق الأوسط، وأيضا فى الولايات المتحدة، أصبح هناك مجال لقوة الدفع. ولو هناك احساس فى إسرائيل بوجود أساس للحوار السياسى مع سوريا، فإن هناك احساس مماثل لدى الدول العربية بوجود فرصة للتوصل إلى صفقات مع الزعيم الإسرائيلى. منذ زمن طويل جدا لم تتوافر ظروف مواتية وجيدة جدا كهذه. وهى فى انتظار حسن الاستغلال.

وهذه الظروف لا عنى مفاوضات سهلة، وتنازلات سريعة عن المواقف الهامة لدولة إسرائيل أو التراجع الشامل من جانب العرب عن مطالبهم ولكنها تخلق تفاهما بأن المفاوضات قد أصبحت من الآن وسيلة لتحقيق التسوية وليست وسيلة لعرقلتها أو توقفها.

بخطوة حكيمة بدأ رئيس الوزراء ايهود باراك رحلاته بمصر بالذات، بلقاء مع الرئيس حسنى مبارك. فمصر هى الدولة العربية الأولى التى وقعت على اتفاق سلام مع إسرائيل، وهى اهم دولة على الاطلاق فى الشرق الأوسط، وفى مقدور الرئيس مبارك أن يؤثر على طبيعة ومعدل عملية السلام بين إسرائيل والدول العربية. وسيلتقى باراك اليوم مع ياسر عرفات الذى يرعاه مبارك، وقد سبق أن اسهمت علاقة الرئيس مبارك بالرئيس الأسد فى دفع المفاوضات بين الدولتين. لو حكمنا وفقا لكلمات مبارك الحارة لباراك فى المؤتمر الصحفى الذى عقده الاثنان بالاسكندرية، فإن مصر على استعداد لأن تمنح فترة سماح سياسى لإسرائيل بعد ثلاث سنوات من الجمود. وهذا السماح لا يمنح لباراك فقط بشكل شخصى، بل للجماهير الإسرائيلية التى احدثت الانقلاب وأدت بذلك إلى تغيير النظرة إلى إسرائيل فى أغلب الدول العربية، وفى نظرة الثقة بها. وتلك الاصوات الصادرة من دمشق والتى على استعداد لأن تمنح الثقة فى وعود باراك، الذى يتحدث، مثلما يعلمون فى الشرق الأوسط، من خلال موقف ذى قوة سياسية والمتحرر من أغلب القيود التى قيدت من سبقوه فى هذا المنصب. تلك الأصوات لا تقل أهمية.

إن الثقة التى يحظى بها باراك الآن غير مشروطة. فالدول العربية، وبالاخص تلك التى تفاوضت معها إسرائيل، اصبحت فى عهد نتنياهو بإحباط شديد عزز من موقف المعارضة لعملية السلام وأساء إلى صورة إسرائيل. فقد اصبحت

إهمال العودة

الذين سيعودون إلى المناطق (وليس إلى إسرائيل) خلال العشرين عاما القادمة.

هذه النشرة، التي نشرت بمناسبة إحصاء وتعداد السكان الفلسطينيين تتكهن بأنه (في سنوات ١٩٩٧ - ٢٠١٠ سيعود إلى الأراضي الفلسطينية ما مقداره ٥٠٠ ألف شخص) وبعد عام ٢٠١١ (وحتى عام ٢٠٢٥) لن يعود أحد.

وهذه النبوءة تعتبر (متشائمة جدا إذا وضعنا في الحسبان واقع عملية السلام)، ولكن شأنها شأن أى تكهن فإنها تعتمد على افتراضات سياسية خفية، وبالطبع في حالتنا هذه. أن نصف مليون شخص هو رقم كبير ويوازى ضعف الرقم الذي ستسمح به إسرائيل وفقا لتجربة الماضي، ولكنه يعتبر رقما هامشيا إذا وضعنا في الحسبان التطورات الديموغرافية المتوقعة في إسرائيل في العقدين القريبين. يشير ربط التنبؤات الإسرائيلية والفلسطينية لعام ٢٠٢٠ (مع خصم العدد المضاعف لمواطني القدس الشرقية في كلا التنبؤين) إلى أن اجمالي المواطنين في أرض إسرائيل من عهد الانتداب سيكون ٥٥٪ إسرائيليون و٤٥٪ فلسطينيون، وبدون العائدين والزيادة الطبيعية ستبلغ النسبة ٥٨٪ و٤٢٪. ولكن النسبة الهامة أكثر هي التي بين اليهود - في دولة إسرائيل والمناطق - وبين الفلسطينيين ومعهم عرب إسرائيل. في عام ٢٠٢٠ سيقطن أرض إسرائيل ٨,٢ مليون من غير اليهود (٦,٦ مليون فلسطيني و١,٦ مليون عربي إسرائيلي) مقابل ٦,٦ مليون يهودي. هذه النسبة، ذات الأغلبية العربية (٥٥٪) مقابل أقلية يهودية (٤٥٪) سوف تتغير - إذا لم يعد نصف مليون لاجئي، فإن النسبة سوف تنخفض قليلا إلى ٥٣٪ عرب مقابل ٤٧٪ يهودي.

بالنسبة لأولئك الذين يعتبرون هذه التنبؤات - التي تشير إلى أغلبية عربية في أرض إسرائيل - كابوسا، فإن العودة المنتظرة لنصف مليون لاجئي لا يجب أن تمثل عنصرا لمزيد من القلق - فبدون هؤلاء أيضا سوف يحقق العرب أغلبية في وقت ما بين ٢٠٠٧ - ٢٠١٠.

هؤلاء الذين يصرون على مواصلة السقوط في الوهم بأن هناك فارقا جوهريا بين استيعاب العائدين في دولة فلسطينية وبين استيعابهم في دولة إسرائيلية (ويتجاهلون تداخل الحدود بين إسرائيل والمناطق) لا يجب أن يخيفهم عدد العائدين - فلن يمثلوا أكثر من ١٠٪ من سكان المناطق الفلسطينية. هذا يعني أن كابوس العودة لا يقع في المجال الديموغرافي بل النفسى. كم كان من الأفضل لو كنا قادرين على قراءة كلام الرئيس كليمنغوردى بهدوء، وبعد ذلك نحسب ونفكر معا كيف سينجح ١٥ مليون شخص في العيش داخل وطنهم المشترك.

أدى كلام الرئيس بيل كلينتون بشأن رغبته بأن يكون (الشعب الفلسطيني حرا وأكثر من حر في أن يعيش أينما يريد، وفي أى مكان يريد أن يعيش فيه) وذلك فيما يتعلق بقضية اللاجئين، أدى إلى رد الفعل الغريزي المتوقع في إسرائيل. كان الرئيس (مضطرا) لأن يقصد (حق العودة) - وكان مغزى كلامه هو أنه يؤيد موقف الفلسطينيين - ومن المعروف أن حق العودة هو كلمة السر للقضاء على إسرائيل. وهذه الموجة الغاضبة من الاحتجاج، التي لم تهدأ بعد، أثارت مخاوف الإدارة الأمريكية لدرجة أن المتحدثين بإسمها لم يكتفوا بخطابات التوضيح (بأنه لم يطرأ أى تغيير على السياسة الأمريكية)، بل أنهم سربوا كلاما بأن الرئيس - المتعب - قد انزلق في الكلام.

إن كابوس العودة، الذي يصاحب الإسرائيليين أكثر من خمسين عاما - وعناصره هي المخاوف الحقيقية. والهوس والضمير غير النظيف - هذا الكابوس استيقظ مرة أخرى. إن جميع تحفظات كلينتون، الذي أوضح أن هذا متعلق بأين (سيكون هذا وكيف يتناسب هذا مع المكان الذي سبق أن عاش فيه هؤلاء الناس)، زادت من الخوف، والأكثر - المناسبة التي قال فيها كلينتون كلامه - وهي عودة لاجئي كوسوفا إلى ديارهم.

إن السابقة التي حدثت في كوسوفا، والتي قضت بعدم سماح المجتمع الدولي، وعلى رأسه الولايات المتحدة، بأى عمليات تطهير عرقي وإعادة المطرودين إلى ديارهم - على حسابه وتحت رعاية قوات السلام التي ستشرف على أعمال التعمير - هذه السابقة من شأنها أن تطبق أيضا على اللاجئين الفلسطينيين. وبالطبيعة، فإن الكوابيس تصمد أمام الآراء الجادة ومن يعانى منها دائما ما يرى ظلال الجبال وكأنها جبال حقيقية. لا مجال لأن نقول لهم أن السوابق لا تطبق بشكل خالص، كما أن تطبيقها قد يتسبب في تعقيدات تزيد من معاناة اللاجئين. من يعتقد أن حق العودة هو مؤامرة فلسطينية. سيجد صعوبة في الاعتقاد بأن الكثير من الفلسطينيين قد توصلوا منذ زمن إلى نتيجة بأن العودة إلى ديارهم المهجورة في إسرائيل لن تعنى أكثر من نقل ظروفهم التعسة. حسبما قال باحث فلسطيني سوف يستبدل اللاجئين وصعا غير عادل بوضع ظالم كمواطنين في دولة ليست لهم. ويعترف متحدثون فلسطينيون رسميون بأنه من غير الممكن تنفيذ حق العودة الفعلي في الحدود الإسرائيلية وسوف يضطرون لتنفيذه داخل دولة فلسطين. إن من يجعله كابوس العودة يرى في خياله ملايين اللاجئين يغرقون الدولة اليهودية بأنهار بشرية، عليه أن يطلع على النشرة الرسمية للسلطة الفلسطينية حول عدد اللاجئين

مباركة مبارك

هآرتس ١١/٧/١٩٩٩
بقلم / تسيفى برئيل

العالم العربى. إذا كان هناك ما يحفز مبارك فذلك هو التطلع للبقاء على البصمة التاريخية. فإذا كان عبدالناصر هو محرر مصر الحديثة، والسادات هو الذى حررها من الاحتلال الإسرائيلى وعقد معها السلام، فإن مبارك فى حاجة إلى بصمة خاصة).

وهذه البصمة موجودة فى مجالين. فى الداخل يقيم مبارك مشروع ضخ فى الصحراء الغربية، وعندما ينتهى هذا المشروع بعد خمس عشرة سنة، فسوف يوفر المعيشة لعدة ملايين من المصريين الذين يتكدسون على ضفاف النيل. انذاك سيكون مبارك قد بلغ من العمر ٨٦ عاما، وقد لا يرى انتهاء هذا المشروع، ولكنه سيظل مكتوب على اسمه للأبد، والمجال الثانى وضح فى ترحيبه بباراك اثناء زيارته للأسكندرية. فيقول أحد مستشاريه: "إذا كان السادات قد صنع السلام بين مصر وإسرائيل، فإن مبارك يريد احلال السلام بين كل العالم العربى وإسرائيل". وهذه العبارة تتردد من حين لآخر كشعار محبب من الجانب الذى يمثل سياسة السلام البارد، حتى أنه يستكمل جزئها الثانى وهو (اعادة الشرف العربى بقيادة مصرية).

مصر، التى نظرت فى غيظ كيف انحرف الفلسطينيون عن طريق الوحدة وقبعوا اتفاقيات منفصلة مع إسرائيل، وكيف فرت الأردن من تحت كنفها وأصبحت حليفة لإسرائيل، وتسعى لأن تمسك من جديد بقيادة العملية السياسية الهامة جدا خلال هذا القرن فى الشرق الأوسط. تعتبر إسرائيل والسلام معها من الوسائل الأخيرة التى تبقت لمصر والتى ستضمن أن يظل اسم مبارك دائم الذكر لفترة طويلة بعد رحيله. ولذلك فتلك هى فرصة باراك حتى يتبنى لنفسه أهم حليف عربى، وربما تلك هذه فرصة من أجل عقد تحالف سلام جديد مع مصر، لأن مبارك فى حاجة فى صراعه من أجل المحافظة على الوضع الدائم لمصر، وفى حاجة إلى باراك بما لا يقل عن احتياج باراك لمبارك.

ليست مصر بالدولة التى يورث فيها الزعماء ابناهم. فهى ليست ملكية كالأردن أو تخضع لحكم اقلية مثل سوريا والعراق. ومن غير الممكن ان نتعامل معها مثل أى مجتمع قبلى، مثل دول الخليج، حيث الأسرة الحاكمة هناك هى الدولة. والاراضى المصرية غير محتلة من أجنبى، والمصريون لا يقتلون فى حروب، والاقتصاد المصرى ينمو والاعتداءات من جانب الأصوليين تتلاشى.

وحسنى مبارك هو زعيم مرغوب لا تمثل علاقات السلام مع إسرائيل عقبة فى علاقاته بالدول العربية، لدرجة أن ايران تخطب وده الآن. إذن، تستطيع مصر أن تواصل حياتها ايضا بدون عملية السلام، وأن تدع الفلسطينيين يساومون إسرائيل وأن تهتم سوريا بشئونها لاستعادة أراضيتها فى الجولان. فما الذى يدفع مبارك رغم كل هذا لأن يواصل رعاية عملية السلام؟ لماذا يجب عليه أن يسعى ليكون أول زعيم عربى يلتقى برئيس وزراء إسرائيل ويضع بصماته على العملية؟ تقول التعليقات السائدة أن مصر تتنافس مع إسرائيل فى الهيمنة على الشرق الأوسط. فقد قال عمرو موسى فى حديث صحفى (أكبر انجاز حققته كان التصدى فى مؤتمر الدار البيضاء الاقتصادي لفكرة الشرق الأوسط الجديد واقتصار المؤتمر على التعاون الاقتصادي فقط). صحيح أن المفهوم الجديد الذى صاغه شيمون بيريز مازال يردع كل دول المنطقة، ولكنه خوف نظرى، لأن أى دولة عربية ستوقع إسرائيل على اتفاق سلام معها ستكون قادرة على رفض الوجود الإسرائيلى فيها، تماما مثلما فعلت مصر بنجاح ساحق على مر عشرين عاما. وتاما مثلما قامت الكويت والسعودية بلفظ الوجود الاردنى خارجهما بعد حرب الخليج.

إذن فالمنافسة على الزعامة، أو التصدى للنفوذ الإسرائيلى، غير كافية لتفسير الوضع.

يقول المفكر محمد سيد أحمد (أن حرب الهيمنة تعتبر اشادة كبيرة بإسرائيل. لن تستطيع إسرائيل ابدا حمل تاج زعامة

معاريف ١١/٧/١٩٩٩
بقلم / عوديد جرانون،

الفارق حسب مبارك

فى اللقاء المغلق بينهما أوضح له رئيس الوزراء الإسرائيلى، أنه "فى حاجة إلى إسبوعين تقريبا". حتى يستوضح أين يقف بالضبط مع عرفات ومع الأمريكان. وقال مبارك فى جنابات قصر رأس التين أمام مكبرات الصوت "لا تضغطوا على الرجل". يجب إعطاؤه وقتا

إجتاز إيهود باراك يوم الجمعة فى الاسكندرية وبدون صعوبة الاختبار الأول له كرئيس للوزراء أمام أكبر وأقوى دول العالم العربى. فالرئيس مبارك، مشبعا بالاحباطات والمرارة من فترة نتنياهو، خرج إلى الصحفيين من لقائه مع رئيس حكومة إسرائيل وقال باراك ينوى صنع سلام.

كشهرين حتى يستطيع أولا عمل تقييم شامل للموقف".
ليس واضحا إذا كانت صداقة رائعة قد تولدت في اللقاء الأول بينهما في الإسكندرية، ولكن مبارك، وإرتكانا على تعليقه كان يدعم هذا الانطباع، وقد تنفس الصعداء لأن باراك، وليس نتنياهو، يقف هذه المرة بجواره.

وعندما تحدث رئيس وزراء إسرائيل عن ضرورة الحل السريع "لنزاع المائة عام" مع العرب، فكر مبارك في الثلاث سنوات السابقة والتي ضاعت هباء، كما تم التعبير عن ذلك في الأسبوع الماضي على مسامع ضيوف من إسرائيل.

لدى آمال كبيرة:

ثلاث سنوات بالضبط مرت منذ رأيت رئيس مصر خارجا إلى الصحفيين من اللقاء المغلق مع بنيامين نتنياهو، ووجهه مشرق. لقد تلاشى القلق في مصر وفي العالم العربي من انتخاب رئيس حكومة يميني متطرف في إسرائيل، تلاشى لدى مبارك خلال ثوان معدودة بفضل كم الوعود التي ألقاها عليه نتنياهو في لقاءهم الأول. لقد فهم مبارك حينذاك من رئيس حكومة إسرائيل أنه في طريقه "لإنهاء الموضوع" مع السوريين ومع الفلسطينيين خلال عدة أشهر. ولفترة ما سمعت من مبارك أن وزير الخارجية عمرو موسى، لم يكن شريكا في البداية لذلك التفاوض ولكن مبارك لم يكن لديه استعداد للسمع. ففي المؤتمر الصحفي العام قام مبارك بتوزيع عبارات الثناء والمديح لنتنياهو، وبعد ذلك قام بشكل استثنائي بدعوة كل الصحفيين الإسرائيليين للقاء منفرد، والذي عاد فيه وعبر عن إنطباعه الحسن من الزعيم الإسرائيلي الجديد. وبمرور الوقت إختفت الإبتسامة من على وجه مبارك. وقال لي في إحدى المرات: "لقد صدق عمرو موسى" لقد أصابني نتنياهو بخيبة أمل شديدة وخذلني.

لقد كانت النتيجة التي لم يكن ممكنا منعها لتوقف مسيرة السلم مع الفلسطينيين، هي تدهور خطير في علاقات إسرائيل بمصر على مدى الثلاث سنوات الأخيرة. فالمناخ العام للعلاقات تعكر، وصحف المعارضة المعادية للسامية احتفلت. وأول أمس في المؤتمر الصحفي بالإسكندرية سئل مبارك إذا كان لا يخشى أن يصاب بخيبة الأمل للمرة الثانية. ولكن الرئيس المصري لم يرتبك وقال: "إنني لم أكن أعرف نتنياهو قبل لقائنا الأول. أما باراك فإنني أعرفه من فترة. فقد عمل مع رابين.. وقد كان شريكا في آرائه مع رابين وبيريز.. وقد ساعد في حل مشكلة مع الفلسطينيين في المؤتمر الذي عقده في شرم الشيخ.. إنني أعرف نواياه وأفكاره وأنا أقول لكم إنني متفائل وأن لدى آمال كبيرة في أن نتحرك للأمام".

لم يكن باراك ليتوقع أكثر من ذلك. لقد كان من الصعب على رئيس الوزراء الإسرائيلي الجديد أن يكتفم إنفعالاته من الموقف الاحتفالي للإستقبال الذي قوبل به في الإسكندرية، ومن العرض لحرس الشرف في المطار والذي كان في إستقباله، للسلام الوطني الإسرائيلي الذي عزف في الاسكندرية، ثم من اللفتة الصغيرة، على غير البروتوكول، والتي رافق فيها مبارك باراك حتى سيارته في طريقه

للمطار.

مبارك مؤمن بباراك:

في المباحثات التي إستمرت حوالي ساعتين ونصف الساعة كان الجو طيبا للغاية وودي. لقد عقد لقاء مغلق بين مبارك وباراك وكان هناك إجتماعا موسعا، على إفطار، بمشاركة أعضاء الوفود. وقد دارت أيضا مباحثات ثنائية بين داني ياتوم مع رئيس أجهزة الأمن المصرية، وبين موسى كوتشيك مع رئيس الوزراء المصري، وهو إقتصادي في الأصل (رجل إقتصاد). كما تحدث تسفى شتاوبر مع أسامة الباز المستشار السياسي لمبارك، وباراك نفسه تبادل الذكريات عن حرب يوم كيبور (أكتوبر) مع الجنرال محمد طنطاوي وزير الدفاع والذي كان وقت الحرب قائد كتيبة.

ملخص القول: مبارك مؤمن بباراك. لقد إنفتح أمام رئيس الوزراء دفتر إئتمان في قصر رأس التين بالإسكندرية الذي غادره الملك فاروق للمنفى بعد أن أطاح به مجموعة الضباط الأحرار.

لقد قرر باراك أن يدير الحوار مع مبارك بلغة طياري القاذفات الجوية، فحسب أقوال مصدر مقرب من الوفد الإسرائيلي، فقد شرح لرئيس مصر أنه لكي يحدث تقدم في مسيرة السلام "يجب أولا رسم خريطة ثم بعد ذلك الجلوس للتخطيط في أي مسار نرغب في التقدم، وبعد ذلك نبدأ في الطيران حسب الخطوط الموضوعة..".

بالنسبة لمبارك، الذي قاد سرب طائرات قتالية في حرب أكتوبر كانت لغة باراك واضحة وسلسة. وقد إنطبع لدى باراك أن مبارك أبدى تفهما لتلك الطريقة ومن هنا جاء إستعداد رئيس مصر لمنحه شهرين لكي يرتب أوراقه.

وردا على سؤالي، قال مبارك أول أمس أنه لن يدير مفاوضات باسم الفلسطينيين ولكنه سيعمل على تقليل الفجوات بين الأطراف. وبلغة أخرى: المصريون سيكونون مشاركون بعمق في المباحثات، حتى بدون مشاركتهم فيها بالفعل. وأضاف مبارك: "إن باراك يفهم جيدا أن المشكلة الفلسطينية هي لب النزاع في المنطقة". وللدلالة على ذلك فهو مستعد للقاء عرفات اليوم كإعداد للقاء عرفات مع إيهود باراك.

وقد أعرب أمس صائب عريقات عن عدم راحته من إستعداد رئيس مصر لمنح باراك مهلة زمنية شهرين، وأضاف أن الفلسطينيين غير مستعدين لتغيير أو لتجاوز تنفيذ إتفاقية واي. وقال رئيس طاقم المفاوضات الفلسطينيين: لقد تعبنا من الإنتظار ويجب تنفيذ الاتفاقيات.

إن لمبارك تأثيرا كبيرا على ياسر عرفات في الإتجاهين: فالمصريين عرفوا في الماضي تصعب (تشديد) الخط الفلسطيني عندما أرادوا ذلك، ولكن مبارك عرف أيضا لوى ذراع عرفات عندما رفض الأخير التوقيع في القاهرة على خرائط إتفاقيات المرحلة الانتقالية. إن باراك سيحتاج أيضا فيما بعد لتوطيد العلاقة مع مبارك، والتي تم وضع أساسها يوم الجمعة في الإسكندرية.

بارك طلب بادرآت طيبة وأما المصريون فقد طلبوا تنازلات

هاتسوفيه

١٩٩٩/٧/١٢

بقلم / موشيه ايشون

وعلى الرغم من ذلك قرر زيارة مصر من أجل خلق علاقة مباشرة مع الرئيس المصري الذي يتزعم الآن أكبر دولة عربية في المنطقة.

وبالفعل فقد نجح في خلق مثل هذه العلاقة، ولكن في المرحلة الأولى سيطلب من باراك أن يدفع فاتورة الضيافة. حيث طلب منه مضيفوه في الاسكندرية بلهجة حاسمة أن يتخذ خطوات من شأنها أن تقنع المصريين بأن سياسة رئيس الوزراء الجديد تختلف عن سياسة نتنياهو. ولم يكشف باراك حتى الآن عن أوراقه على الرغم من أنه في أحد اللقاءات التليفزيونية الإسرائيلية ألح إلى أنه لم يعد يعترض على إقامة دولة فلسطينية ذات سيادة. ويقول أن الدولة قائمة بالفعل منذ عهد الحكومة السابق. ويذكر أنه كرر نفس هذا الكلام في لقائه الثاني مع ياسر عرفات. وبالإضافة إلى ذلك فإن باراك يفضل أن يدمج تنفيذ اتفاقيات واي بالمحادثات حول التسوية النهائية، ولكن عرفات سارع بالإعلان بأنه يجب تنفيذ الاتفاقيات قبل أي شيء.

وتجدر الإشارة إلى أن عرفات يتلقى توجيهات من الرئيس مبارك، وليس من المستبعد أن جزءاً من الكلام الذي سمعه باراك من الرئيس مبارك سمعه أيضاً من ياسر عرفات الذي يتحدث بصعوبة بسبب الرعشة التي أصابت شفثيه.

وعلى ضوء ما ورد سلفاً فإن محادثات الاسكندرية بين ايهود باراك وحسنى مبارك والمحادثات بين باراك وعرفات لا تنطوي على أي جديد. حيث أن كل شيء معروف مسبقاً. فقد أكثر مضيفيه من طرح المطالب ولم يسمع رئيس الوزراء أي شيء عن استعدادهم لتقديم بادرآت طيبة من أجل احراز تقدم نحو السلام المنشود. وقدم المصريون قائمة حساب تتضمن عدة مطالب ويجب على حكومة باراك أن تسدد هذه القائمة على وجه السرعة.

كذلك فإن التصريحات المتشددة التي أدلى بها وزير الخارجية المصري عمرو موسى في لقاء خاص مع صحيفة ידיعوت احرونوت لا تنطوي على أي جديد. حيث أن النعمة هي نفس النعمة والأسلوب هو نفس الأسلوب تماماً مثلما كان يحدث عندما كان بنيامين نتنياهو رئيساً لوزراء إسرائيل. والمطالب هي نفس المطالب، مثال وقف بناء المستوطنات على الفور، ووقف البناء في جبل أبوغنيم ورأس العمود في القدس، بالإضافة إلى الدعم الكامل لمطالب عرفات بشأن السيادة على القدس وأن تكون عاصمة فلسطينية. وهذا الكلام يتفق مع ما يقوله الرئيس مبارك ومع ما قاله لايهود باراك. ولكن هناك فرق فقط في الصياغة.. ففي الوقت الذي نجد فيه أن صياغة أسلوب عمرو موسى يتسم بالغلظة الشديدة، فإن الرئيس مبارك يحرص على الحفاظ على الأسلوب الرئاسي

التقى رئيس الوزراء ايهود باراك مع الرئيس المصري حسنى مبارك مؤخراً في الاسكندرية. وطبقاً للتقارير فقد حظى باستقبال حافل وحظى أيضاً بكثير من كلمات المديح والثناء من جانب مضيفيه المصريين. حيث أنهم يعلقون عليه آمالاً كبيرة ولكنهم رفضوا في نفس الوقت تقديم بادرآت طيبة للضيف الإسرائيلي، وأوضحوا له بأسلوب مهذب، ولكن بإيضاح شديد، أنه يجب على إسرائيل أن تثبت في المرحلة الأولى، ليس فقط عن طريق الكلمات ولكن عن طريق الأفعال أوجه الاختلاف بين حكومة باراك وبين حكومة بنيامين نتنياهو، وبعد لقاء الاسكندرية، من الصعب القول أنه بدأت صفحة جديدة في العلاقات بين مصر وإسرائيل. ويمكن القول أن الرئيس حسنى مبارك قدم قائمة مطالب لإسرائيل مثل التنفيذ الفوري لاتفاقية واي ريفر، ووقف البناء في جبل أبوغنيم في القدس، ووقف وإلغاء خطط البناء في المستوطنات وما شابه ذلك. وبالإضافة إلى ذلك فإنه لا يجب علينا أن نتجاهل ملاحظة مبارك "أمنحوه شهرين حتى يستطيع أن يستعد كما يجب للعهد الجديد".

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل بدأنا بالفعل عهداً جديداً؟ وحتى هذه اللحظة نجد أن الأمور تكرر نفسها.. حيث أن نتنياهو سمع نفس هذا الكلام من كبار المسئولين في مصر وأيضاً الذين سبقوه مثل اسحاق رابين الراحل.

وحتى هذه اللحظة لم يحدث أي تغيير في سياسة مصر.. حيث أنها مازالت تتخذ مواقف أحادية الجانب في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. وهذا هو أيضاً موقف مصر في كل ما يتصل بمطلب سوريا الخاص بالانسحاب الإسرائيلي من هضبة الجولان إلى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧ وعشية حرب الأيام الستة. وفي واقع الأمر نجد أن مصر تنحاز إلى الرئيس السوري، أيضاً في كل ما يتصل بنشاط المخبين في جنوب لبنان الذين يزعمون اليهود على طول خط الحدود من كريات شمونا وحتى مشارف مدينة نهاريا الساحلية.

ومن الصعب اذن القول، أن زيارة الاسكندرية قد فتحت صفحة في العلاقات بين إسرائيل ومصر. فقد رفض الرئيس مبارك أن يبدى أي بادرآت طيبة نحو باراك بواسطة الافراج عن المواطن الإسرائيلي المسجون في سجن مصر على الرغم من براعته.

وينتظر المسئولون في القاهرة تنازلات إسرائيلية جوهرية، وبعد هذه التنازلات يمكن أن نتوقع بادرآت طيبة معينة من الرئيس حسنى مبارك. ومن المحتمل أن يلبي دعوته ايهود باراك لزيارة القدس رداً على زيارة ايهود باراك للأسكندرية. وتجدر الإشارة إلى أن المقربين من ايهود باراك قد أوضحوا له أنه لا يجب أن يتوقع حدوث تحول في موقف حسنى مبارك.

وهو يمتنع عن التطرف في تصريحاته. ومن المعروف أن إيهود باراك قد شعر بذلك. ومن ثم يجب عليه أن يعرف كيفية إجراء التقييم السياسي ليس اعتماداً على كلام مبارك المعتدل، ولكن اعتماداً على تصريحات وزير الخارجية المصري على اعتبار أنها تعكس بصدق مواقف الرئيس مبارك.

وعلى ضوء ما ذكر سلفاً، فإن اللقاءات السريعة التي عقدها إيهود باراك في الاسكندرية وعند ابواب غزة وكذلك لقاءه مع

الملك عبدالله لن تؤدي على ما يبدو إلى فتح صفحة جديدة في الساحة الشرق أوسطية إلا إذا كان إيهود باراك يرغب في إعادة الكرة إلى الوراء. أي إلى حدود ما قبل عام ١٩٦٧، بما في ذلك إعادة تقسيم القدس، وإذا كانت هذه هي سياسته، فإننا نقف بالفعل على عتبة عهد جديد.

وينظر إلى الأمام، نجد أننا نفضل العهد القديم على اعتبار أنه يتفق مع الضرورات الحيوية لأمن إسرائيل وسلامتها. ونأمل أن يكون هذا أيضاً رأي إيهود باراك.

ازالة البؤر الاستيطانية

هآرتس ١٢/٧/١٩٩٩

مقال افتتاحي

جيش الدفاع الإسرائيلي على علم مسبق بنية المستوطنين وفي أحيان أخرى لم يكن الجيش على علم بذلك. وعلى أية حال، فإنه عندما كان الجيش يطلب من المستوطنين إخلاء البؤرة الجديدة، فإنهم كانوا يرفضون وكانت المرحلة الثانية تتمثل في شق طريق إلى البؤرة الجديدة وإرسال بعض الاسر لتقييم في الكرفانات. وفي هذه المرحلة كانت الحكومة وكان جيش الدفاع يخضعون بصفة عامة لمطالب المستوطنين، بل أن جيش الدفاع كان يوفر الحراسة ووسائل التأمين للبؤرة الجديدة، ووجد المستوطنون وسائل لتدبير الميزانيات اللازمة للبؤرة من الخزنة العامة.

وتجدر الإشارة إلى أن وزراء المبدال في الحكومة السابقة وبعض العناصر الأخرى قد مارسوا ضغوطاً حتى لا يتم إخلاء هذه البؤر الاستيطانية. وفي معظم الأحيان لم تكن هناك ضرورة لمثل هذه الضغوط، وقبل الانتخابات كان رئيس الوزراء السابق بنيامين نتنياهو يرغب في استرضاء المستوطنين ولم يجرؤ على المساس بهم. وأيد الوزير شارون المستوطنين وشجعهم. وعندما عين موشيه أريئيل لمنصب وزير الدفاع حظى هؤلاء المستوطنين بمساعدات كبيرة.. ومن ثم فإن الشيء الذي بدأ كعملية فدائية غير مشروعة من الاستيلاء على الأراضي في الضفة سرعان ما أصبح عمل من شأن الحكومة السابقة والتي شجعت في واقع الأمر عملية الاستيلاء على الأراضي، ومن ثم كان لابد من حدوث مصادمات بين المستوطنين وبين الفلسطينيين وخاصة في الحالات التي كان يستولي فيها المستوطنون على أراضي تقع في نطاق الملكية الخاصة للفلسطينيين.

والآن وبعد تغيير السلطة، يجب وضع نهاية لهذه الظاهرة، وخاصة ونحن نعلم أن المستوطنين كانوا يحظون بمكانة خاصة في عهد الحكومة السابقة من جميع النواحي. ولذلك فإن إزالة هذه البؤر الاستيطانية والتي ولدت عن طريق الخطأ، سوف يوضح للمستوطنين والفلسطينيين على حد سواء، أن حكومة باراك لا تنوى المضي في طريق حكومة نتنياهو.

لقد تطرق رئيس الوزراء إيهود باراك ورئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات بعد لقائهما عند معبر اريئيل إلى قضية المستوطنات الإسرائيلية في المناطق على اعتبار أنها تشكل إحدى القضايا المعقدة التي تواجه الطرفين قبل بدء المفاوضات حول التسوية الدائمة. وكما هو معروف فقد بذل باراك وعرفات جهوداً كبيرة لازالة أى شكوك وعداوة ميزت العلاقات بين حكومة نتنياهو وبين زعامة السلطة الفلسطينية من أجل إعطاء فرصة جديدة للمفاوضات وبصورة موضوعية من أجل الاستمرار في عملية السلام. ويمكن لباراك أن يساهم في خلق جو من الثقة إذا توجه على وجه السرعة إلى معالجة وإزالة أحد الالغام الخطيرة التي وضعتها حكومة بنيامين نتنياهو في طريقه.

وقبل حوالي عام، ومع عقد مؤتمر القمة مع الفلسطينيين في وادي قام المستوطنون ومن يؤيدوهم في الحكومة السابقة - والذين توقعوا سلفاً طبيعة الاتفاقية التي تتبلور في الولايات المتحدة الأمريكية - بحملات كبيرة من أجل الاستيلاء على بعض الأراضي في الضفة. ولم تتوقف احتجاجات الفلسطينيين وتحذيرات الحكومة الأمريكية والمجتمع الدولي وشكاوى كثير من الإسرائيليين. وعلى الرغم من ذلك لم تتوقف هذه الظاهرة بل أنها استمرت وتزايدت. وإذا كنا قد تحدثنا في العام الماضي عن إقامة ست بؤر استيطانية من هذا القبيل، فإنه في الأسبوع الماضي وصل عدد هذه البؤر إلى ٤٢ تضم مئات من الكرفانات.

وقد اقيمت هذه البؤر الاستيطانية بصورة واحدة، وهي أن يحدد المستوطنون إحدى المرتفعات التي تقع على مسافة محددة من مستوطنة قائمة، وفي معظم الأحيان في المناطق التي توصف بأنها أراضي دولة، وفي أحيان أخرى داخل النطاق القضائي للمستوطنات والذي يعتبر أكثر اتساعاً. وينقل المستوطنون الكرفانات إلى هذه البؤر الاستيطانية، وحتى لا تبدو السيطرة على النقطة الجديدة على أنها إقامة مستوطنة جديدة فإن البؤر الجديدة توصف بأنها نوع من التوسيع والاضافة لمستوطنة قائمة. وفي بعض الأحيان كان

مكيدة أخرى ودونم آخر

ستكون في منطقة القدس فحسب، أو في القدس الكبرى، وقد اقام الوزير شارون مستوطنات جديدة تحت ستار الأحياء الجديدة التابعة للمستوطنات القديمة. وفي هذا النطاق تم اقامة عدة مستوطنات مثل طالمون "أ" وطالمون "ب" وطالمون "ج" وهكذا دواليك. وتحدثوا دائماً قائلين أنه ليس المقصود اقامة مستوطنة جديدة ولكن تنفيذ قرارات قديمة ومصادرة اراضي بناء على موافقة صدرت قبل ٢٠ عاماً أو تنفيذ لقرار اللجان الوزارية منذ عهد جولدا مائير وموشيه ديان.

وأما الحيلة الماكرة التي اتبعتها حكومة بنيامين نتنياهو فقد أطلق عليها اسم "الزيادة الطبيعية".. حيث كان نتنياهو يسألك ماذا نفعل؟ المستوطنون يلدون اطفالاً والمستوطنة تزداد حجماً بطبيعتها وبدون تدخل من الحكومة. وفي الفترة الانتقالية بين حكومة نتنياهو وحكومة باراك ولدت ٤٢ بؤرة استيطانية جديدة فوق التلال في يهودا والسامرا تضم المئات من الكرفانات. والآن يدعى المستوطنون ومؤيديهم أن الاتفاق الانتلافي ينص على أنه لا يجب المساس بالمستوطنات القائمة، وعلى هذا الأساس لم تتم ازالة البؤر الاستيطانية بل سيتم تطويرها وتوسيعها. ومن المعروف أن ملايين الشيكلات التي استثمرت في بناء البؤر الاستيطانية غير المشروعة قد جاءت من ميزانية الدولة.

والسؤال الآن هو: لمن وجهوا هذه الحيل وهذا الخداع؟ ومن هم الذين حاولوا ان يضللوهم؟ الرد هو لقد حاولوا خداع وتضليل الأمريكيين والمجتمع الدولي وكذلك الاغلبية في إسرائيل الذين يعترضون على ذلك.. ولكن يبدو أن كل هذه الحيل لم تكن إلا خداعاً ذاتياً.

ومن الواضح، أنه كانت هناك علامات ودلائل على ضعف حكومات إسرائيل التي شعرت بالخوف من المستوطنين ومؤيديهم واضطرت إلى اصدار قرارات تتم عن الخضوع والخنوع.. ويمكن القول أن حكومة رابين شعرت بالخوف من المستوطنين ولم تتمكن حتى من اخلاء مؤيدي باروخ جولدشتين من الخليل العربية بعد مذبحة مغارة المكيبلا (الحرم الابراهيمي) وأما حكومة نتنياهو فقد خضعت لهم ولم تنفذ ما وعدت به في اتفاقيات واي ريفر. والآن يحاول المستوطنون بمساعدة المفدال وناتان شرانسكي اثارة الخوف في نفوس حكومة باراك.

إن تصرفات حكومة إسرائيل (أي حكومة) في قضية المستوطنات كانت متناقضة. فهذه الحكومات اعلنت غضبها على المستوطنين الذين اقاموا مستوطنات في أماكن لم يتم التصديق عليها. ولكن هذه الحكومات ساعدت المستوطنين على مخالفة القانون ووفرت لهم الحماية ومنحتهم الوسائل والأموال. وبعد ذلك طلبت منهم هذه الحكومات اخلاء البؤر الاستيطانية التي استولوا عليها بدون موافقة. وفي بعض الأحيان تم اخلاء هؤلاء المستوطنين بالقوة، ولكن هذه الحكومات اخذت تبحث في نفس الوقت عن حلول تنطوي على خضوع محترم لمطالبهم.

ومنذ اليوم الذي وصل فيه الحاخام ليفنجر إلى الخليل قبل أكثر من ٢٠ عاماً وأدعى ان كل ما يرغب فيه هو اقامة احتفال ليلة عيد الفصح في مدينة الاجداد، أصبح النشاط الاستيطاني مليئاً بالحيل والخدع والتضليل. وكذلك فإن العملية التي أدت إلى اقامة كريات أربع قد بدأت بقرار حكومي بشأن اقامة مدرسة دينية في المدينة. وأما مستوطنة معلية أدوميم فقد بدأت بقرار اقامة منطقة صناعية هناك. وأما عفرا فقد اقيمت كمعسكر للعاملين في إحدى المنشآت العسكرية. ولم توصف البؤر الاستيطانية في يهودا والسامرا كمستوطنات ولكن كمدارس ميدانية. وأما مستوطنة شيللا فقد كانت في بداية الأمر مجرد معسكر لوفد أثري.

وهذا الاسلوب يميز حكومة مناحم بيجين بالذات، وبعد أن استوطنت نواة من جوش ايمونيم على مقربة من اطلال شيللا القديمة متكرين كوفد أثري، ظهر في الصورة في ذلك الوقت سكرتير الحكومة ارييه ناتور الذي أعلن في التليفزيون انه ليست هناك مستوطنة على الاطلاق. وسأله المراسل ماهي نوعية المعسكر الاثري ورد عليه ناتور قائلاً: "سوف تفتح في المعسكر عيادة ولن يفتح هناك بنك بطبيعة الحال". وقد اثار رده عاصفة من الضحك. ولكن الوحيد الذين لم يضحكوا على هذا الرد هم المستوطنون المتطرفون انفسهم الذين لم يهتمهم منذ ذلك الحين وحتى الآن ما هو الوصف الذي يطلقوه عليهم، ولكن كل الذي يهتمهم هو أن يمكنوهم من الاستيطان ويحولوا إليهم اموال الجماهير حتى يتمكنوا من فرض آمالهم وطموحاتهم على الدولة.

وقد اتبعت الحكومات التالية حيلاً أخرى، فقد قالت هذه الحكومات على سبيل المثال أن عمليات البناء الجديدة

مقياس السلام - شهر يونيو ١٩٩٩

تعارض الانسحاب الشامل في مقابل التوقيع على اتفاق سلام مع سوريا فبينما أعرب نصف من شملهم الاستطلاع عن معارضته للانسحاب فقد أعرب الربع فقط عن تأييده في حين أنه لم تكن لى الربع الآخر أية رؤى محددة المعالم .

ويمكننا أن نجد تفسيراً جزئياً لشيوع ظاهرة معارضة الانسحاب في ذلك التفسير الذي يطرحه الشارع الاسرائيلي لإشارات الترحيب تلك القادمة من دمشق ، فحينما وجهنا إلى من شملهم الاستطلاع السؤال التالي " أثنى الرئيس السوري حافظ الأسد خلال حديثه أمام الصحفيين على رئيس الوزراء المنتخب ايهود بارك فهل تعتقد أن هذا الحديث ينطوي على إشارة مفادها أنه معني في الحقيقة باستئناف مفاوضات السلام مع إسرائيل أم أن هذا الحديث لا يعدو كونه حديثاً عاماً " فقد اتضح أن ٥٢% يعتقدون أن هذا الحديث لا يعدو كونه خطوة إعلامية في حين أن ٤٠% رأوا أن هذا الحديث يعبر عن نوايا حقيقية . ومع هذا وكما أشرنا فإن ربع من شملتهم العينة فقط يؤيدون الانسحاب الشامل أي أنه لا يوافق كل المؤمنين بصدق أقوال اسد على الانسحاب الشامل من هضبة الجولان . وعلاوة على هذا فبالرغم من أن ٧٠% ممن شملهم الاستطلاع أعربوا عن أنهم يرون بعين الاهتمام مخاطبة الرئيس السوري الأسد الشعب الاسرائيلي مباشرة بشأن السلام فقد ذكر ما يربو على النصف أي ٥٧% أنهم لن يغيروا موقفهم بشأن قضية التنازلات الاقليمية . وفي المقابل فقد رأى ٢٧% ممن شملهم الاستطلاع أنه من الوارد أن يؤثر توجه الأسد على مواقفهم ، ومع هذا فلم يكن للبقية المتبقية موقف واضح .

وقد تكمن أحد أسباب التشكك في الموقف السوري في عمليات القصف الضخمة التي شنها حزب الله مؤخراً على المستوطنات الشمالية ، تلك العمليات التي تزامن حدوثها مع تلك الاشارات الايجابية القادمة من دمشق . وعند سؤال الجمهور عما إذا كان يؤمن أن سوريا تبتغي حقاً السلام فقد اتضح من الاجابات أن ١٩% ممن شملهم الاستطلاع يرون أن السوريين لا يبتغون السلام وأنهم يتحينون الفرصة المناسبة لمهاجمة إسرائيل ، وفي المقابل

تركز مقياس السلام الخاص بشهر يونيو على موضوعين رئيسيين ، فتمثل الموضوع الاول في طبيعة العلاقات مع سوريا على ضوء الأحداث التي تشهدها المنطقة الشمالية وترقب استئناف مسيرة السلام . أما الموضوع الثاني فقد تمثل في مفاوضات تشكيل الحكومة .

وفيما يتعلق باستئناف الاتصالات مع السوريين فقد تبين لنا أن نسبة من يعارضون الانسحاب الشامل من الجولان في مقابل التوصل إلى اتفاق سلام مازالت تقدر بضعف من يوافقون على فكرة الانسحاب هذا بالرغم من تلك الاشارات الايجابية القادمة من دمشق ناهيك عن أن الغالبية تؤمن أنه إذا لم يتم التوقيع على اتفاق سلام إن أجلاً أو عاجلاً فمن الوارد أن تنشب حرب مع سوريا . وعلاوة على هذا فقد اتضح أن الغالبية تعارض فكرة انسحاب إسرائيل من طرف واحد من لبنان .

أما موضوع المفاوضات الائتلافية الرامية إلى تشكيل الحكومة فمن الواضح أن السلام لا يعد بمثابة الاشكالية الرئيسية التي تلعب دوراً جوهرياً في تحديد موقف الشعب تجاه الحكومة القادمة . ويعد خير دليل على هذا الأمر أن الأحزاب التي تحظى بتأييد ضخم تتبنى رؤى شديدة التباين تجاه مستقبل المسيرة فتختلف رؤى حزبي ميرتس والوسط تجاه المسيرة عن رؤى حزبي الليكود والمفدال . وفي المقابل فيتزايد الاحساس بالتحفظ إزاء ضم الأحزاب الحريدية التي تعد أحزاباً يمينية إلى الحكومة ، ويصل هذا الاحساس بالتحفظ إلى القمة في كل ما يتعلق بضم الأحزاب العربية إلى الحكومة خاصة أن هذه الأحزاب تؤيد المسيرة دون أي تحفظ .

وكانت وسائل الاعلام قد نشرت خلال الأسابيع الماضية عدة تقارير عن إمكانية استئناف المفاوضات مع سوريا ، وترحيب الرئيس السوري حافظ الأسد برئيس الوزراء المنتخب ايهود باراك . وعند التساؤل عما إذا كانت هذه التقارير قد لعبت دوراً في ازدياد قبول الشارع الاسرائيلي لفكرة تقديم تنازلات اقليمية في الجولان فقد كشفت استطلاعات الرأي أنه لم تطرأ أية تحولات حقيقية في هذا المجال وأن تباين المواقف حالياً بشأن هذه القضية لا يختلف كثيراً عما كان عليه فيما مضى ، فمازالت الغالبية

فيرى ١١% فقط أن السوريين معنيون حقا بتحقيق سلام حقيقي مع إسرائيل . أما الغالبية والتي يمثلها الثلث فترى أن السوريين يبتغون التوصل إلى سلام بارد فقط مع إسرائيل . وقد تبين لنا وكما هو متوقع أنه توجد علاقة وثيقة بين نوايا السوريين وبين مدى الاستعداد للانسحاب ، فيؤيد ٤٥% ممن يعتقدون أن سوريا معنية حقا بالتوصل إلى سلام حقيقي الانسحاب الشامل ، وفي المقابل فتقدر نسبة المعارضين بـ ٣٢٪ . أما من يعتقدون أن سوريا تبتغي التوصل إلى سلام بارد فقط فإن نسبة من يؤيدون منهم الانسحاب تقدر بـ ٢٧% في حين أن نسبة المعارضين تقدر بـ ٤٤٪ . وفيما يتعلق بمن يعتقدون أن سوريا لا تبتغي السلام فإن نسبة معارضي الانسحاب تقدر بـ ٨٢% في حين أن نسبة مؤيدي الانسحاب لا تتعدى ٩% . وإذا يتساءل المرء هل يعني هذا الوضع أن الجمهور لا يولي قدرا كبيرا من الاهتمام إلى استئناف المفاوضات مع سوريا خاصة في ظل هذه الفترة التي يتردد فيها إدعاء مفاده أنه ليس بوسع إسرائيل تحمل عبء إجراء المفاوضات مع الفلسطينيين والسوريين في ذات الحين فيجب أن نعلم أنه قد اتضح أن الشارع الاسرائيلي لا يفضل مسارا على مسار آخر فبينما يرى ١٧% أنه من الأحرى التركيز في البداية على المفاوضات مع الفلسطينيين والاتفات فيما بعد إلى المفاوضات مع السوريين فإن ١٤% من الجمهور يعتقد أنه من الواجب التركيز في البداية على المفاوضات مع السوريين والاتفات فيما بعد إلى الفلسطينيين ، ومع هذا فيرى ٦٠% من الجمهور أنه من الواجب إجراء المفاوضات على المسارين السوري والفلسطيني على نحو متوازن . وفي المقابل فيرى ٩% أنه من الواجب ألا يتم إجراء المفاوضات إطلاقا . وعند تقسيم هذه المجموعة على ضوء اتجاهات التصويت في انتخابات رئاسة الوزراء نجد أن ٢% ممن صوتوا ليهود باراك يتبنون هذه الرؤية في حين أن ١٨% ممن صوتوا لبنيامين نتنياهو يتبنون هذا التصور . وتوضح هذه النتيجة أن الشارع الاسرائيلي لا يسلم بهذا الادعاء الذي مفاده أنه قد يكون من المنهك للغاية إجراء المفاوضات على المسارين السوري والفلسطيني في ذات الحين ، وأن قطاعا عريضا من الشارع يؤيد استئناف المفاوضات مع سوريا رغم التشكك في حقيقة النوايا السورية .

وقد اشرنا خلال استطلاع الشهر الماضي إلى أن الشارع الاسرائيلي يفضل إقامة حكومة وحدة وطنية إذ إنه بمقدور هذه الحكومة رغم إمكانية عرقلتها لمسيرة السلام دفع عجلة تحقيق الوفاق في صفوف الشعب عن إقامة حكومة يسارية قد تنجح في دفع المسيرة السياسية فقط دون التمكن من

تحقيق الوفاق . وقد بحثنا في إطار الاستطلاع الحالي وعلى نحو أكثر تحديدا المكانة الشعبية للأحزاب المختلفة كشركاء في الحكومة الائتلافية . وقد وجهنا إلى العينة التي شملها الاستطلاع سؤالا كان نصه التالي " : أية أحزاب كنت تتمنى مشاركتها في حكومة برئاسة باراك وأية أحزاب تتمنى ألا تشارك في هذه الحكومة ؟ " وقد اتضح من خلال الاجابات أن بعض الأحزاب تحظى بالأفضلية دون غيرها فقد أتى في المرتبة الأولى كل من " ميرتس " و " الليكود " إذ أعرب ٢٦% ممن شملتهم العينة عن تفضيلهما لهذين الحزبين ، وشغل المرتبة الثانية حزبا " الوسط " و " المفدال " إذ حظى كل منهما بتأييد ١٧٪ . وفيما يتعلق بالأحزاب العربية كأحزاب شريكة في الائتلاف فقد أعرب ٤% عن رغبتهم في مشاركة هذه الأحزاب في الائتلاف في حين أن نسبة معارضة مشاركتها قدرت بـ ٣٧٪ . ولم تشغل المرتبة الدنيا سوى الأحزاب الحريدية فأعرب ١٢% فقط عن تأييدهم لانضمام حزب " يهودت هتوراه " للحكومة ، و ١% فقط لانضمام حزب شاس . وعلى ضوء هذه النتائج يمكننا أن نتبين أن قضية السلام تعد قضية ثانوية في سلم أولويات الشارع الاسرائيلي مقارنة بالقضايا الداخلية خاصة أن أكثر الأحزاب تمثعا بتأييد الجمهور تنتمي إلى معسكرى " الحمايم " و " الصقور " . وتتماشى هذه النتائج مع تلك النزعة السائدة في إسرائيل التي أشرنا إليها فيما مضى والتي ترى أن النزاع الاسرائيلي - العربي يعد أقل حساسية من تلك الخلافات الداخلية القائمة على سبيل المثال بين المتدينين والعلمانيين .

* تكون مقياس السلام العام الخاص بهذا الشهر من ٦٥ نقطة ، واشتمل مقياس اوسلو على ١ ، ٥٢ نقطة ، ومقياس سوريا على ٤٢ ، ٨ نقطة .

يجرى مشروع مقياس السلام في مركز " تامي شتاينماتس " لبحوث السلام جامعة تل أبيب وبرئاسة البروفيسور افرايم يعر ودكتور تمر هيرمان . وينفذه " تيلسيكر " . شملت عينة شهر يونيو ٥٠٥ فردا .



جدل التسوية والتطبيع

هآرتس ١٨/٦/١٩٩٩
بقلم / الوف بن

هل تزداد حرارة العلاقات مع مصر؟

وقد صرح مصدر بوزارة الخارجية بأن الشعب المصري معجبا بباراك.

فمصر تريد أن تلعب دورا مؤثرا في عملية السلام التي سيتم استئنافها، وهي تدرك بأن عليها أن تشتري التذكرة اللازمة لذلك من إسرائيل. ويقول مسئولون إسرائيليون أن المسافة لاتزال بعيدة إلى أن يحدث التغيير الفعلي في العلاقات، وبخاصة إلى أن يشعر الجمهور الإسرائيلي بالتغيير. فالقيود والعقبات البيروقراطية التي تضعها مصر أمام التجارة والعلاقات مع إسرائيل لاتزال قائمة في مجالات كثيرة، وذكرى اعتقال زوجة رجل الأعمال ديبورا جناني (والتي أفرج عنها بعد تدخل باراك)، وفوق هذا كله قضية عزام عزام المسجون في مصر: كل هذه الأمور تثقل على السلام ولا تكفي اللفات الدبلوماسية لتغييرها. ولاتزال التصريحات العلنية التي تصدر عن القاهرة رصينة. فالرئيس مبارك ووزير الخارجية عمرو موسى، اللذان قاما بتحريك دبلوماسية في العالم العربي بعد الانتخابات، يدعوان إلى الانتظار حتى يشكل باراك حكومته. وقد طالباه بتنفيذ اتفاق واي بلا مناورات، وأكدوا على الصيغ المعروفة الداعية إلى الانسحاب من جميع الأراضي (أي الجولان وجنوب لبنان) وإزالة الأسلحة النووية الإسرائيلية.

وإلى جانب الأمل في التغيير، يلوح مبارك وموسى بعصا مؤتمر القمة العربي، أو قمة مصغرة تضم زعماء دول الطوق، وهي أمور تخلق بطبيعتها مواقف عربية متعنتة. هذا الأسبوع قال رئيس المخابرات العسكرية، اللواء عاموس ملخا أن القاهرة أطلقت في الأسابيع الأخيرة تصريحات أكثر اعتدالا عن إسرائيل بدلا من التصريحات العنيفة التي كانت تطلقها ضدها في السنتين الأخيرتين. وقال (من المتوقع أن تقوم مصر بعدة مبادرات لاستئناف المسيرة السياسية، طبعاً على المسار الفلسطيني وكذلك

وصلت دعوة غير عادية هي الأولى من نوعها إلى قرية سفير إسرائيل بالقاهرة، تسيفى مزئيل - فقد دعته سيدة مصر الأولى - سوزان مبارك، لحفل شاي اقامته لقرينات السفراء الاجانب في العاصمة المصرية. بالنسبة للإسرائيليين الذين اعتادوا على رؤية قرية السفير المصري نجوى بسيوني في أى حدث اجتماعي، كان من الصعب أن يتفاعلوا مع هذه اللفتة، ولكن في الحوار الحساس بين القدس والقاهرة، كان حفل الشاي اشارة دبلوماسية هامة، والتي اعطت المصريين نقطة لصالحهم في نظر واشنطن، بل أن دبلوماسيا أمريكيا كبيراً قد اشتكى هذا الأسبوع من أن إسرائيل لم ترد بالحماس المناسب على هذه اللفتة المصرية، لقد جاءت الدعوة لزوجة السفير، والتي استمتعت بالحفل اللطيف، ضمن الرسائل الايجابية التي انطلقت من القاهرة في الأسابيع الأخيرة. فقد أصبح مسئولو الخارجية المصرية أكثر انفتاحا للحوار مع الدبلوماسيين الإسرائيليين، وعرضوا عليهم تعزيز الحوار السياسي مع الخارجية الإسرائيلية، وهي الفكرة التي سبق ورفضها المصريون. فقد ألمحت القاهرة إلى أنها ستعمل على تأجيل الاجتماع التمهيدى للدول الموقعة على معاهدة جنيف، والذي كان سيدين إسرائيل بسبب المستوطنات، وتحدد له ١٥ يوليو.

بل إن القدس رصدت أيضا تراجعاً في حدة النغمة الإعلامية المصرية والتي تعتبر رائدة العداء ضد إسرائيل. وخلفية هذه المرونة المصرية واضحة ونعني نتائج الانتخابات في إسرائيل وزيارة مبارك المرتقبة لواشنطن. لقد أدى وصول ايهود باراك للحكم إلى ظهور توقعات كبيرة في القاهرة بعد ثلاثة أعوام من العداء وجمود العلاقات مع بنيامين نتنياهو. وقد جاء في تقارير السفارة الإسرائيلية بالقاهرة أن هناك تفاؤلاً حذراً، وأملأ في حدوث تغيير في المناخ السياسي، والعودة إلى عهد رابين وبيريز.

المسار السوري، ولكن ليس من المعتقد أن يتحول السلام البارد إلى سلام ساخن خلال ستة شهور. سيظل سلاما باردا ولكن مستقراً). لقد كانت فترة ننتياهو من أكثر الفترات العصبية التي شهدتها العلاقات مع مصر. فقد اتهمه الرئيس مبارك بالكذب والنكوص عن الوعود التي أطلقها بدفع عملية السلام. ولكن من وراء واجهة العداء، تحققت طفرة صامته بين الدولتين في مجال يههما، أي مكافحة الارهاب. من لحظة أن قرروا في القاهرة - بعد الانتخابات السابقة - أن المصلحة المصرية تقتضي ذلك، انفتح الطريق أمام علاقات لم يسبق لها مثيل في الماضي، بغض النظر عن شخصية رئيس الوزراء الحاكم في القدس. يعتبر عمر سليمان رئيس المخابرات المصرية هو الشخصية الرئيسية في هذه العلاقات الخاصة، والذي انطلق من عالم الظل. فالقناة التي يشغلها اتاحت اجراء اتصالات بين الحكومات، بدون الزام مصر بتقديم مبادرات علنية. وقد سبق أن قام سليمان بزيارة لإسرائيل منذ عدة شهور بدون الاعلان عنها. وقد تولى الاتصالات من جانب إسرائيل داني

ياتوم، والذي أصبح رئيساً لفريق عمل ايهود باراك. ومن المتوقع أن تستأنف الاتصالات الشخصية قريباً بين الجانبين، وستصبح قناة هامة لعلاقات حكومة باراك مع القاهرة. وكان هناك مبعوث آخر لنتنياهو للقاهرة بعد استقالة ياتوم، وهو مدير عام صندوق المرضى مكابي، شبتاي شبيت، رئيس الموساد السابق. وقد أكد رئيس المخابرات العسكرية هذا الأسبوع بأن مصر متمسكة بقرارها الاستراتيجي بالسلام، ولن تبحث عن مواجهة مع إسرائيل، ولكنها ستظل تنظر اليها على أنها تنافسها في الهيمنة على المنطقة. هناك أيضاً من يتذكرون، أنه في عهد رابين وبيريز، عملت مصر على مواجهة ماراته من غزو اقتصادي اسرائيلي للعالم العربي وشنت حملة ضغوط ضد القدرة النووية الإسرائيلية. والنتيجة المطلوبة هي أنه في عهد باراك أيضاً ستتطلب العلاقات مع مصر اهتماماً حساساً.

معاريف ١٩٩٩/٧/٥

بقلم / اوري افيرى

منظر من فوق الجسر

وأضفت أن باراك يرغب في التوصل إلى تسوية مع الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين، وليس هناك أي وجه للشبه بينه وبين بنيامين ننتياهو.. حيث أن ننتياهو رجل يتحدث بلغة القوة ومتشدد في نظريته البرجماتية. ولم يكن ننتياهو يرغب في بداية الأمر في أي نوع من السلام لأنه لم يكن على استعداد لاعادة ولو متر مربع واحد من الأرض. وهو ابن مخلص لأجداده وهو من أكثر المتشددين، بل والمتطرفين في إسرائيل.

وأما باراك فإن التسوية تبدو أمام عينيه بكل تفاصيلها. فهو على استعداد للاعتراف بالدولة الفلسطينية في معظم مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة مع وجود اتصال مباشر بينهما في صورة ذلك الكوبري العلوي على سبيل المثال. وهو يريد ان يقطع من الضفة ثلاث كتل استيطانية يتركز فيها معظم المستوطنين ولا تتركز فيها معظم المستوطنات.

وهو على استعداد للمساومة حول حجم هذه الكتل الاستيطانية. وسوف تشمل هذه الكتل مساحة تتراوح ما بين ١٠ - ٢٠٪ من مساحة الضفة. ولن يصر باراك على ضم وادي الأردن ولكنه سيرغب في الحفاظ هناك على أي تواجد عسكري.

وفيما يتصل بالقدس، سوف يتوصل إلى حل وسط جديد.. ولن يرغب في الاخلال بالتزامه بعدم تقسيم القدس التي ضمتها إسرائيل إليها. ولكن إذا تجاهلنا الحدود البلدية التي وضعت بصورة استبدادية عند الضم وعدنا إلى حدود

لقد القيت محاضرة هذا الاسبوع في القاهرة أمام مجموعة من المسؤولين المصريين الذين احيلوا إلى المعاش و ذكرت فكرة ايهود باراك بشأن اقامة كوبري علوي بين غزة والخليل ولدهشتي انفجر الحاضرون في الضحك وقالوا أن حسنى مبارك اشتكى اثناء مفاوضات السلام المصرية الإسرائيلية من أن إسرائيل تفصل بين جزئي العالم العربي. ففي ذلك الحين طرحت فكرة اقامة كوبري علوي في منطقة ايلات بين مصر والأردن وذلك حتى يستطيع المسافر العربي أن ينتقل بسيارته من الدار البيضاء إلى بغداد بدون الخروج من المنطقة العربية. وهنا سأل مبارك. "ماذا سيحدث إذا اراد المسافر التبول؟ أنه إذا تبول من فوق الجسر داخل إسرائيل فسوف تحدث مشكلة دبلوماسية".

وهنا ضحك الحاضرون.. أن ايهود باراك يثير فضولاً شديداً في القاهرة مثلما هو الحال في جميع انحاء العالم العربي. وقد غمرني الحاضرون وهم ضباط جيش وسفراء ومسؤولون كبار بالأسئلة بشأن الرجل وطبائعه وصفاته وأجبتهم جميعاً قائلاً أن ايهود باراك رجل جاد وهو أكثر ثقافة مقارنة بباقي جنرالات الجيش لدينا. وهو ضليع في التاريخ وهو رجل متزن. وتبلور اسلوب فكره في الجيش. وهو جيد الاستماع إلى الغير ويدرس الأمور، وفي نهاية الأمر يحدد الاستراتيجية، وعندما يضع الاستراتيجية يتمسك بها بدون أي انحراف وبهذه الطريقة نجده قد حقق كل ما يصبو إليه حتى الآن.

محافظة القدس التي كانت في عهد الانتداب والتي يتمسك بها الفلسطينيون أيضا، فانه في هذه الحالة يمكن تقسيم المنطقة كلها من جديد بالطريقة التي تساعد على اقامة عاصمة إسرائيلية وعاصمة فلسطينية كل منهما إلى جانب الأخرى. وسوف تضم معالية ادوميم إلى إسرائيل وبيت المقدس سيضم بالفعل إلى المناطق الفلسطينية مع خلق امتداد أو تواصل اقليمي بواسطة دهليز أو كوبرى علوى آخر.

وأما في الشمال فإن باراك على استعداد للانسحاب من هضبة الجولان إلى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧، ولكن بدون أن تمكن سوريا من الوصول بالفعل إلى حافة بحيرة طبرية. وسوف تكون هناك مساومة شديدة حول المياه.. وفيما يتصل بلبنان فإن جيش الدفاع يمكن أن ينسحب في نهاية الأمر من لبنان.

وسوف يستخدم بارك في المفاوضات نفس الوسائل التي

نجحت في المفاوضات حول تشكيل الائتلاف.. حيث سيجعل الفلسطينيين والسوريين يناورون بعضهم البعض، مثلما استخدم الليكود لخفض سعر شاس والعكس. وسوف يدير كل شئ وحده بواسطة المقربين منه من قادة الجيش ولن يكون هناك تواجد لأى وزير أو سياسى. وسوف تقبل جميع احزاب الائتلاف هذه النتائج لأن خطة باراك تحظى بإجماع واسع للغاية. وحتى المستوطنين يفهمون انهم يجب أن يضحوا بعشرات من المستوطنات المنفردة من أجل الحفاظ على الكتل الاستيطانية الكبيرة، أى على استعداد لقطع بعض الأطراف من أجل الحفاظ على الجسد.

وأضفت بالطبع أننى غير شريك في هذا الاجماع.. حيث أن هذه تسوية عظيمة تساعد على حل الكثير من المشاكل ولكن تنقصها روح السلام بين الشعوب.. سلام الأجيال الذى يستوجب العودة إلى الخط الأخضر وإزالة جميع المستوطنات وتحويل القدس إلى عاصمة للدولتين.. وهذا فقط يضمن السلام الحقيقى الذى يستمر لوقت طويل.

الضربة الحادية عشرة

يديعوت احرونوت

١٩٩٩/٧/١١

بقلم / ايتان هابر

(اننى ابحث فى قاموسى الخاص عن لفظ مهذب. سوف أعود للموضوع).

ليس لدى فكرة أو أدنى فكرة عما قاله باراك لمبارك فى اللقاء المنفرد. اتمنى ان يكون قد توسع جدا فى موضوع كان قد ذكره فى جملة واحدة أثناء خطابه وقت تقديم حكومته للكنيست فى الاسبوع الماضى وهى - تعليم السلام للشعب المصرى والشعب الفلسطينى. اننى اتمنى ايضا أن يكون هذا البند الهام محورا فى اطار المفاوضات مع الرئيس حافظ الأسد. فماذا فعل لنا السلام إذا كانوا ينظرون الينا نحن الإسرائيليين فى شوارع مصر الجديدة والمعادى نظرة سيئة، ويرسمون عنا رسوم كاريكاتورية مسمومة، ويكتبون عنا مقالات شيطانية، ويتهمون منا واحداً على الأقل بالتجسس وهو البرئ ويرمونه فى السجن لسنوات طويلة، ويتعاملون بشراسة مع الإسرائيليين عند المعابر الحدودية، ويمزقون صورة من يجنون معه طلبة رصاص نساها فى حقيبة سيارته أثناء اداء خدمة الاحتياط؟ ماذا يفيدنا هذا السلام إذا كانوا فى المدارس المصرية مازالوا يدرسوننا على اننا الكفار وحلفاء الشيطان، وإذا كان هناك اصحاب حوانيت يرفضون أن يبيعوا منتجاتهم للإسرائيليين وفنادق ترفض استقبالهم؟ نفس الكلام ينطبق على الفلسطينيين - الذين يدرسون نفس الكلام من أول عام دراسى إلى آخر عام دراسى. عندهم بالذات، وهم الذين درسونا وعرفونا من الداخل، حدث تقدم وتحسين فى المناخ. ولكن الطريق لا يزال طويلا، والمهمة لا تزال ثقيلة. كذلك كتبهم الدراسية مازالت بعيدة عن أن

حتى اليوم، بعد عشرين عاما، أتذكر تلك اللحظات المؤثرة، فقد وقعت ثلاث أو أربع حروب وسقط آلاف القتلى، وعشرات الآلاف من الجرحى، للأسف الشديد، من أجل الوصول إلى تلك اللحظة الرائعة: لحظة وصول أول إسرائيلي إلى القاهرة.

ثم نقلنا باتوبيس من المطار إلى داخل القاهرة وكنا نبتلع بأنظارنا كل منزل وكل شارع وكل شخص، وكأن هذه الفرصة لن تتكرر ابدا. الآلاف، بل عشرات الآلاف احتشدوا فى الشوارع، وكان الكثيرون منهم يصفقون كلما مر الاتوبيس امامهم. وازدادت حدة التأثر، وأنداك، وربما فى محاولة للتغلب عليها، قلت بصوت مرتفع، بل صرخت (انهم يصفقون، لأنهم يعتقدون أننا أسرى). وانطلق ركاب الاتوبيس، وجميعهم صحفيون فى الضحك.

وتذكرت هذه الواقعة التاريخية، ولكن بدون أهمية، فى نهاية الاسبوع، عندما تكررت نفس المشاهد - الفرقة الموسيقية العسكرية التى تعزف سلام إسرائيل الوطنى (هتكفا)، وحرس الشرف ورئيس الوزراء والوزراء، ورئيس الحكومة باراك يسير وسطهم. نحن نعيش عقدة يهودية معروفة وبخاصة فى اتجاه اليسار فى إسرائيل، ودائما نتهم انفسنا. نحن مذنبون ومتهمون بالسلام البارد مع مصر. نحن مذنبون بالجمود فى العلاقات مع الفلسطينيين.

لسنا معفيين من العبث فى كلامنا وأعمالنا فيما يتعلق بعملية السلام مع الدول العربية، ولكن هذا لا يعنى ان كل عبء الذنب يجب أن يقع على كاهل إسرائيل. بينى وبينكم، وبدون أن يسمع احد، فإن المصريين والفلسطينيين ايضا..

تكون ودودة.

دائما قالوا في القاهرة: دعوا الوقت يلعب دوره. من غير الممكن أن نمحو أجيال من العداء بمجرد التوقيع على اتفاق سلام. اعطونا عدة سنوات. حسنا. اعطيناهم عشرين عاما وأكثر. والآن؟

قريبا تحتفل مصر بعيد الثورة. هل سيكون من المبالغ فيه

ان نقترح على الرئيس مبارك أن يتضمن خطابه للأمم جملة واحدة، أو عدة كلمات لصالح السلام، وكلمة أو كلمتين لمواطنيه بأننا لسنا مرعبين جدا بالصورة التي يصفوننا بها؟ ونحن لسنا ابرياء. بل لدينا أيضا ما يجب ان نصلحه.

ربما ينهضون هناك وهنا ويهتمون بهذا التعليم الهام.

هآرتس ٩/٧/١٩٩٩

بقلم / تسيفى برئيل

ثرثرة سلام على النيل

معارضى السلام. هؤلاء وأولئك من المثقفين، وهؤلاء وأولئك يعيشون في رعاية الحكومة التي وقعت على اتفاقيات سلام مع إسرائيل، وحبث تقوم قوات الأمن التابعة لها بتأمين المؤتمرات. يقول احد نشطاء السلام المصرى وهو يغلى من العيظ وطلب عدم ذكر اسمه (أن الفارق عميق. هؤلاء المعارضون للسلام يتولون كافة المناصب الممتازة، ويحصلون على تمويل لتأليف كتب، وإنتاج افلام أو اصدار شرائط. الجامعات مفتوحة أمامهم، وهم في نظر الجماهير حاملو شرف الأمة. ونحن، الذين حضرنا للماريوت، مازلنا في حاجة لأن نستخدم لغة مزبوجة، وأن نكون حذرين وأن نشت طوال الوقت أنه على الرغم من تأييدنا للسلام فإننا لانهدم وحدة الأمة العربية. أن حجم الشجاعة المطلوب لنا لا حدود له وأكبر من المطلوب لمن يجب أن يقول فقط أن الصهيونية هي عار. كنت سأنتفهم حجم الجهد الذى يجب ان نقوم به لو كانت مصر وإسرائيل في حالة حرب. ولكن بعد عشرين عاما من توقيع اتفاقيات السلام، يؤسفنى أن اقول، انتى اشعر بأنه مسموح لى ان اتهم حكومتى تماما مثلما اتهمت حكومات إسرائيل بعدم دفع عملية السلام".

وإذا كان هناك مشاركون مصريون كانت لهم نفس افكاره، فإنهم لم يعبروا عن رأيهم فى المؤتمر الذى خصص فعلا لأن يكون فقط حماية لدعاة السلام. لم يستطع أحد، وربما ايضا لم يرغب فى أن يقدم تفسيراً مريحا للعقل، لماذا لم يجد وزير الخارجية عمرو موسى انه من الصواب الحضور والقاء خطاب. لقد تحدد موعد المؤتمر من البداية كى يتناسب مع جدول اعماله ويضمن مشاركته. وما ان بدأت علامات النقد العام ضد المؤتمر فى القاهرة، حتى وجد موسى حجة بقوله أنه اجتماع لمنظمات غير حكومية ولذلك ليس هناك ما يدعو لمشاركة مندوب رسمى من الحكومة ووعد بإرسال خطبه تانيد يتلوها نائبه. ولكن حتى هذه الخطبة لم تصل. لو حكمتنا وفقا لبعض المثليين الفلسطينيين، فإن مصر قد طلبت ايضا من السلطة الفلسطينية عدم ارسال ممثلين رسميين، وبالفعل لم يحضر

بقامته الضخمة نهض الأديب على سالم، ومد يديه إلى الجانبين وقال هل ترى، أنا لست وحدى. أنا موجود فى البيئة الطبيعية التى اريدها. بيئة محبى السلام. انظر إلى عدد المصريين الذين انضموا إلى، وانظر إلى الأردنيين والفلسطينيين جميعهم. لقد نهضت حركة حقيقية للسلام يريد على سالم أن يرى فى اجتماع السلام الذى عقد بالقاهرة هذا الاسبوع دليلا على صحة طريقة وتعويض مناسب عن المعاناة الشخصية التى لاقاها بعد ان كان اول اديب مصرى يزور البلد المحظور، إسرائيل. كان الاستهزاء والنقد الشديد والتهديدات قد اضطرتة إلى التحرك بحرس خاص وفرته له الحكومة المصرية، وذلك نتيجة الزيارة اناها حيث اعتبر خاسا. وقد تم استبعاده من أى منصب، ولم يعد يظهر فى المحافل العامة، وقاطعته نقابة الكتاب ووجد نفسه بلا مصدر رزق. بالنسبة له كان مؤتمر السلام فعلا مصدرا للراحة حيث سيعود إلى الحياة الحقيقية خارج اسوار فندق ماريوت على ضفاف النيل بعد انتهاء المؤتمر. العودة إلى الركن الدائم فى الفندق الصغير حيث يجلس مع اصدقائه، وإلى انتقاد الكتاب والفنانين الرسميين، أولئك المثقفون انصار النظام الذين اخذوا على عاتقهم دور حراس الوطن، والمتصدين (للعزو الصهيونى الذى يريد تقويض الحضارة والاقتصاد العربيين).

وقد شارك هؤلاء المفكرين الرسميين فى اجتماع عاجل عقده فى فندق مقابل على الضفة الأخرى من نهر النيل. من أجل الوصول اليهم لم تكن هناك حاجة لاجراءات أمنية أو وضع كرنيهات خاصة بها صور. فهم حاليا الأغلبية فى مصر وليست لديهم مشكلة فى أن يضعوا فى مدخل الدخول إلى قاعة المؤتمر علم إسرائيل حتى تدوس عليه الجماهير بأقدامها. وقد اخذوا شعاراتهم من مقالات أحمد الشقيرى وخطب عبدالناصر.

من الوهلة الأولى، ما كان يمكن أن نرى مشهدا افضل للديمقراطية والبرهان النهائى على التعددية فى مصر. فمن جانب هناك اجتماع مؤيدى السلام، ومن الجانب الآخر

هؤلاء. وقد مورست ضغوط ضخمة على الوفد الفلسطيني لارسال ممثل للمؤتمر المضاد ولكن عندما علم رئيس المؤتمر المصري للسلام، السفير السابق صلاح بسيوني، بالنية الفلسطينية لارسال مندوبين إلى المؤتمر المضاد أعلن أنه سوف يسحب مساندته للوفد الفلسطيني، الذي تراجع عن نيته.

صراعات القوى هذه ليست مختلفة اليوم عن تلك التي صاحبت حركات السلام في بدايتها عندما كانت اللقاءات تتم سرا، وكأنها فعلا منظمات سرية. ومن توقع أن يكون هذا المؤتمر بمثابة طفرة، يتبنى مفهوما جديدا أو يعطى مضمونا لمفهوم (السلام بين الشعوب) على النقيض من (السلام بين الحكومات)، لم يخرج إلا ببعض الكتيبات. إذا كان كل جانب قد حافظ على حدوده داخل القاعات المزركشة بالنقوش الشرقية بفندق الماريوت، فإن السلام قد أخذ ترجمة عملية في حديقة الفندق في وقت متأخر من الليل. فقد تسال مندوب أردني بقوله (هل كان السلام سيحظى بقوة دفع أكبر لو كانت في إسرائيل حكومة شرقية، أي حكومة يهود عرب؟) - حاول الإسرائيليون أن يثبتوا أنه لم يسهم أي ممثل شرقي في حكومة إسرائيل في إفادة السلام، ولكن الأردني فسر اسباب سؤاله وقال (من السهل علينا نحن العرب أن نتكلم ونتحدث ونتعاون مع من يبدو على شاكلتنا ويتكلمون مثلنا. شخص اسمر يعرف كيف يلقي نكتة بالعربية. شخص تعمق في الثقافة العربية ويعترف بأهمية مفهوم الكرامة. ولكن ليس هذا فقط الموضوع الخارجي أو الحضاري. أن اليهود الاشكناز هم زرع غريب في هذه البيئة الشرق أوسطية ومن الصعوبة علينا كعرب أن نتقبل هذا الاجنبي. انظروا إلى رسوم الكاريكاتور التي نصف فيها اليهودي، إنه اليهودي الأوروبي ذا الانف المعقوف، وهذا هو الشكل الذي كرهناه. اليهودي المغرور، الذي يعرف كل شيء، تلك الشخصية التي افرزتها بروتوكولات حكماء صهيون).

في نظر الأردني لا يوجد يهودي جديد أو إسرائيلي آخر، وهو يريد يهودي معروف. رينهي داعية السلام الأردني كلامه بقوله (من الصعوبة بمكان أن نتخيل وضعا تستطيع فيه المجتمعات العربية تبني مجتمع إسرائيلي ممثلوه هؤلاء اليهود. قد نضطر للاكتفاء بسلام اقتصادي، سلام مصالح). ولكن عندما نتكلم عن (هذا القليل)، أي السلام الاقتصادي والمصالح، مع مندوب أردني آخر، رجل البورصة والأعمال، فإنه يحظم هذا الطموح إلى شظايا صغيرة. يقول (منذ توقيع اتفاقية السلام بين إسرائيل والأردن، إزداد وضعنا سوءا. لقد أصبحنا نصدر اقل إلى السلطة الفلسطينية والتي كانت تمثل المؤخرة التسويقية لنا.

لقد ازدادت البطالة، والمساعدات الخارجية هامشية رغم أننا قد تمنينا أن تأتي اليها استثمارات ضخمة، والتكشف يصاحبنا منذ خمس سنوات، ومن الصعوبة أن نرى مخرجا. ولكن الآن مع استئناف العلاقات مع سوريا سوف تنفتح افق جديد للتنمية الاقتصادية في الأردن). قبلها بوقت بسيط كان شيمون بيريز قد رفع الجماهير إلى عنان هوس السلام. الحديث مرة أخرى عن جهاز كمبيوتر لكل طفل عربي وعن الاستثمارات وبيع وشراء مستقبل افضل كثيرا وإلغاء الحدود القومية. وهمس مفكر مصري كان ينصت بحرص للخطاب وقال (لمن يريد أن يبيع الانترنت؟ هل لأطفال الدلتا الذين يفتشون في أكوام القمامة ليعثروا على شيء يبيعه أم للموظفين الذين لا يزيد رواتبهم عن ٥٠٠ جنيه شهريا؟ هذا هو الأسلوب الإسرائيلي الجديد لحبس العرب أمام الكمبيوتر في المنزل بدلا من وضعهم في السجون).

ما أن انتهى شيمون بيريز من خطابه حتى صفق له هذا المفكر المصري مثل الجميع، ولكنه التفت الى مرة أخرى وقال (هذا هو الكلام الذي اصابنا بأكبر الضرر. انظروا ماذا حدث للأردنيين الذين صدقوا بيريز. انظروا ماذا حدث للفلسطينيين. لقد اعتقدنا أن الزعماء اليهود مختلفون عن زعمائنا، أي يحترمون وعودهم، وأن نهى مديري البنوك للخير الذي سيأتي مع السلام. ولكن لم يحدث أي من هذه الأمور، وها هو بيريز مازال يواصل الوعود ونحن ايضا لا نصدق).

يصدق أو لا يصدق، فصناعة السلام ستظل موجودة. قال مندوب إسرائيلي (كثير من الناس يعيشون من جراء حلول السلام بدلا من الذين يموتون في الحرب. المهم اننا نتكلم ولنتقى)، وامتلات حديقة المطعم في هذه الفترة من الموسم بمئات السياح الذين جاءوا من دول الخليج. مرة أخرى تستمتع مصر بحركة سياحية بعد الضربة القوية التي تلقتها بسبب معارك الأصوليين، كما أن مؤتمر السلام اضاف ١٥٠ سائحا آخرين. وهذا الاجتماع الأكبر للسلام يترجم هنا إلى دولارات. يقول أحد منظمي المؤتمر (انها مساهمة غير صغيرة لدولة يحترس وزير خارجيتها من التقارب إلى رجال السلام ويوصي مندوب إسرائيلي بالقول (انها مرارة مؤسفة) سيمر عام آخر، وسيعقد اجتماع جديد. لقد فعلنا ذلك على مر ٢٥ عاما، وسوف نفعله. اننا نفعل ذلك بدمائنا، ونحن نمتهن مهنة صنع السلام. وفعلا إذا كان هناك شيء جديد في كل مؤتمر، فذلك هو الثقة والاحساس بالاستقرار بأنه في كل مؤتمر سنشاهد نفس الوجوه.

لماذا تراجع وزير الخارجية عمرو موسى؟

وكان من الممكن أن ينحصر الضرر على هجوم الصحافة، لولا - حسب قول المنظمين - تراجع الوزير عمرو موسى. ففي البداية أعلن أنه لا يستطيع أن يشارك في مؤتمر السلام، ولكن اقترح أن شخصا آخر يقوم بقراءة كلمته. وبعد ذلك تراجع أيضا عن هذه الخطوة. وكذلك ألغى ظهور رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب، والذي كان من المفروض أيضا أن يلقي كلمة. لقد أربك قرار موسى الوفد المصري في مؤتمر السلام، وجرت على الفور سلسلة من ردود الأفعال. فقد ألغى كذلك شخصيات من السلطة الفلسطينية حضورهم. أما الفلسطينيون الذين حضروا المؤتمر للسلام رغم ذلك، فقد فسروا غياب عمرو موسى على أنه سحب للتأييد المصري "لمبادرة كوينهاجن" وقرروا أنه في ظل هذه الظروف فمن الجدير أيضا إرسال وفد من طرفهم "لمؤتمر الرفض" المعارض للسلام على طريقة "إمسك هنا ولا تترك ما هناك".

وفي هذه المرحلة كان مؤتمر السلام على وشك التفكك، والانهياء، ولكن الوفد المصري اجتاز برغم ذلك مفاجأة موسى وأعلن للفلسطينيين: إذا ذهبتم للجلوس مع المهرجين (أي المعارضة المصرية) فسوف ننسحب وستضطرون لحل مشاكلكم مع الإسرائيليين بمفردكم. فقد صنعنا معهم سلاما بالفعل". رياض المالكي الفلسطيني سمع تلك الأمور، ومن شدة الضغوط أصابته الأزمة القلبية. ولكن التهديد نجح، فقد بقي الفلسطينيون ولم يرسلوا ممثلين عنهم إلى المعارضة.

ولكن قليلا من الروح خرجت مع مفسري "مبادرة كوينهاجن" بسبب غياب موسى وهجوم المعارضة، وعلى الرغم من البيان الختامي، والذي كان بمثابة محاولة لبلورة حل وسط بين مطالبة الفلسطينيين لإرساء عاصمة في القدس، وبين المعارضة الشديدة من الوفد الإسرائيلي. على الرغم من ذلك فقد إنشغل المنظمون في جنبات المؤتمر في محاولة لتفهم ماذا حدث لموسى. والتفسيران السائدان هما: الأول، موسى أيد مبادرة كوينهاجن طالما كان نتيا هو في السلطة بإسرائيل، ومع تغيير الحكومة بطل السبب، والتفسير الثاني، أن موسى يفكر بجدية في السعي نحو رئاسة مصر بعد مبارك. فما هو المبرر للدخول في نزاع مع المعارضة المصرية، ذات الصوت العالي، والتي مع كل ذلك سوف يحتاج لأصواتها.

والدرس الأول الذي يمكن استخلاصه من مؤتمر السلام بالقاهرة، هو أن السياسة هم دائما أكثر حكمة وبحثا عن الفائدة من العامة الطيبين، والذين يحاولون أن يؤثروا على مسيرة السلام. والدرس الثاني هو: إذا ما تقدمت مسيرة السلام بمساعدة إيهود باراك، فربما لن يكون هناك أي ضرورة لمبادرة كوينهاجن.

ولكن في الوقت الحالي، فطالما يوجد مصريون، إسرائيليون، فلسطينيون وأردنيون مستعدون للقاء والحوار بصفة إنسانية، والحوار حول أي قضية في العالم - فإنه لا يوجد أي سبب لائق لتفكيك صناعة السلام.

قطرات من العرق البارد غطت جبين رياض المالكي، الاستاذ بجامعة بيرزيت. فقد ثقلت رأسه امامه، وهاجمته الآلام في صدره وفي ذراعه الأيسر، فتم استدعاء طبيب فورا للمكان من أجل إنقاذ الضلع الفلسطيني في مربع السلام لمؤتمر القاهرة. والثلاثة أضلاع الأخرى هم: ديف كمحي - وشيمون شامير من إسرائيل، مصريان، وأردنيان من كبار المسئولين المحترمين، تابعوا بفزع اعمال الطبيب، الذي قرر أن هناك خوفا من أزمة قلبية خفيفة، ونصح رياض بالانسحاب للراحة. ولكن الأستاذ الفلسطيني رفض الانصياع. فلا يتعدون هكذا في وسط الطريق عن معركة السلام. وظل في غرفته.

لقد كانت الأزمة القلبية الخفيفة للبروفيسور مالكي، بمثابة ذروة الدراما التي حدثت خلف الكواليس لمؤتمر القاهرة للسلام، في الوقت الذي استمر فيه في قاعات المفاوضات عشرات الممثلين الإسرائيليين، الفلسطينيين، المصريين، والأردنيين في التخبط بينهم وبين أنفسهم كيف يعلمون ويتفقون للسلام، كيف يتغلبون على العنف وماذا يفعلون في قضية المستوطنات.

والقصة، بكلمات مختصرة، بدأت كما نتذكر، قبل أكثر من عامين عندما بدأت مجموعة خاصة من الإسرائيليين ومن المصريين وبتمويل من حكومات الدنمارك، في التفكير في كيفية إنقاذ عجلة السلام من المستنقع. وتقابلوا مع وزير الخارجية المصري، عمرو موسى، والذي بارك اللقاء وكذلك أيد النشاط. فقد أدرك موسى، أو تنبأ، بأن نتيا هو ينوي تعطيل المسيرة السلمية، وشجع الإسرائيليين والمصريين على توسيع دائرة كوينهاجن لتحتوي أيضا بداخلها أردنيين وفلسطينيين.

وفي خبر واضح بأن موسى يؤيد هذه الخطوة وأنه يوجد لهم مظلة حماية جوية تم في القاهرة، وللمرة الأولى منذ سنوات، تنظيم لحركة سلام مصرية والتي صمدت أمام الهجوم الشديد للمعارضة لإسرائيل ولاتفاقية السلام.

وهكذا بدأت اللقاءات بين ممثلين إسرائيليين، فلسطينيين، مصريين وأردنيين، جنرالات سابقين، رجال فكر، مستشرقين، أكاديميين وآخرين، حيث تم التخطيط لأن يكون مؤتمر القاهرة أكبر تلك اللقاءات. وقد تم التنسيق بدقة متناهية مع وزير الخارجية المصري عمرو موسى فيما يتعلق بالجدول الزمني للمؤتمر، وقد كان مقررا أن يلقي موسى كلمة الافتتاح.

إلا أنه حدث أن تعقبت تنظيمات المعارضة المصرية، إسلاميون ناصريون وغيرهم - أخبار المؤتمر وكشفوا ترتيباته، وعرفوه على غير حق، كمحاولة لتمرير التطبيع بين إسرائيل ومصر من الباب الخلفي. فهاجت صحف المعارضة ودعت لمؤتمر "مضاد لمحاربة التطبيع والصهيونية"، في نفس اليوم وفي نفس الساعة.

لقد حضرت ذلك المؤتمر، للمعارضة واستمعت للخطب المتهبة. وقد كان هناك بين الحضور مثقفين مصريين، ممثل سينمائي مشهور، وصحفيين مرموقين. وقد إلتهب الجو العام، وكذلك أيضا الأصوات المحذرة من "السلام مع القتل الإسرائيلى".

بعد فوز باراك وعودة حزب العمل للسلطة طموحات الوسط العربي في المساواة داخل إسرائيل!..

علاء سالم

كانت نتائج انتخابات ١٧ مايو ١٩٩٩، بمثابة مفاجئة حقيقية وكبيرة، ليس على صعيد انتخابات رئاسة الوزراء والأغلبية الكبيرة التي نالها مرشح حزب العمل أيهودا باراك بفعل تكتل الأصوات العربية ورائه، ودعم الجمهور اليهودي لبرنامج الاقتصاد الاجتماعي - الاجتماعي فحسب، بل وأيضاً على صعيد التركيبة السياسية للكنيست الجديد، توازن القوي الحاكم له خلال الولاية الخامسة عشر. ولذا بات "الانقلاب السياسي" هو التوصيف الأكثر دقة لما نجم عن تلك الانتخابات من نتائج وتحولات، إذ شهدت عملياً ثلاثة انقلابات رئيسية: أولهما، كان ذا طابع عربي تمثل في تزايد الحضور السياسي للوسط العربي داخل الكنيست إلى مستوى يكاد يعادل كثافته السكانية، ولكنه هنا ليس قاصراً على قوائم هذا الوسط الحزبية فحسب، ولكنه شمل أيضاً الأحزاب الصهيونية اليسارية مثل العمل وميرتس. ثانيهما، كان ذا طابع أيديولوجي متمثلاً في زيادة حضور أحزاب الوسط المؤيدة للتسوية السياسية مع الجانب العربي، واختفاء مثيلاتها التي كانت تنادي بإعلاء صيغة الأمن والاحتفاظ بالأرض على التسوية مثل حركة الطريق الثالث بزعامة أفيجدور كهلاني. وثالثهما، الهزيمة غير المسبوقة التي مني بها حزب الليكود، وتراجع حضوره داخل الكنيست إلى أدنى معدل له منذ عقود، وتداعيات ذلك على سمة الحزبين القائدين محاور الاستقطاب القادمة في السياسة الإسرائيلية.

ويُعد "الانقلاب العربي" هو الأكثر بروزاً وسط تلك الانقلابات، لصلاته المباشرة بقضايا تمس جوهر المسلمات التي تقوم عليها الدولة الإسرائيلية، وفي مقدمتها الطابع الصهيوني المميز لبقائها وتطورها المادي. فعلى عكس انتخابات سابقة كان هذا الانقلاب وليد الوعي الحقوقي - الديموقراطي للوسط العربي داخل إسرائيل، وليس مرتبط بالوعي القومي العام الذي ساد في فترات سابقة، والذي كان بمثابة صحوة فلسطينية ذات بعد قومي - عربي زكته أحداث مثل يوم الأرض، والانتفاضة الفلسطينية.. ويمكن إرجاع ذلك في أحد محدداته إلى سياسة الاستبعاد المتعمدة التي قامت بها إسرائيل والسلطة الفلسطينية معاً في سلسلة تسوياتهم السياسية في أوسلو وما بعدها، واعتبارهم خارج

الجماعة الفلسطينية التي يبحث مصيرها في التسوية، مثلهم في ذلك مثل لاجئي عام ١٩٤٨، وبعد هذا الاستبعاد بات الوسط العربي يبحث عن تطوره وحقوقه السياسية والثقافية، بمعزل عن جماعته الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ومعه أيضاً باتت إسرائيل تواجه بتحدي تقرير شكل ومضمون هذا التطور. وبدأ أمام زعمائها خيارين أساسيين في سبل التعاطي مع هذا التحدي.. فإما الاستمرار في السياسة الراهنة القائمة على التطور اللامتكافئ بين جماعتين يهودية مهيمنة، وأخرى عربية محرومة من الخير العام للدولة، ومدي ما يمثله ذلك من تحديات ليس على الديموقراطية الإسرائيلية فحسب، بل وأيضاً على الأمن والسلام الاجتماعي. أو أن يتم استيعابهم كجزء عضوي في نسيج المجتمع المدني وفقاً لمفهوم "الجماعة الإسرائيلية"، لينالوا حقوق المواطنة الكاملة والاعتراف بهم كأقلية ثقافية داخل الدولة، وما يترتب عن ذلك من حقوق جماعية، وتضييق للفجوة الطائفية القائمة مع الجماعة اليهودية.

وعملياً حسم الوسط العربي توجهه السياسي لصالح الخيار الثاني مجبراً، وأصبح التساؤل هو.. كيفية فرض هذا الخيار على الوسط اليهودي، لا على مستوى الشعارات كما يحدث دوماً في كل انتخابات، وتجلي في الانتخابات الأخيرة حينما أغدقت كافة القوى السياسية الصهيونية علمانية كانت أو دينية من وعودها على هذا الوسط من أجل كسب أصواته الانتخابية بل على مستوى الممارسة الفعلية بعد هذه الانتخابات. ولذا كانت انتخابات ١٩٩٩ فرصة مواتية لجعل هذا الخيار أكثر إلحاحاً على أجندة الوسط اليهودي، ومن ثم لم يكن ترشيح عزمي بشاره لنفسه لمنصب رئاسة الوزارة، وانسحابه من حلبة التنافس بعد تلقي ضمانات من حزب العمل بالسعي الجاد لبدء تطبيق معطيات الخيار الثاني، إلا أبرز مظاهر تحدي الطابع الصهيوني للدولة الإسرائيلية، وإثبات أن ناخبي وتأييد الوسط العربي ليس ضماناً تلقائية بدون شروط لأحد القوى الصهيونية بما فيها حزب العمل. وهي العملية التي جري إعادة إنتاج مضامينها بعد استبعاد رئيس الوزراء المنتخب باراك للقوى السياسية المعبرة عن هذا الوسط في مفاوضات تشكيل حكومته الائتلافية، حينما تقدم

زعيم الجبهة التقدمية للسلام والمساواة "حداش" محمد بركة للترشيح لمنصب رئيس الكنيست، والدكتور أحمد الطيبي من "التجمع الوطني الديمقراطي" لعضوية لجنة الشئون الخارجية والأمن بالكنيست في سابقة هي الأولى من نوعها أيضاً.

غير أن ما تحقق فعلياً على أرض الواقع، كان بمثابة سابقة هي الأولى من نوعها أيضاً. فقد تم اختيار أحد النواب العرب من القائمة العربية الموحدة عضواً في أحد أهم لجان الكنيست وهي لجنة الشئون الخارجية والأمنية، وهي المعنية بمناقشة أبعاد وتوجهات السياسات الخارجية والأمنية والعسكرية للدولة، والتي كانت حكرًا على الأعضاء اليهود. وقد قررت القائمة أن تكون العضوية بالتناوب بين ثلاثة من أعضائها: هاشم محاميد (يساري)، وطلب الصانع (ليبرالي) وتوفيق الخطيب (إسلامي). كما أصبح النائب الإسلامي عبد المالك دهامشة من نفس القائمة رئيساً للجنة مكافحة المخدرات، وبذلك يصبح أول عربي يسند إليه رئاسة لجنة برلمانية بالكنيست وهي سابقة تم إعادة تكرارها مع انتخاب صالح طريف من حزب العمل رئيساً للجنة الإجراءات، وهي أيضاً من أهم اللجان لكونها تقرر النظام الأساسي للمناقشات، ورفع الحصانة عن الأعضاء، وذلك على غير رغبة باراك. وأخيراً تم تعيين أحمد الطيبي المستشار السابق لعرفات، ليكون أداة الاتصال والتنسيق بين الكنيست ومجلس حلف شمال الأطلسي.

جدلية المقاربة بين عمليتي الأسرلة والفلسطينية :

ألقي الحضور والتأثير السياسي الذي مارسه الوسط العربي في الانتخابات الأخيرة بتداعياته على عملية الجدل الذي لم ينقطع حول نمط وطبيعة التطور الذي يشهده هذا الوسط وفي علاقاته بالأغلبية اليهودية، وكيفية توصيف مجموعة التحولات القيمية والبنائية التي تم داخله، وهل في ظلها مازال يحافظ على هويته وخصوصيته الحضارية العربية - الفلسطينية ؟ .. أم أنه بفعل عمليات التحديث القسري تحول إلى إسرائيلي ؟ .. أم أنه يمر بعمليتين متوازيتين أسرلة، وفلسطينية في آن واحد ؟ .

ويشير مفهوم الأسرلة Israelization لمجموعة العمليات الثقافية والاجتماعية التي أخذت في بداياتها الطابع الاضطرابي، ولكنها سرعان ما شكلت تحت ظروف سياسية واجتماعية معينة جزءاً لا يتجزأ من الثقافة القائمة والتي يتعرض لها المواطن الفلسطيني بإسرائيل، وتدفعه إلى تبني قيم وتوجهات إسرائيلية في أساسها ومضامينها العامة بقصد تسهيل عمليات التعامل اليومي - الحياتي مع هذا الواقع القائم، مثل اللغة، تعريف ذاته أمام الآخرين، التعليم، الاندماج بالمؤسسات والقوى الاجتماعية والثقافية والسياسية المعبرة عن الواقع الإسرائيلي .. والأسرلة بهذا المفهوم لا تعني إطلاقاً تهويد الفلسطينيين بإسرائيل، أو تخليهم عن ثقافتهم، وإنما تعني أساساً تعديل هذه الثقافة وتغييرها على نحو يلبي الأهداف الإسرائيلية، ويجعل تأطيرها في الإطار الإسرائيلي

ممكناً. مما يقود في التحليل النهائي لتشويهها. وعند تلك المرحلة يبرز لدينا كما يصف عزمي بشارة العربي - الإسرائيلي كمراصد لمفهوم الفلسطيني - العربي. ويعكس هذا التحديد الجديد مأساة الهوية المشوهة، لكونه لا يحافظ على توازن النقائص، ولكنه يخضع الأول العربي للثاني الإسرائيلي.

أما مفهوم الفلستنة Plasterization فهو مناقض تماماً لمفهوم الأسرلة، لكونه يعنى ببساطة عملية النهوض بالوعي القومي الفلسطيني لدى الوسط العربي، وحفاظهم على هويتهم الثقافية والحضارية بمعزل ومنأى عن التأثيرات الصهيونية التي تفرض عليهم قسراً.

وتظهر صيرورة الواقع الفعلي الذي يعايشه الوسط العربي بإسرائيل بكل تجلياته، الإغلاء من مفهوم الأسرلة بمضامينها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مقابل مفهوم الفلستنة الذي تراجع نسبياً في عقد التسعينات، بعد أن شهد أفضل مراحل تأججه في عقدي السبعينات والثمانينات. وقد بدا ذلك بوضوح من خلال عمليات تراكم الثقل والحضور العربي داخل ساحة التفاعلات الإسرائيلية، والقائمة من جانبهم على محدد هام، وهو أهمية الاندماج داخل منظومة هذه التفاعلات، وإثبات أنهم باتوا جزءاً عضواً منها وليس خارجها. وقد بدا ذلك من خلال بعض الأحداث الرمزية، مثل انتخاب ملكة جمال إسرائيل للعام ١٩٩٩ من بين فتيات هذا الوسط، وقبلها تعيين القاضي عبد الرحمن الزغبى نائب رئيس محكمة الناصرة قاضياً في المحكمة الإسرائيلية العليا في مايو ١٩٩٨، ولكن العضلة التي تقف حجر عثرة أمام إمكانات هذا الاندماج والإسراع من عملية تحقيق المساواة التامة مع الوسط اليهودي، هو أن أولوياته عادة ما تتم وفقاً لمقتضيات الحاجة الصهيونية وليست العربية، بما يعنى بالسياق الأخير أن هذا الدمج هو نوع من تهميش الذات فعلاً، وليس الخروج منه.

علاقة الوسط العربي بالواقع الإسرائيلي كما يؤكد بشارة ليست علاقة أداتية فحسب، وإنما هي أيضاً عملية اجتماعية مستمرة تختلط فيها الأداة بحاملها فتؤثر فيه وفي ثقافته، كما يؤثر فيها هو. وتؤسس هذه الدينامية لعلاقة التأثير والتأثر، وتفصح عن نفسها في العديد من المحددات التي يمكن إجمالها في :

١- ارتفاع متدرج في مستوى معيشة الوسط العربي بإسرائيل، مقابل تدهور متدرج بالصفة والقطاع منذ منتصف الثمانينات، من دون أن يتزامن مع ذلك تكوين وتطور اقتصاد عربي مستقل أو شبه مستقل، وإنما من خلال عملية اندماج غير متوازنة أو متساوية في الاقتصاد الإسرائيلي.

٢- ازدياد في الوعي الفردي والمؤسسي للحقوق الكامنة بالمواطنة الإسرائيلية، وازدياد التطلع إلى ممارسة هذه الحقوق مع ارتفاع مستوى التعليم والتنظيم وتمييز الوظائف الاجتماعية.

٣- تبلور علاقة فلسطينية - فلسطينية يتميز فيها الطرف الذي حظي بمواطنة إسرائيلية بعدد لا بأس به من الحقوق

والامتيازات من ناحية، وتبلور سياسة فلسطينية تعبر عن اندفاع المواطن الفلسطيني نحو الأسرلة سياسياً باعتبارها أداة ضرورية في خدمة عملية السلام من ناحية أخرى.

٤- التأثير المتزايد لوسائل الإعلام الإسرائيلية في إعادة إنتاج الفضاء الإسرائيلي بكل بيت عربي، وأهمية هذا التأثير تتجه نحو الارتفاع ومع أن هناك وسائل مماثلة عربية - إسرائيلية، فإن التعاطي مع وسائل الإعلام الإسرائيلية ومصطلحات خطابها السياسي والثقافي والترفيهي في تزايد مستمر، وتتجه في الوقت ذاته نحو الهيمنة الثقافية.

٥- طور الأوضاع على مستوى المنطقة منذ بدء عملية التسوية السياسية بمديرد، أتاحت للعربي / الإسرائيلي زيارة الدول العربية بجواز سفر إسرائيلي وتزامن معه رغبة عربية في احتضان قيادة هذا الوسط بقصد التأثير الإيجابي في الساحة الإسرائيلية الداخلية.

وقد بدت عملية الأسرلة بأبرز صورها في المجال السياسي من خلال سعي الوسط العربي للتكتل الحزبي - المؤسسي من أجل زيادة الفاعلية والتأثير في المعادلة السياسية. وإن كان هذا التوجه مفهوماً ومبرراً لدى الأحزاب العلمانية، فإن الجديد فيه هو دخول الحركة الإسلامية فيه وفقاً لدينامياته الخاصة، متخلفة بذلك عن جزء من شعاراتها "الإسلام هو الحل" من أجل منع التصادم معه. ومن قبلها بدت عملية الأسرلة في سمة التطور التاريخي لنشوء الطابع الحزبي المؤسسي للوسط العربي بإسرائيل. فتاريخياً كان حزب ما بام (يشكل حالياً مع حزب راتس قائمة ميرتس، بعد انفصال الضلع الثالث قبل الانتخابات الأخيرة حركة شينوي) الحزب الصهيوني الوحيد الذي سمح بعضوية العرب بصفوفه. ومن ناحية توجهه تجاه مسألتى المساواة والدمج بين الوسطين العربي واليهودي، تشابه إلى حد كبير مع الحزب الشيوعي الإسرائيلي "راكاح" وهو الآن العمود الفقري للقائمة التقدمية للمساواة "حداش". أما حزب العمل فقد سمح بالعضوية فيه فقط لأولئك الذين أنوا خدمة بالجيش الإسرائيلي منذ عام ١٩٧٠، ولسائر أبناء الوسط العربي بعد عام ١٩٧٣، أما في الليكود فقد سمح للعضوية فيه بعد وصوله للسلطة في ١٩٧٧، وفي الكنيست العاشر ١٩٨١ - ١٩٨٤ انضم أمل نصر الدين لعضوية الكنيست عن الحزب، كأول عربي. وكانت القوائم العربية تعبيراً آنذاك عن وضع اجتماعي تسيطر عليه قوى تقليدية، حولتها السلطة اليهودية إلى أدوات للوصايا. Patronage Politics والانضمام للأحزاب الصهيونية بالبداية لم يتم بدافع الخوف أو الوصاية، وإنما بهدف التأثير وبلورة مصالح الوسط في قضايا المساواة والدمج. وهذا تحديداً هو الفارق الرئيسي بين عملية الأسرلة الجارية داخل هذه الوسط وبين مجرد فكرة العمالة - Client للنظام.

ومنذ أن نشأ نظام الحزبين بإسرائيل بعد انتخابات مارس ١٩٧٧، بدت إمكانات المناورة أكبر ولم يعد التصويت للأحزاب العربية الصغيرة تصويتاً احتجاجياً فحسب، بل أصبح له أيضاً وجهاً إسرائيلياً، وهو منع اليمين من تشكيل حكومة

إسرائيلية وأصبح الصوت العربي بهذا المعنى صوتاً اندماجياً بالمنظومة السياسية الإسرائيلية، حتى لو كان لمصلحة الأحزاب العربية. يضاف إلى ذلك أن الطابع الحزبي الشديد للنظام السياسي الإسرائيلي، بلور مصلحة أيضاً لنشوء وتطور قوائم عربية بعيدة عن وصاية الأحزاب الصهيونية القائمة. إذ جرى استكمال عملية الأسرلة في مضامين الخطاب السياسي والاجتماعي التي رفعتها هذه القوى المؤسسية الجديدة، والتي جسدت في الوقت نفسه أزمته الأيديولوجية. فطرح هذه الأحزاب العربية - الإسرائيلية موضوعي التسوية مع الدول العربية، والمساواة مع الوسط اليهودي لم يختلف جذرياً عن طرح اليسار الإسرائيلي، وحزب العمل حالياً. على اعتبار أن القضية الفلسطينية قضية خارجية يتعامل معها الوسط العربي من منطلق كونهم "قوة ديمقراطية داخل إسرائيل"، مع حصر هذه الأحزاب التعامل مع قضية المساواة والدمج فيما يسمح به الخطاب السياسي الصهيوني، وضمن مسلماته الأساسية دون خروج عنها. وقد بدا ذلك حينما بدت معالم الطريق إلى منصب أول وزير عربي في حكومة إسرائيلية، لا تتم عبر قوى هذا الوسط، وإنما عبر الأحزاب الصهيونية أساساً سواء في انتخابات ١٩٩٦ والتي أخفقت بعد فشل بيريز في الحصول على منصب رئيس الوزارة، أو شائعات ما بعد الانتخابات الأخيرة. والتي أخفقت أيضاً نتيجة الاستبعاد المعتمد لباراك لقوى هذا الوسط في مشاورات تشكيل حكومته الجديدة.

غير أن تحدي بشارة لهذا المظلة الصهيونية ونجاحه قبل انتخابات ١٩٩٩ في الحصول على مكاسب من حزب العمل، هو ما مكن بركة والطيبى بعد الانتخابات في مد هذا التحدي على استقامته، للخروج من العباءة الصهيونية كأساس لتحقيق المساواة والدمج الثقافي والسياسي في السياسة الإسرائيلية بكافة أطيافها، وإخضاعها لطموحات هذا الوسط والمعادلة التي سوف تحكم تلك الطموحات مستقبلاً هي "أنه إذا كانت عملية الأسرلة قد أملتتها الظروف الاجتماعية والسياسية التي مر بها هذا الوسط خلال تطور بعد العام ١٩٤٨، وصارت واقعاً يصعب تغييره، ثم أتت تسوية أوسلو لتكرس هذا الواقع، فإن تغيير الأطر الحاكمة لتلك العملية وفرض أطر جديدة نابعة من المصالح والأهداف العربية، هو المحدد الحاكم لتفاعلات قوى هذا الوسط مع القوى الصهيونية". وفقاً لمضامين هذه المعادلة، فإنه لا انفصام موضوعي بين مساعي الحصول على المساواة والاندماج في الدولة الإسرائيلية على كافة المستويات، وعمليات الحفاظ على الخصوصية الحضارية والثقافية للوسط العربي داخل إسرائيل.

تعريب الصوت العربي

مكثت انتخابات عام ١٩٩٩ منعطفاً هاماً في مسار تطور الوسط العربي، على الرغم من المساوى التي صاحبته وفي مقدمتها الإخفاق في تكوين قائمة عربية واحدة، على الرغم من موافقة ٨٨% من جماهير هذا الوسط على تكوين قائمة واحدة لدخول الكنيست في استطلاع الري العام قبل

عدد المقاعد		عدد الأصوات		القائمة العربية التي دخلت الانتخابات
%	الإجمالي	%	الإجمالي	
١٢.٥	١٥	١٢.٠	٤٦٥,٠٠٠	الإجمالي العام لعدد المقترعين العرب
١.٠	١٢	٧٤.٢	٢٤٥,٠٣٠	عدد المقترعين العرب في الانتخابات
٨.٣٣	١٠	٧٤.٥	٢٥٧,١٣٣	معدل التصويت لقوائم الوسط العربي
٤.١٢	٥	٣١,٧٢٣,	١.٩,١٩٩	القائمة العربية الموحدة *
				القائمة التقدمية للسلام والمساواة "
٢.٥	٢	٦٢.٧	٨١,٥٥٠	حداش **
١.٦	٢	١٨.١	٦٢,٥٣٠	التجمع الوطني الديمقراطي " بلد "
-	-	٠.٦	١,٩٧٧	منظمة العمل الديمقراطي
-	-	٠.٥٦	١,٨٧٧	الصوت العربي الجديد
				معدل التصويت لقوائم الوسط اليهودي
		٧.٧	٢٦,٥٦٧	قائمة إسرائيل واحدة
		٥.٢	١٧,٩٤١	ميرتس
		٤.٠	١٣,٨٠١	شاس
		٢.٥	٨,٦٢٥	شعب واحد
		١.٥	٥,١٧٥	المركز
		١.٤	٤,٨٣٠	المفدال
		١.٢	٤,١٤٠	الليكود
		١.١	٣,٧٩٥	يهودا - هاتورا
		٠.٩	٣,٣١٥	إسرائيل - بعاليا

جدول رقم ١
أداء الوسط العربي في
انتخابات الكنيست
الخامس عشر

النحو التالي: عبد الملك دهامشة، طلب الصانع، هاشم محاميد، توفيق خطيب، ومحمد كتعان.

** ذات ميول شيوعية، وأتى ترتيب القائمة على النحو التالي: محمد بركة، عصام مخول.

** عبارة عن تحالف التجمع الوطني الديمقراطي بزعامة عزمي بشارة، والحركة العربية للتغيير بزعامة أحمد الطيبي. ذا ميول يسارية - علمانية. ويمثلها في الكنيست بشارة والطبي.

وقد عكس "الانقلاب العربي" نفسه في العديد من المؤشرات الأخرى التي صاحبت انتخابات العام ١٩٩٩، والتي يمكن بلورتها في مستويين رئيسيين:

* أولاً: متعلق بعمليات الاقتراع في هذه الانتخابات، والتي هيمن عليها ما بات يوصف بـ "تعريب الصوت العربي" ولكونه جزءاً من عملية شاقة لفلسطنة هذا الوسط والحفاظ على خصوصيته الثقافية، وتهميش عملية الأسرلة التي تحكممت في سلوكه الاجتماعي والسياسي طوال الفترة الماضية. وبدأت عملية التعريب في الاتجاهات التالية:

١- لم يعاني جمهور الوسط العربي في انتخابات ١٩٩٩ من مأزق الاختيار السياسي الذي عاناه في الانتخابات السابقة، وإنما كان هناك شبه إجماع على التصويت لمرشح حزب العمل باراك، وإسقاط ننتياهو، الذي تدهورت في عهده طموحات الوسط العربي في المساواة، وتراجعت المخصصات المالية للبلديات العربية من جراء تخفيض الموازنات الاجتماعية التي وجهت إلى الاستيطان إلى مستوى غير

الانتخابات الأخيرة، والطابع الشخصي الذي غلب على حملات قوي وقوائم هذا الوسط. ولعلنا نتذكر هنا الجدل والانتقادات الشديدة التي تعرض لها عزمي بشارة داخل هذا الوسط، بعد قرار ترشيح نفسه لمنصب رئيس الحكومة. وقد دخلت خمس قوائم عربية انتخابات الكنيست الخامس عشر، استطاعت ثلاثة منها فقط تجاوز معدل التمثيل السياسي وهو ١.٥% من مجموع الأصوات، في حين أخفق حزب الصوت العربي بزعامة مكرم خوري، ومنظمة العمل الديمقراطي بزعامة خطيب سامية في تجاوز هذا المعدل، مما أهدر أصوات ناخبهم (أنظر الجدول رقم ١) والقوائم الثلاث التي نجحت تتماثل بشكل تام مع أطراف اللون الأيديولوجي السائد لدى الوسط العربي العشائري - التقليدي، واليساري - العلماني، والإسلامي - المحافظ. وحظيت هذه القوائم الثلاث بعشرة مقاعد في الكنيست (تسعة للعرب، وواحد يهودي وهو تمار جوجنسكي الذي شغل المرتبة الثالثة في قائمة حداش). ولا يقتصر التواجد العربي على هؤلاء التسعة وإنما انضم إليهم اثنين من حركة ميرتس اليسارية وهما توليد صادق، حسنية جبارة أول امرأة عربية تدخل الكنيست، بالإضافة إلى نواف مصالحة، وصالح طريف من حزب العمل.

* عبارة عن خمسة أحزاب هي: الحركة الإسلامية، والحزب الديمقراطي العربي، وجبهة الوحدة الوطنية، ولجنة القوى الوطنية، والحركة القومية - التحالف الوطني. ذات ميول متعددة إسلامية ويسارية وقبلية. وأتى ترتيب القائمة على

مسبق، وفقاً لتأكيدات عمانوئيل سيفان فإنه في العام ١٩٩٧ كانت ٤١ من البلديات الـ ٥٠ التي نالت أدنى مخصصات مالية هي بلديات عربية ولذا فقد دعي كافة قادة الوسط العربي جمهورهم الانتخابي لترشيح باراك، على عكس الانتخابات السابقة التي قرر فيها قيادي التجمع الوطني، وحداش الامتناع عن ترشيح أي من بيريز ومنتياهو، والاقتراع السلبي "البطاقة البيضاء". وهو ما انعكس على معدل التأييد الذي ناله من هذا الوسط والذي بلغ ٩٥,٣ % مقابل ٤ % لصالح نتانياهو. وهي نسبة أقل من تلك التي نالها في الانتخابات الماضية والتي قدرت بـ ٥,٢ % ومعظم هذا التأييد أتى من التجمع النورزي حيث يتمتع الليكود بنفوذ تقليدي فيه (أنظر جدول رقم ٢). غير أن خيبة الأمل داخل هذا الوسط كانت في عدم بلوغ الاقتراع العربي في هذا الانتخابات معدل الـ ٨٠ % الذي كان مستهدفاً من قبل.

٢- حصدت القوائم العربية ما يعادل ٧٤,٥ % من الأصوات العربية في هذه الانتخابات، في حين لم تحصل الأحزاب الصهيونية سوى على ٢٥ % من تلك الأصوات ويدعم ذلك الاتجاه الصاعد في مؤشرات الاقتراع العربي منذ سنوات، وتحديدًا إذا ما قارنا هذه النسبة بمثيلاتها في انتخابات سابقة والتي كانت كالتالي ٧٠ % عام ١٩٩٦، ٤٨ % عام ١٩٩٢، ٥٨ % عام ١٩٨٤، و ٥١ % عام ١٩٨١ و ٣٠ % عام ١٩٧٧.

وإذا ما تم استثناء حزبي العمل وميرتس، فإن تصويت الوسط العربي للأحزاب الصهيونية بشقيها الديني والعلماني يمكن إرجاعها بشكل جوهري إلى محدد التعريف الضيق للمصلحة لبعض قوى هذا الوسط، التي تعتبر تأييدها لتلك القوى الصهيونية بالأخص الدينية مثل شاس ورقة هامة للحصول على موارد مالية أو مناصب إدارية بعد الانتخابات نظراً لسيطرة تلك القوى على وزارات الشأن الداخلي الهامة مثل الداخلية والتعليم.

٣- تدعيم الاتجاه المتسارع نحو تعريب الحزب الشيوعي الإسرائيلي، على خلفية أزمة الهوية التي يعاني منها منذ بداية

جدول رقم ٢

معدلات تصويت قطاعات الوسط العربي لصالح مرشحي رئاسة الحكومة

قطاعات الوسط العربي	باراك	نتانياهو
معدلات الاقتراع الإجمالي العام	٩٥,٣	٤
المدن الكبيرة	٩٦,١	٣,٣٣
القرى الكبيرة	٩٤,٨	٥,٠
القرى الصغيرة	٩١,٣	٨,٦
وسط البدو	٧٩,٣	٢٠,٦
الدروز	٥٠,٧	٤٩,١

عقد التسعينات. وزيادة مساحة الحضور العربي في قائمة حداث التي يقودها الحزب بدءاً من توفيق زيادة في انتخابات ١٩٩٢، وهاشم محاميد في انتخابات ١٩٩٦، ومحمد بركة في انتخابات ١٩٩٩.

*ثانياً: الاتفاق العام على مستوى المطالب السياسية الداعية للمساواة والحد من الفجوة الطائفية مع الوسط اليهودي. إذ تكاد تتماثل المطالب السياسية - الاجتماعية التي ترفعها تلك القوائم على مختلف أطيافها الأيديولوجية وهي تتركز على:

١- جعل إسرائيل دولة ديموقراطية، وهي دولة مواطنيها العرب واليهود معاً، وبالتالي إلغاء القوانين والنظم والممارسات التي تركز صهيونية إسرائيل (قانون العودة، قوانين الأرض، الاتفاقيات القائمة بين إسرائيل والوكالة اليهودية). وهي تلك القوانين التي تميز بشكل عنصري في توزيع الخير العام للدولة بوصفها دولة الرفاه لليهود.

٢- الاعتراف بالفلسطينيين في إسرائيل كأقلية قومية تتمتع بجميع حقوق الأقليات العرقية والثقافية والسياسية.

٣- الاعتراف بحق الأقلية الفلسطينية في الحكم الذاتي الثقافي في القضايا التي تخصها وعلى رأسها التربية والتعليم.

ولذا فإن مساومات قادة الوسط العربي مع باراك قبل الانتخابات الأخيرة وما بعدها تمحورت حول مساعدتهم لتضييق الفجوة الطائفية بين العرب واليهود لمقدمة حصولهم على كافة حقوقهم كأقلية ثقافية، وكانساس لتقديم الدعم السياسي له في الكنيست. وقد أفلح هؤلاء وفي مقدمتهم بشارة في انتزاع العديد من المطالب من باراك قبل الانتخابات، ويأتي في مقدمتها:

*إعادة أراضي الروحة قرب قرية أم الفحم إلى أصحابها الفلسطينيين، وتالياً معظم القرى العربية غير المعترف بها.

*إعداد خطة شاملة لتشغيل أبناء الوسط العربي في مؤسسات الدولة.

*الحد من عمليات التمييز التي يتعرض لها أبناء هذا الوسط في النواحي الاجتماعية والثقافية والسياسية.

*إعداد خطة لبناء مساكن لنوي الدخل المحدود.

*زيادة المخصصات المالية المقدمة للقرى والبلديات العربية للتطوير والتنمية.

وتدعمت عمليات الشعور بالهوية والذات الوطنية من الحسم الذي افتقده فلسطيني الوسط العربي طوال السنوات الماضية التي لخصها بشارة في مقولته "بعد أن حل الإعجاب القائم على الهزيمة في السبعينات محل تخوين الأقلية العربية في إسرائيل، أو تجاهلها في أفضل حالات الخطاب السياسي العربي، عاد الارتباك من جديد ليحكم تقويم أوضاع ودور هؤلاء العرب في إسرائيل، الذين غدوا يطلون على الدول العربية المجاورة من على الهامش الديموقراطي للتفزة الإسرائيلية إنهم يقاطعون رؤساء

الحكومات والوزراء في جلسات الكنيست، فهل هذا دليل على وطنية فلسطينية أم دليل على توطد الجانب الإسرائيلي الواثق في النفوس المبتورة، أم هو تقليد عربي للإسرائيلي الواثق بنفسه في دولته؟".

الوسط العربي.. تفسيرات مختلفة لنمط التطور

يكاد يماثل وضع الوسط العربي بإسرائيل، مثيله الديني - غير الصهيوني، إذ تتمتع الأقلية العربية بحق المحافظة على خصوصيتها الحضارية وهويتها المتميزة، وهي تملك ضمانات المؤسسات بالمحافظة على وجودها. والمساحة الديموجرافية التي يشغلها الوسط العربي مقارنة مع مثيله اليهودي في تزايد مستمر بفعل معدلات الزيادة الطبيعية لديهم، إذ كانت تلك المساحة في عام ١٩٦٠ تقدر بـ ١١,١% من عدد سكان إسرائيل، ارتفعت في عام ١٩٩٤ لتصل إلى ١٨,٨% أي ما يعادل ١,٠٢٩ مليون نسمة ثم إلى ١,٢ مليون نسمة حالياً، يشكلون ١٩% من السكان (يشكل المسلمون ٧٩%, والمسيحيون ١٢% والدروز والبدو ٩%) وعملياً يمكن بلورة إشكالية العلاقة بين الوسط العربي والنظام السياسي في محددتين أساسيتين:

١- يعتبر الوسط العربي منشق، ورافض لأيديولوجية النظام الأساسية. إذ أنه خارج الإجماع الوطني في مجالين: الصهيونية، وتسوية الصراع العربي - الإسرائيلي. فهو يعارض الطابع الصهيوني للدولة بمختلف أوجهه، وهو يتحفظ من أو يرفض فكرة أن تكون إسرائيل هي أداة الحركة الصهيونية وأهدافها، وأنها استمرار السيادة اليهودية بعد خراب الهيكل الثاني، التي فيها يتحقق حق تقرير المصير للشعب اليهودي فقط، وأنها وطن اليهود دون سواهم. وهو يعارض الفرضية القائلة بأن إسرائيل مفترض بها أن تحقق رفاهية اليهود، وأن مؤسساتها وشعاراتها وأبطالها وأعيادها الرسمية يهودية. ويرفض حقيقة أن اللغة اليهودية - العبرية هي اللغة السائدة والمهيمنة عملياً على الساحة، وأن اللغة العربية ليست موضع الاستعمال اليومي، على الرغم من مكانتها الرسمية كلفة ثانية ويرفض أيضاً قانون العودة والجهود الكبيرة التي تبذلها الدولة لتشجيع الهجرة والاستيطان في كافة المناطق، وتركيز التطوير بالوسط اليهودي.

كما يجد الوسط العربي نفسه خارج هذا الإجماع في قضية الصراع العربي - الإسرائيلي، فهو يؤيد فكرة العودة الكاملة إلى حدود ما قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ لتسوية هذا الصراع على المستوى العربي. أما فلسطينياً فهو يؤيد إنشاء دولة فلسطينية في الضفة والقطاع عاصمتها القدس الشرقية، والاعتراف بالحق للاجئين الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨ بالعودة إلى ديارهم داخل الخط الأخضر.

٢- يعتبر الوسط العربي معادي وغير مخلص للدولة، ولا يدين بالولاء الكامل لها ولذا فإن نظرة النظام إلى هذا الوسط تقوم على أساس الافتراض بأنهم غير مخلصين، ولذا فإن أبنائه لا يجنسون بالجيش (عدا الدروز للفروض عليهم هذا الواجب الإجباري، والبدو المسموح لهم التطوع بالجيش). وهو

يخضع لرقابة خفية ومتواصلة، يحرم عليه الاشتغال في بعض الوظائف وتحديد في الصناعات المرتبطة بالمؤسسة العسكرية، أو الوظائف الأمنية.

على الرغم من استمرار المضامين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لهذه الإشكالية، فإن الوسط العربي ووضعه ليس ثابتاً، لكونه جزءاً من عملية التطوير المستمرة التي بدأت منذ عام ١٩٦٧ وبدت معالمه في ازدياد معدلات الاستثمار، وارتفاع المستوى الثقافي، ومعدلات الاستهلاك. ولكن يجب الانتباه لكون هذا التطور المستمر، يتم أيضاً في إطار استمرار سياسة التمييز مقارنة بالوسط اليهودي وبالعكس ما هو سائد لدى بعض منظري وباحثي الوسط العربي أمثال البروفيسور أسعد غانم، من ربط هذا التطور بوجود حزب العمل في السلطة والمقارنات العديدة التي تحدث لإظهار هذا الربط، مثل الميزانيات المخصصة للسلطات المحلية محسوبة بالنسبة إلى الفرد والتي وصلت خلال وجود حكومة حزب العمل السابقة إلى الثلث، بعدما كانت بالسبعينيات لا تتجاوز عشر المخصصات للفرد اليهودي، وهكذا فإن التغيير في وضعية هذا الوسط هو عملية مستمرة بالتدريج منذ أن نشأ بإسرائيل نظام الحزبين السياسيين (منذ انقلاب انتخابات مارس ١٩٧٧)، وهو النظام الذي جعل من الوسط العربي أهمية في المنظومة السياسية، كما يذهب إلى ذلك بشارة، وبنيامين نوبيرج. ولكن هذا التغيير والدينامية في أوضاع الوسط العربي لم تطل ثلاثة محددات أساسية:

* أولهما، استمرار سياسة التمييز في توزيع الخير العام والثروة الاجتماعية بين الوسطين العربي والإسرائيلي. استناداً إلى أن دولة إسرائيل هي دولة الأكثرية اليهودية في طابعها العام وجوهرها وسلم أولوياتها القومية، كما بين ذلك القانون الصادر عام ١٩٨٥ مما قاد إلى وجود فجوات في مجالات التعليم والعمالة وتركيبية اليد العاملة، والتمييز في شغل الوظائف القيادية.. فعلى سبيل المثال يورد عمانوئيل سيفان أنه من مجموع ٦٤٠ من كبار موظفي الدولة أو مدراء القطاع العام لا يزيد عدد العرب عن ٣ فقط، كما لا يتجاوز عددهم ١٥ شخصاً بين الأعضاء الـ ١٠٦٠ المعيّنين في مجالسي إدارات شركات القطاع العام، وأن الحال لا يختلف كثيراً في القطاع الخاص.

* ثانياً، أن الوسط العربي ما يزال لا يتمتع بحقوق جماعية، وبحقوق الأقلية الجماعية، باستثناء الجانب الديني حق التعبير عن نفسه كطائفة وملة.

وثمة العديد من الاجتهادات النظرية التي حاولت عقلنة وتفسير ظاهرة التمييز والتطور اللامتكافئ بين الوسطين العربي واليهودي في دولة تعرف نفسها بأنها دولة ديمقراطية. وتحمل هذه الاجتهادات في طياتها مدارس للفكر السياسي - الاجتماعي السائدة بإسرائيل، وهي:

* أولاً، تفسير منظري المؤسسة الإسرائيلية - التقليدية والتي تعاملت مع ظاهرتي التمييز والتطور اللامتكافئ من منطلق نظرية التحديث، التي تقول بوجود فجوة بين مجتمع

المستوطنين اليهود صاحب الحداثة الأوروبية، ومجتمع السكان المحليين الفلسطينيين، الذي يمر بعملية تحديث وافدة عليه، وتكاد تكون الجامعة العبرية بالقدس وأساتذتها من أشد أنصار هذه المؤسسة التقليدية والمحافظة في نفس الوقت. وقد تعرضت القوة التفسيرية لدراسة التحديث للعديد من الانتقادات من داخل وخارج الوسط اليهودي ومجملها أن عملية الحداثة الإسرائيلية كانت بالنسبة إلى الفلسطينيين كشعب إجهاضاً تاريخياً لعملية تحديثهم، التي بدأت بدون شك قبل عام ١٩٤٨، ثم سد طريق التحديث أمام الوسط الفلسطيني - العربي بعد هذا التاريخ وطوال عقدين كاملين، وذلك بفقدان هذا الوسط نخبه الاقتصادية والسياسية والثقافية والأهم فقدان المدينة الفلسطينية، وبقائه مجتمعاً قروياً يتعاش عن طريق العمل مع المدينة اليهودية التي لا تستوعبه. ثم فقد القرية بفقدانه الزراعة، فبقى لا هو مدني ولا هو قروي. مع فقدان الهوية المكانية باتت الحداثة اليهودية هي الحداثة الوحيدة التي يعرفها، وفرضت عليه قسراً والتي انضم إليها مقلداً ومهمشاً ومطالباً بحقوق المساواة في أفضل الحالات. وفضلاً عما قاد إليه هذا التحديث القسري من آثار مشوهة على المواطن الفلسطيني داخل الوسط العربي.

*ثانياً، تفسير منظري المدرسة الليبرالية - الاجتماعية. التي تسعى إلى تجاوز العضلات القيمية التي تطرحها ظاهرة التمييز المتواصلة بحق الوسط العربي على البعد الديمقراطي للدولة الإسرائيلية وخطورة مقولاتها، التي تكاد تنحصر في جامعة حيفا، وبعض إمتداداتها بالجامعة العبرية، في كونها تسعى إلى عقلنة هذا الواقع بقصد تكريسه، وليس العمل على نقده وتغييره، وهي:

*إسرائيل ليست دولة متعددة القومية، ومن ثم فإن ديمقراطيتها ليست من النوع التوافقي Consociational Democracy المحايد بين مجموعات قومية، لكل منها إرادتها المتبلورة جماعياً وحققها في المعارضة والنقض. فهي ليست من الناحية الحقوقية دولة متعددة القوميات واللغات بحكم التعريف كما هو الحال في سويسرا وكندا.. كما أن الأقلية القومية فيها (الوسط العربي) غير معترف له بهذه السمة الجماعية، التي تضع مواطنيه على قدم المساواة مع المجموعات القومية الأخرى، إذ لا يرد مصطلح الأقلية القومية في كافة الإصدارات الرسمية، وفي مقدمتها كتاب الإحصاء السنوي، الذي يشير إليها بوصف "غير اليهود".

*إسرائيل ليست ديمقراطية ليبرالية - اندماجية، تتعامل مع قاطنيتها بالمساواة من مجرد تعريفه كمواطن، ولا تنطلق من تعريف مدني للأمة كما هو الحال في فرنسا والولايات المتحدة. فإسرائيل ليست دولة لجميع مواطنيها، وإنما دولة اليهود. كما أن العرب الذين يعيشون فيها لا يشكلون مع اليهود أمة إسرائيلية ديمقراطية واحدة فشعب إسرائيل يعني الأمة اليهودية فقط.

*إسرائيل ليست ديمقراطية أسيداء Herrnevolk De-mocracy حيث تقتصر ديمقراطية على فئة سكانية

بعينها. فالوسط العربي ليس مستثنى من الديمقراطية الإسرائيلية، مع أنها ديمقراطية اليهود. وإزاء هذا الواقع المعقد والمتعدد، بلور منظري هذه المدرسة، وفي مقدمتهم البروفيسور سامي سموحا أستاذ علم الاجتماع بجامعة حيفا نموذجاً حاول من خلاله محاكاة وعقلنة الواقع، وهو النموذج القائم على ما يسمى الديمقراطية العرقية. Ethnic Democracy فالدولة هنا عبارة عن أداة في يد الأغلبية القومية التي تسيطر عليها، ومن ثم لا مجال للحديث عن أمة مدنية والوسط العربي داخل هذه الدولة إن كان يعامل أفرادها وينعموا ببعض حقوق المواطنين كأفراد، فإن أقصى ما يطمحون إليه هو الحصول على حقوق جماعية كأقلية قومية. من هنا تكمن الخطورة التكريسية لهذه التفسيرات وقبل سموحا، حاول كلود كلاين عميد كلية الحقوق بالجامعة العبرية سابقاً طرح فكرة الحكم الذاتي للوسط العربي، لا كخطوة نحو المساواة، وإنما من أجل تجنب معركة المساواة مع الوسط اليهودي بإسرائيل، وهي معركة لا بد من أن يعاد فيها طرح قضية الطابع الصهيوني للدولة الإسرائيلية والمميز لتطورها.

*ثالثاً، تفسير المدرسة القومية. التي تستحضر في تعاملها مع الوسط العربي المحددات المحيطة بالصراع العربي - الإسرائيلي إما بالإيجاب أو السلب. فهو يستحضر إيجابياً لدى أولئك الذين مازالوا يعتقدون باستمرار الصراع القومي وبعدم ولاء الوسط العربي للدولة، من أبرز منظري هذا التيار أفنير ريجيف، والبروفيسور أرنون سوفير أستاذ الجغرافيا السياسية بجامعة حيفا. ومن الناحية الأخرى، فهو يستحضر سلباً عند التيار الداعي إلى التسوية السياسية واندماج إسرائيل داخل منطقة الشرق الأوسط، وأن الوسط العربي أثبت ولائه لدولة إسرائيل بصفة عامة وهذا التيار بمثابة امتداد موضوعي للمدرسة الليبرالية - الاجتماعية، والتي ينتمي معظمها إلى المعسكر المؤيد للعملية السلمية، ومقولات كلا التيارين ما هي إلا إعادة إنتاج بصورة أخرى لمثيلتها السائدة لدى المدرستين السابقتين المحافظة والليبرالية.

وإذا تجاوزنا في النهاية هذه التفسيرات النظرية التي حاولت تأصيل طبيعة التطور السياسي والاجتماعي والثقافي لدى الوسط العربي بإسرائيل ومداه المتوقع، إلى الرؤية الواقعية وخبرتها التاريخية فسوف نجد أن كافة الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة عمالية وليكودية، قد كرست تمييزها ضد أفراد هذا الوسط، وسيطرتها ورقابتها عليهم عن طريق تسخير جهاز الدولة لخدمة الأكثرية اليهودية. دون أن ينفي ذلك الطابع النسبي المتزايد لهذا التمييز الذي يبلغ مداه في حالة الحكومات الليكودية، بينما يتداعى بشكل كبير في حالة الحكومات العمالية. وتكاد تكون سياسة استثمار الدولة كأداة لخدمة اليهود هي المسئولة عن كافة الفجوات القائمة والفاصلة بين الوسطين اليهودي والعربي ولا شك أن تقويض أركان هذا الاستثمار سوف يكون أحد أهم أهداف هذا الوسط في القرن القادم.

التعانق بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الدينية في الانتخابات الأخيرة: الجذور والمستقبل

عبد العزيز شادي

أولا الجذور :

بلغ عدد اليهود الشرقيين الذين شاركوا في الاقتراع الأخير عام ١٩٩٩ ١,٤٥٠,٠٠٠ بنسبة ٣٣,٩٪ من الذين أدلوا بأصواتهم ، وهم بذلك قد أعطوا أصواتهم لحوالي ٤١ مقعدا في الكنيست (١) ، وشكلوا أكبر كتلة عرقية في الانتخابات مقارنة بالكتل العرقية الأخرى كالاشكناز (٢٧,٧٪) ، والجبل الثاني (١١,١٪) ، والعرب (١٢,٢٪) (٢) .

يعطى هذا التوزيع العرقي للأصوات وللمقاعد الانطباع بأن الشرقيين قد أصبحوا الاغلبية في دولة اشكنازية الأصل والنشأة ، فالاشكناز هم الذين استوطنوا في فلسطين وخلقوا أجهزة الدولة وأعلنوا قيامها وخاضوا في سبيلها الحروب ، وشردوا الشعب الفلسطيني من أجل انشاء دولتهم ، فالدولة الاستيطانية الاسرائيلية اشكنازية ثم شهدت هجرات من يهود الشرق الأوسط والذين لقبوا بالسفارديم (الشرقيين) ، واحتلوا دائما المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي / الاقتصادي / السياسي ، لدرجة أن البعض تحدث عن اسرائيل الثانية ، ولقد انفجرت ثورات الاحتجاج لدى هؤلاء المضطهدين في بداية السبعينات في حركة اطلق عليها "اليهود السود" ، ثم ترحموا هذا الاحتجاج سياسيا في عام ١٩٧٧ عندما وصلوا بالليكود الى السلطة لأول مرة عام ١٩٧٧ ، وهو العام الذي وصل فيه مناحيم بييجين لمنصب رئاسة الحكومة .

يبدو أن اختيارهم لليكود لم يؤد الى تحسين أوضاعهم ، فأنشق بعضهم عن الائتلاف الذي حكمه بييجين عام ١٩٨٢ وكونوا قائمة من المغاربة المتدينين أطلقوا عليها اسم "تامي" أو التقاليد ، وكانت تلك بداية التعانق بين الظاهرة الاجتماعية من جانب والظاهرة الدينية من جانب آخر ، فاليهود المغاربة قرروا الانفصال عن حزب المفدال الحليف الائتلافي في ذلك الوقت لليكود ، وكونوا هذه القائمة .

ولكن رجوعها الى المفدال مرة أخرى أعطى الانطباع بعدم جديتها ، وهنا نجد أن اليهود الشرقيين اختاروا الانشقاق مرة أخرى عن حزب أجودات المتدين عام ١٩٨٤ وكونوا قائمة شاس ، بعد أن لاحظوا مدى الاضطهاد الواقع على مدارسهم وأبنائهم وأحيانهم مقارنة باليهود المتدينين من

أصول غربية الذين سيطروا على أجودات منذ نشأته وحتى عام ١٩٨٤ ، ولقد حصلوا على تأييد حاخام أرثوذكس كبير وهو عوفاديا يوسف ، وأصبح هو المرجعية الخاصة بهم ، ولمجلس حكماء شاس فتاوى دينية هامة في مجال الصراع العربي / الاسرائيلي ، فعندما وصل رابين للحكم في عام ١٩٩٢ ، وبدأ عملية السلام ، أصدر مجلس حكماء شاس فتواه المؤيدة لرابين والتي قال فيها بأن الدم اليهودي له أولوية على الأرض اليهودية ، وأصبحت شاس منذ ذلك الوقت المحطة الثانية في طريق التعانق بين الظاهرة الاجتماعية (الوضع السيئ نسبيا لليهود الشرقيين) من جانب ، والظاهرة الدينية من جانب آخر .

شكلت لحظة اغتيال رابين على يد طالب يهودي متدين يدرس في الجامعة الدينية الاشكنازية (بارايان) ضربة قوية لهذا التعانق ، ودفعت الى السطح بدلا منه انقسامات وحدة المجتمع الاسرائيلي ، ذلك الانقسام بين المتدينين والعلمانيين ، فلقد توارى الانقسام بين الشرقيين من جانب والغربيين من جانب آخر ، وأصبح للانقسام الجديد خطورته على شرعية الدولة والمجتمع ، فلأول مرة في تاريخ اسرائيل كدولة يدعى يهودي عدم شرعية قيادته التي وصلت الى الحكم بطريق ديمقراطي ، ولأول مرة تتناقض الشرعية الدينية مع الشرعية السياسية الاجرائية الديمقراطية .

احتاج المجتمع الاسرائيلي في ذلك الوقت الي قيادة تحفظ له شرعيته القومية الدينية ، وتحفظ له مصادر وجوده واستمراريته ، وفي مثل تلك الازمات الكاشفة عن حقيقة الكيانات الإستيطانية تبرز الاختيارات الحقيقية للمجتمع ، بعبارة أدق تبرز على السطح اولويات تفكير المجتمع الاستيطاني في اختيار من يحافظ على وجوده ، هل يحافظ على وجوده رجل شرق أوسطى صاحب مشروع سلام ؟ أم يحافظ على وجوده رجل ديماجوجي ايديولوجي ؟ ، ومن هنا كان اختيار اغلبية المجتمع الاسرائيلي لبنيامين نتنياهو ليعالج هذا الصراع .

تفهم المجتمع الدولي - الذي يرفض التطرف والعنف ومن يجسده من نظم وشخصيات - لاختيار المجتمع الاسرائيلي لبنيامين نتنياهو ، فلقد أدركت الادارة الامريكية حرج اللحظة

الخاصة بالمجتمع الاسرائيلي، ولم تحاول التدخل في تحديد أولويات المجتمع الاسرائيلي في هذه اللحظة التاريخية، بل لم تمارس أية ضغوط على بنيامين نتنياهو طيلة الفترة الاولى (السنة الأولى من حكمه) من حياته السياسية، فلقد فهمت الادارة الامريكية خصوصية الحالة النفسية الخاصة بالمجتمع، ووعيت الاسباب التي حدثت بالمجتمع الاسرائيلي الى اختيار الأمن والشوفيتية القومية على حساب الرفاهية الاقتصادية والسلام، ففي لحظات الانقسام القومي داخل الكيانات الاستيطانية، يحتاج المجتمع الاستيطاني الى من يعيد إليه ذاكرة العدو الخارجي والخطر المحبط حتى يرفع لدى ذلك المجتمع عنصر الوحدة والتوحيد، فيدفع لدى التركيبات العرقية المختلفة الاحساس بالخطر الخارجي كي تتناسى خلافاتها الأيديولوجية السياسية والاقتصادية، وهذا ما فعله نتنياهو خلال السنتين الأولتين من حكمه.

فلقد ضحى نتنياهو بالمسألة الاجتماعية (الانقسام الاشكنازي / السفاردي) لكي يحافظ على وحدة المجتمع في مواجهة الانقسام الديني / العلماني، فأعلى من شأن ماهو قومي وتاريخي على حساب ماهو اجتماعي، والمعروف أن ماهو ديني في اسرائيل هو بالضرورة قومي.

فلقد حرمت فئات كثيرة من اليهود الشرقيين ومن العرب من كافة الخدمات لصالح فئات تؤمن بالاستيطان ومعاداة العرب، فلاصوت يعلوا فوق صوت المعركة، والمعركة هنا اكتساب مزيد من الأرض بالاستيطان القومي الديني، وعدم إعادة أرض اسرائيل الكبرى الى العرب، والاستهانة بمشاعر فقراء اسرائيل الحالية من أجل انبياء اسرائيل الكبرى فكانت النتيجة هي مزيد من التوتر ليس فقط بين المتدينين والعلمانيين، بل ايضا بين الفقراء والمحرومين من جانب اليهود الشرقيين والعرب والأغنياء والمؤدجين من جانب آخر (المتدينين والقوميين الاشكناز).

لذلك لم يكن غريبا أن يثور يسحاق ليفي على نتنياهو ويتحالف مع باراك، ولم يكن عجيبا أن ينسحب موردي حاي من حكومة نتنياهو ويؤلف حزبا وسطا، وليس من العجائب أن ينافس عزمي بشارة ممثل العرب على رئاسة الوزارة ثم ينسحب لصالح باراك في اللحظات الأخيرة، ولا يجدر بنا هنا أن ننسى أن للمجتمع الدولي والاقليمي دوره في التأثير على التطور السياسي وعلى تعاقب الظاهرة الدينية مع الظاهرة الاجتماعية في الانتخابات الأخيرة.

ثانيا : العولة والتعاقب بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الدينية في انتخابات ٩٩ :

إذا كانت لحظة اغتيال رابين قد شكلت أزمة كاشفة للطبيعة العنصرية الشوفينية للمجتمع الاستيطاني الاسرائيلي فانها قد أصبحت لحظة انفصام على المستوى الايديولوجي والتطور السياسي في اسرائيل عن التطور الايديولوجي والسياسي للنموذج الحضاري الغربي الذي يشكل المرجعية الحضارية للمجتمع الاسرائيلي.

فالمجتمع الغربي لجأ على مستوى ايديولوجيته وتفعيلاته

السياسية الى اختيار الطريق الثالث لكي يقوده الى القرن الواحد والعشرين ولعل كل من شرودر وكلينتون وتوني بليز خير ممثلين لهذا الوجه، ويحرص زعماء هذا الاتجاه على تحديد شعوب العالم المستغل بشعارات وبكلمات تخفف من عبء الاستغلال نفسي، لذلك نجدهم قد استوعبوا ما حدث في اسرائيل لمدة سنة حتى يواصلوا بعد ذلك مسيرتهم في إعادة تشكيل خريطة المنطقة (الشرق الاوسط) لكي تتسق وتتفق مع عقائدهم، وفلسفاتهم، ونجحوا في ذلك في مصر وايران، وأعادوا رسم خريطة منطقة الخليج وباتت شعوب المنطقة مهياة لجنى ثمار التحالف بين نظمهم من جانب، وزعماء الطريق الثالث من جانب آخر، إلا أن استمرار نتنياهو في ممارسة خطاب مناقض في مفرداته للخطاب الدولي، بل وكاشف لعيوب التحالف بين نظم المنطقة والنظام الدولي، قد أدى الى إحساس هذا التحالف بالخطر، فلقد انكشفت ورقة التوت التي كانت تستر عورة هذا التحالف بتصريحات وممارسات ذلك الزعيم المخلص لشعبه ولايديولوجيته، لذلك كان لا بد من اسقاطه، ولقد تم ذلك الاسقاط على مرحلتين.

أ - مرحلة اسقاط الحكومة .

لولا يغتال رابين لما وصل نتنياهو الى السلطة، ومن أجل استمراره استراتيجية القوة المغلفة بقفاز الحرير لا بد من ازالة نتنياهو عن السلطة، تلك كانت كلمات أحد الخبراء المتخصصين في البعد الحضاري لعلاقة اسرائيل بدول الغرب (٣)، وبالفعل أحضر كلينتون نتنياهو ومعه عرفات الى واي ريفر بالولايات المتحدة، وأجبر نتنياهو على التوقيع على اتفاقية تعيد للفلسطينيين بعضا من الكرامة المفقودة، وكانت الاتفاقية بمثابة قبلة الموت لحكومة نتنياهو، فلقد شكلت انتهاكا لتعهدات نتنياهو امام حلفائه المتدينين، وأصبحت تضحيات الفقراء لصالح الأمن أكنوبة، فهاهو الرجل الذي عبأ الأمة خلف شعار الأمن والأرض بكافة مواردها يتنازل لياسر عرفات عن بعض الأراضي، وهاهو الذي اتهم رابين بالخيانة يخون، لذلك كان لا بد من معاقبته في الكنيست عندما عاد فتخلوا عنه في أول تصويت بالثقة على بحكومته، وسقطت حكومته قبل موعدها حوالي سنة ونصف، وتم تحديد موعد لانتخابات جديدة.

ب - إسقاط نتنياهو من الساحة السياسية

بعد أن سقطت حكومة نتنياهو، كان لا بد من إعادة اسرائيل الى مكانتها في المشروع الحضاري الغربي، لذلك كان لا بد من قيادة جديدة تحرص على مصالح التحالف بين نظم المنطقة وأنصار الاتجاه الثالث، في النظام الدولي، وعلى رأس أولويات هذه القيادة ضرورة الموازنة بين اعتبارات الأمن القومي الاسرائيلي، ومصالح التحالف، وشكل باراك التجسيد الحي لهذه القيادة، لما يجمعه من خبرة عسكرية، وتنشئة سياسية في احضان رابين / بيريز، ومن هنا بدأ الاعداد لتولي باراك السلطة.

كان لا بد من تغيير المعادلة والاستجابة لهؤلاء الذين عانوا من سياسات نتنياهو من اليهود الشرقيين والعرب داخل

اسرائيل وخارجها ، ومن الأرقام والنسب التي تم ذكرها سالفاً شكل هؤلاء حوالي ١, ٥٦٪ من أصوات الناخبين في اسرائيل عام ١٩٩٩ ، وهي نسبة من صوتوا لصالح باراك وضد نتنياهو في تلك الانتخابات.

ليس معنى ذلك أن كافة اصوات اليهود الشرقيين قد حصل عليها باراك وحزب العمل ، فباراك في سباق رئاسة الوزارة حصل على نسبة عالية من أصوات اليهود الشرقيين غير المتدينين ، بينما حصل نتنياهو على أصوات اليهود الشرقيين والغربيين الأرثوذكس المتدينين (الحريديم) ، بينما اختلف الوضع في انتخابات الكنيست .

فلقد توجهت نسبة ١, ١٣٪ من أصوات اليهود الشرقيين المتدينين لصالح قائمة "شاس" المتدينة الشرقية لترتفع حرارة التعانق للمرة الثالثة بين الظاهرة الدينية من جانب ، والظاهرة الاجتماعية من جانب آخر ، ومقابل ذلك التعانق المتزايد بين هاتين الظاهرتين، نجد تحالفاً لأول مرة منذ عام ١٩٧٧ بين يهود شرقيين غير متدينين من جانب، وحزب العمل الاشكنازي الأصل من جانب آخر ، فلقد تحالف باراك مع قائمة جينشر (الجسر) التي تزعمها اليهودي الشرقي ديفيد ليفي وزير خارجية اسرائيل السابق، كما دعا اسحاق مورديخاي وزير الدفاع الأسبق في حكومة نتنياهو أنصار للتصويت لصالح باراك .

في مقابل ارتفاع نسبة التأييد "لشاس" نجد هبوطاً في الوزن النسبي للتيار الديني الاشكنازي الذي جسده في الانتخابات الأخيرة حزبي المفدال ، ويهود التوراة ، فلقد حصل على ٢, ٤٪ ، ٩, ٣٪ على التوالي ، والمعروف أن المفدال ويهود التوراة مثلاً التيار الديني الارثوذكسي في الائتلافات الحاكمة منذ انشاء الدولة وحتى عام ١٩٨٨ (٤) ، ويعكس ذلك التغيير في الاوزان النسبية للأحزاب الدينية الارثوذكسية حقيقة ذلك التعانق بين الظاهرة الدينية من جانب ، والظاهرة الاجتماعية من جانب آخر .

فالمتدينين في اسرائيل شكلوا أحزاب وقوائم انتخابية . لا تعكس خلفياتهم الايديولوجية ، وانما تعكس أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية ، ولذلك جنوره التي ذكرناها آنفاً ، إلا أنها هذه المرة قد أصبحت أكثر وضوحاً وصراحة ، وتغلّبت فيها كفة اليهود والارثوذكس الشرقيين والمعروف أن نسبة الخصوبة لدى اليهودية الشرقية أعلى من نسبة الخصوبة لدى الاشكنازية ، ومن ثم فيا الديموجرافية السكانية للحريديم الشرقيين أعلى من الحريديم الاشكناز ، ولقد أعطت مشكلة "أرييه درعي Aryeh DERI" زعيم الحزب دفعه لتركيز أصوات الحريديم الشرقي لصالح "شاس" .

فلقد أتهم درعي زعيم الحزب بإحدى تهم الفساد السياسي ونجح درعي في تجسيد الأزمة على أنها اضطهاد ضد اليهود الشرقيين ، ولا سيما وأن هناك كتابات برزت في أعقاب الانتخابات تؤكد أن فوز "شاس" بهذه النسبة هو تقويض للموسسة القضائية ولشرعية الدولة القانونية (٥) ، فكان هذا النجاح هو تأكيد للفساد السياسي ، وتغاضي أنصار هذا الرأي عن البعد الاجتماعي / السياسي لهذا النجاح ، فلماذا

لم يتوجه اليهود الشرقيون أنصار "شاس" الى حزب آخر ؟ لأنهم آمنوا بأن هناك مؤامرة ضد اليهود الشرقيين المتدينين ، والمعروف أن باراك قد دعى أثناء الانتخابات الى تقليل امتيازات اليهود المتدينين الارثوذكس لاسيما في مجال التجنيد العسكري ، فلقد كان هناك اتفاق أطلق عليه "الأمر الواقع" ينص منذ نشأة الدولة علي اعفاء المتدينين من الخدمة في الجيش كغيرهم ، ولكن لهم طريقهم الخاصة ، ولذلك شكلت دعوة باراك استفزازاً لليهود المتدينين، فصوت جزء منهم (في انتخابات الكنيست) لصالح حزب الوسط ، ولصالح الليكود ، وصوت الباقي لصالح شاس والمفدال ، وليس لصالح الليكود الذي لم يقدم لهم خدمات أثناء توليه السلطة منذ عام ١٩٩٦ .

أضف الى ذلك ان مسألة الفساد السياسي ليست تهمة قاتلة في الكيانات الاستيطانية ، فتاريخ اسرائيل حافل بقيادة تم اتهامهم بالفساد السياسي ، ثم عادوا الى السلطة أقوى من ذي قبل عندما احتاج المجتمع اليهم ، فراين Rabin على سبيل المثال تم اتهامه بالفساد عندما اتضحت فضيحة زوجته عام ١٩٧٦ والخاصة بحساباتها في البنوك الامريكية ، لكنه عاد في عام ١٩٩٢ أقوى من ذي قبل ، بل أصبح رمزاً من رموز الشرعية السياسية في اسرائيل ، وبناءً عليه لا يعد اتهام زعيم حزب شاس السياسي Aryeh Deri بالفساد ضربة قاتلة ، بل لقد نجح في تحويلها لصالحه ، وحصل حزبه على نسبة عالية من الانتخابات .

وعندما أعلنت نتائج الانتخابات قفز الى ذهن البعض أن هناك تصاعداً في الوزن النسبي لليمين الديني مقابل تدهور الوزن النسبي لليمين القومي (الليكود) ، ولهؤلاء بعض المصدقية عندما ننظر الى الجول التالي الذي يوضح الوزن البرلماني لليكود وللعمل مقابل الاحزاب الدينية مجتمعة :

جول رقم ١ الوزن البرلماني الانتخابي لليمين الديني والقومي والعمل

القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١ - العمل	٦٢٧,٧٧٦	٢, ٢٠٪
٢ - الليكود	٤٣٥,٥٤٢	١٤٪
٣ - أ - شاس	٤٠٨,٧١٢	١٣, ١٪
ب - المفدال	١٣١,٠٦٥	٤, ٢٪
ج - يهود التوراة	١٠٩,٠٧٩	٣, ٩٪
د - مجموع الاحزاب الدينية	٦٤٨,٨٥٦	٢١, ٢٪

مصدر الجول : مختارات اسرائيلية يونيو ١٩٩٩ ص ٥٩

وبالفعل فإن الأحزاب الدينية مجتمعه حصلت علي ٢١,٢٪ من أصوات الناخبين مقابل ٢٠,٢٪ لقائمة إسرائيل واحدة التي تجسد التحالف العمل مع قائمة جينشر، و١٤٪ لليكود، والأرقام تفضي من أية نظرة متعمقة إلى القول بصعود اليمين الديني على حساب اليمين القومي (اليكود)، وعلى حساب تحالف العمل جينشر، لكننا علينا أن نضع في اعتباراتنا الآتي:

١ - الدين أحد أسس شرعية الدولة وهو جزء من النسيج الأيديولوجي لكافة القوى السياسية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بدرجات مختلفة، ومن أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بدرجات مختلفة، ومن ثم لا يمكننا القول بوجود تكتل سياسي معين يمثل الديني سياسيا في إسرائيل، وإن كان هناك أحزاب وقوائم دينية سياسية فإنها تعبير عن القوى الاجتماعية التي تسعى إلى تسييس الدين وليس تعبيرا عن وجود قوى علمانية تجحد دور الدين في المجتمع، والمجتمع الإسرائيلي هنا شأنه شأن كافة النظم الاستيطانية التي تعتبر الدين أحد عناصر شرعيتها وتكاملها، ويتشابه كذلك المجتمع الإسرائيلي هنا مع كافة المجتمعات المحيطة به، فالمجتمع المصري على سبيل المثال متدين لكن هناك قوى معينة تسعى إلى تسييس الدين.

٢ - لا يمكننا اعتبار الأحزاب والقوائم الدينية تكتلا سياسيا متجانسا مؤسسا بشكل متكامل، فهناك اختلافات داخل القوى الدينية الأرثوذكسية بين شرقيين وغربيين، وداخل تلك القوى هناك مرجعيات دينية مختلفة، فعوفاديا يوسف يمثل المرجعية الدينية لشاس، وهو أكثر اعتدالا في مواقفه من السياسة الخارجية الإسرائيلية مقارنة بمرجعية المفدال أو يهود التوراة.

٣ - الوزن النسبي لهذه القوائم والأحزاب الدينية داخل البرلمان يعطيهم دورا سياسيا نتيجة للطبيعة الائتلافية للحكومة الإسرائيلية، فدورهم السياسي أكبر بالفعل من وزنهم البرلماني، فحاجة الزعيم السياسي الذي يشكل الحكومة لشركاء في ائتلافه يدفعه إلى تقديم تنازلات للأحزاب الصغيرة ومنها الأحزاب والقوائم الدينية كي تدعمه داخل الكنيست في أي حالة من حالات التصويت بالثقة ضده، وتمثل هذه التنازلات مناصب ووزارة تعكس عملية التخصيص السلطوي للقيم، وهي عملية ليست دائما لصالح الأحزاب الدينية في إسرائيل، فهي تعتمد على خريطة القوى الحزبية في داخل الكنيست في ذلك الوقت، وطبيعة الضغوط النولية والاجتماعية الداخلية في لحظة تشكيل الحكومة الائتلافية.

إن خريطة القوى الحزبية - في ظل انتخاب رئيس الوزارة بمعزل عن الكنيست لآخر مرة - أعطت لباراك قدرا كبيرا من الحرية في تشكيل حكومته الائتلافية، فلم يغلق باراك الباب أمام أي من الاحتمالات، وأسماها أي من الأحزاب والقوائم، فكافة الأحزاب - بما فيها الإيكود - سعت إلى المشاركة في الائتلاف، ولم يمتلك حزب باراك نسبة من المقاعد تقلل من

حاجته لشركاء ائتلافيين مثل شاس أو الليكود، فنسبة ٢٠,٢٪ التي حصلت عليها قائمة إسرائيل موحدة جعلته يحتاج إلى ٣٠,٨٪ لكي يحصل على نسبة ٥١٪ داخل الكنيست، وهي نسبة لا تمتلكها الأحزاب الدينية بمفردها، ناهيك عن انقسامها على نفسها، ومن ثم فإن قدرتها على التأثير على عملية تشكيل الائتلاف أصبحت ضعيفة، وذلك لتفككها، وعدم امتلاكها بمفردها للنسبة المطلوبة.

فالتعدد الحزبي وتقارب القوة البرلمانية للأحزاب والقوائم الكبرى أضعف الفرص النسبية للأحزاب الدينية وحولها إلى قوى مساندة بدلا من تحولها إلى قوى ضاغطة في اتجاه مصالحها، وساعد على ذلك الانقسامات العرقية الاشكنازية / السفاردية والضعف المؤسسي الخاص بتلك القوى.

أضف إلى ذلك أن الضغوط الداخلية في إسرائيل الآن قد أوجدت الحاجة إلى استثمارات ومساعدات دولية من الولايات المتحدة وأوروبا الغربية حتى يستطيع باراك أن يخصص قيمة أكثر لكافة القوى التي انتخبته والتي ستنتخبه في الانتخابات القادمة، فالضغوط جاءت من قوى اجتماعية محرومة مثل الشرقيين والعرب، ولذلك سعى باراك إلى ادماج تلك القوى في تحالفه وائتلافه الحكومي، وهي قوى ليست متحمسة كثيرا لمعاداة النظام الدولي، وليست متحمسة كثيرا لمزيد من الصدام الإقليمي، بل هي قوى تهتم كثيرا بمصالحها القوية العرقية الداخلية، كتحسين مستوى معيشتهم، ومنح مدارسهم مزيدا من الدعم، وإعفاء أبناءهم من الخدمة العسكرية، وخفض نسبة البطالة، ودمج العرب أكثر في الحياة السياسية، كل ذلك يفرض على باراك أن يتجنب الائتلاف مع قوى اليمين القومي المتطرف، مثل الاتحاد القومي بزعامة بن بيجين، أو الليكود، ويضعف من فرص المفدال، وإن كان لا ينهاها، فباراك يحتاج إلى شريك يعطيه مبررا للتشدد أحيانا أمام المفاوض الفلسطيني أو السوري، والمفدال خير من يفعل ذلك، و"شاس" شريك ائتلافي يعطي لبارك حرية حركة خارجيا مقابل امتيازات داخلية تتعلق بالتعليم والخدمة العسكرية، وهي ممكنة، لاسيما بعد أن استقال أرييه درعي من موقعه كرئيس سياسي للحزب، فأعفى باراك بذلك من اشكالية الفساد السياسي وأثرها على صورة الائتلاف سياسيا وقانونيا.

فالصورة الداخلية في إسرائيل الآن تشهد تعانقا متزايدا بين أنصار الطريق الثالث من جهة (باراك)، وأنصار التيار الديني الاجتماعي (شاس)، وهو تعانق هام يؤيده التحالف الدولي / الإقليمي المحيط والذي يشكل قمة العولة والطريق الثالث، فماذا عن مستقبل هذا التعانق بين التيار الاجتماعي من جانب، والتيار الديني من جانب آخر؟

ثالثا: المستقبل:

يصعب الحديث عن المستقبل في الظواهر الاجتماعية والسياسية بشكل حاسم وحازم، لكننا نقول بأنه طالما

استمر أنصار الطريق الثالث دولياً وإقليمياً في دعم باراك، وطالما لم يحدث أى تغير في البيئة المحيطة لصالح الحركات الدينية الأصولية، وطالما نجح باراك في الوفاء بوعوده تجاه القوى التي انتخبته (شرقيين، وعرب واشكناز)، فإن التعانق بين الظاهرة الاجتماعية من جانب، والظاهرة الدينية سيتوقف عند هذا الحد، ولن نزيد قوته أكثر من ذلك، والعكس

صحيح .

فإذا صعدت قوى يمينية في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، وإذا تزايدت حوادث العنف والإرهاب إقليمياً وداخلياً بواسطة الحركات الدينية الأصولية، وإذا فشل باراك في حسم المسألة السفاردية والعربية داخل إسرائيل، فسوف تتزايد قوة "شاس"، وستزداد درجة تطرفها ضد التسوية السلمية .

المصادر :

- ١ - مختارات إسرائيلية، العدد يونيو ١٩٩٩ ص ٥٨
- ٢ - المرجع السابق
- ٣ - راجع في ذلك
- عبد العزيز شادي، مفهوم الجوار الحضارى : دراسة تطبيقية على علاقة إسرائيل بالغرب ١٩٧٧ - ١٩٩٨ . (القاهرة : دار الغريب للطباعة الحديثة، ١٩٩٨) .
- ٤ - راجع في سبيل ذلك .
- عبد العزيز شادي دور الأحزاب الدينية في النظام السياسى الاسرائيلى، كتاب تحت الطبع (القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام).
- ٥ - عامى فدهستور، اليمين التطرف لعام ١٩٩٩، مختارات إسرائيلية، يونيو ١٩٩٩، ص ٢٤ .

التنشئة الاجتماعية في اسرائيل ومحاولة صهر عناصر ومكونات الثقافات السائدة

أمين اسكندر

لقد أخذت الحركة الصهيونية على عاتقها . منذ أن بدأت تنظيم دعوتها الموجهة لليهود وحتى قيام الدولة - مهمة صهر العناصر والمكونات المتعددة التي جاءت من الموروث التاريخي لليهود والواقع المعاش في مجتمعات متعددة ذات ثقافات عديدة بالنسبة لليهود الشتات ، حتى تتشكل ملامح لشخصية الشعب وشخصية الجماعة. ولما كانت شخصية الجماعة - حسبما جاء في كتاب الشخصية الاسرائيلية "الاشكنازيم" للدكتور قدرى حفى - الطبعة الثانية ١٩٧٨ - هي مجمل تلك الخصائص المستمرة نسبيا الذي يكفل فهما تفسيريا وتنبؤيا للنشاطات الظاهرة لاجزاء جماعة معينة في فترة تاريخية محددة، يتسم بالاتساق داخليا وخارجيا .

فقد كان لابد من الدمج بين الدين اليهودي كخصيصة مستمرة لليهود وبين الصهيونية كعقيدة معرزة للشعور الديني وموجهة له قوميا .

لذا كان طبيعيا أن تصدر قرارات المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين المنعقد في عام ١٩٦٨ ديباجة تنص على ان "محاولة التفريق بين الصهيونية وبين الشعب اليهودي محاولة اجرامية لتضليل الرأي العام".

ويعلن بن جوريون امام ذلك المؤتمر ٢٧ "أن الصهيونية هي أم الثورة اليهودية ، فهي التي جاءت بي وبمن سبقني وبمن سيأتي بعد ذلك الى ارض اسرائيل . نحن يهود إذن نحن صهيونيون".

وانطلاقا من ذلك الربط بين اليهودية والصهيونية ، جاء في مقدمة قرارات المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين "أهداف الصهيونية هي : وحدة الشعب اليهودي ، ومركزية دولة اسرائيل في حياة الشعب، تجميع الشعب اليهودي في وطنه التاريخي ارض اسرائيل بالهجرة من جميع البلاد ، تدعيم دولة اسرائيل القائمة على نبوءة الأنبياء في العدل والسلام، المحافظة على خاسمية الشعب بتطوير التربية اليهودية والعبرية، وبث القيم الروحية والتربوية اليهودية ، الدفاع عن حقوق اليهود في جميع الأماكن التي يقيمون

فيها . وهكذا أصبحت الصهيونية هي العقيدة الحاكمة لجمع من الشتات ذات الأصول والثقافات المتعددة، ولم يكن ذلك كافيا يصهر تلك الجماعات المتعددة بل كان لابد من إعادة تنشئة اجتماعية داخل إسرائيل، دولة الحركة الصهيونية ، حتى تتجانس تلك الجماعات وتلتف حول قواسم مشتركة ، ويجد أفرادها انتماء الى تاريخ بعينه ، عندها فقط. يصبح لتلك الجماعات تاريخ مادي تحول الى واقع نفسي ، وهكذا تتشكل خصائص الجماعة والشخصية .

وعن ذلك يقول د . قدرى حفى في كتابه "الشخصية الاسرائيلية" لابد لنا هنا من تفرقة بين التاريخ كواقع شخصي للأفراد، والتاريخ كواقع مادي للأمم . فالتاريخ كواقع مادي لشعب من الشعوب هو تلك الاحداث المتتالية التي وقعت لذلك الشعب تاركة آثارها على أفرادها، ومن خلال وحدة تلك التأثيرات يتحول ذلك الواقع المادي الى واقع سيكولوجي بأن تقوم الاجيال المتعاقبة لذلك الشعب بنقل تلك التأثيرات في وحدتها من جيل الى آخر، ومن هنا ينشأ ما يمكن أن يسمى الاحساس بالتاريخ أو ما يمكن أن نطلق عليه التاريخ كواقع سيكولوجي . فالتاريخ يمارس تأثيره على الافراد من خلال نوع من التعليم تتكفل به عملية التنشئة الاجتماعية التي تجرى في المجتمع .

وقد قامت الصهيونية بالنور الهام في تحول التاريخ من واقع مادي الى واقع سيكولوجي ، وكان لابد من تبنى واعتماد استراتيجية شاملة لتنشئة اجتماعية تعتمد على شبكة من الاساليب والادوات تبدأ بالتعليم والاعلام والابداع والثقافة والسينما والاحزاب والجماعات النقابية والسياسية والثقافية وتستمر بشكل متجدد حتى يتم خلق الروابط والقواسم بين تلك الجماعات ، مما يساعد على ابراز الصفات المشتركة والخصائص المميزة .

والتنشئة الاجتماعية هي العملية التي يتم من خلالها نقل القيم والمعتقدات والعواطف السياسية الى الاجيال اللاحقة وتبدأ هذه العملية في عمر مبكر وتستمر طوال الحياة عن

طريق مؤسسات الأسرة والمدرسة والمؤسسة الدينية وجماعات العمل والحزب السياسى.

وفى دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية تعرف التنشئة السياسية (ومن المعروف أن الاجتماعية اشمل وأكثر اتساعاً) بأنها "التلقين الرسمى وغير الرسمى".

ويتنبأ كل من العالمين الاجتماعيين وليم لامبرت ، وولاس لامبرت "بأن العملية العامة للتنشئة الاجتماعية سوف تعد فى يوم من الأيام متساوية مع معطيات الوراثة والنمو الشخصى كأحدى القوى المشكلة للبشر التى تكون كلا من الفروق والتشابهات".

وهذا ما حدث تقريبا فى 'اسرائيل' حيث قامت عملية التنشئة العامة بدور كبير فى اعادة الصياغة والتأهيل والتشكيل الاجتماعى وكان رأس تلك النماذج ، ما اصطلح على تسميته جيل الصابرا ، وهو جيل الشباب الاسرائيليون الذين ولدوا فى فلسطين ، والذين تحملوا مشاق الاستيطان والدفاع عن مشروعاتهم الصهيونى الاستيطانى ، مقابل اليهود الصهاينة الذين جاؤا من الغرب المتفوق حضاريا لكى يجدوا لهم وطناً قائماً وسط بحر من الاعداء - كما يقولون - .

وهؤلاء الصابرا هم نموذج لفعل مقصود ومبرمج من مخططى التنشئة الاجتماعية، ولعل ذلك ما جعل عالم الاجتماع الفرنسى، والرئيس الأسبق للجمعية الدولية لعلم الاجتماع أن يصدر كتابه المعنون "أهى نهاية الشعب اليهودى" وفيه يخلص الى : "أعتقد أن ثمة ثقافة فرعية هى ثقافة الصابرا قد اتخذت مكانة راسخة فى اسرائيل".

فهؤلاء الصابرا هم الذين تبرضوا لتلقين منظم لثقافة قوة الجماعة، وحتمية القوة، وتواصل التاريخ اليهودى منذ دعوة موسى النبى، ومركزية التلمود، واحتقار الأغيار، وكرهية العرب، وحتمية الانتصار ، وقداسة اليهود، وقديسية وطنهم الذى عاد اليهم بعد السلب، وبطولة يشوع بن نون القدوة والنموذج.

وقد كشف د. رشاد عبد الله الشامى فى كتابه "الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية" من سلسلة عالم المعرفة رقم ١٠٢، عن أهمية حياة الجماعة بالنسبة للصابر عندما ذكر أن هناك قصة مشهورة عن "صبار" نموذجى عاش حياته وسط مجموعة من الأصدقاء ، ثم انتهت حياته بشكل مأساوى ، إنعكست فى قصة للأديب الاسرائيلى عاموس كين تحت عنوان "دانى - إحياء لذكراه".

ذات مرة حدثت كارثة، لقد سافرت الجماعة كلها خارج المدينة من أجل خطوبة أحد أعضاء الجماعة، وبقي داني بمفرده . وقد أخذ يتجول بمفرده فى الشوارع ولم يلتق بأحد وقد سبب له هذا الأمر اكتئابا نفسيا. وقد انتحر لهذا السبب، ولا يعرف أحد حتى اليوم كيف فعل هذا بمفرده . هذا مانقصده بالتنشئة الاجتماعية داخل اسرائيل، والتى تستهدف صباغة جماعية هى أقرب لحالات غسيل المخ عبر مؤسسات عديدة، تقوم كل مؤسسة بدورها المخطط لها طبقا لوزنها النسبى فى اسراتيجية شاملة طويلة الأمد .

والنصوص التوراتية تدرس فى المدارس الاسرائيلية من الحضانة حتى المرحلة الثانوية ويتكثف مبرمج ، حتى تغذى الوجدان الصهيونى فى اسرائيل ويأتى على رأس تلك النصوص سفر "يشوع بن نون" فهو المؤسس لتقاليد العسكرية الاسرائيلية - حسب نظرهم له - وهو المقدس الذى نفذ وصية موسى النبى ، بحمل "تابوت العهد" أمام الجنود "وقال يشوع للكهنة احملوا تابوت العهد واعبروا أمام الشعب. فحملوا تابوت العهد وساروا أمام الشعب" (سفر يشوع (٥-٢)) ومازال جيش الدفاع الاسرائيلى يحافظ على هذه التقاليد حتى الآن، فكل وحده من وحداته تحمل تابوتا توضع فيه التوراة، وقد نقشت عليه آية "انهض بالله ودع اعدائك يتشتتوا وأجعل الذين يكرهونك يهربوا أمامك" وقد قام العالم السيكولوجى جورج تامارين بإجراء بحث فى جامعة تل أبيب عام ١٩٦٦ . حول ردود فعل الطلاب على سفر يشوع وفظائع أريحا ومقيدة وغيرها من الاماكن المذكورة فى التوراة "قتلوا كل ما فى المدينة من رجل وأمرأة ، من طفل وشيخ حتى البقر والغنم بحد السيف" و كان لما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاي فى الحقل فى البرية حيث لحقوهم سقطوا جميعا بحد السيف حتى قنوا . إن جمع اسرائيل رحل الى عاي وضربوها بحد السيف "وأخذ يشوع مقيدة فى ذلك اليوم، وضربها بحد السيف وضرب ملكها وكل نفس بها ولم يبق شاردة".

والسيد جورج تامارين أجرى بحثه على عينه من ١٠٦٦ طالب من الصف الرابع حتى الثامن وكان قد حدد ثلاثة أسئلة ننقلها من صفحة ١٧١ من كتاب "الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية" السؤال الأول : هل تعتقدون أن يشوع والاسرائيليين قد فعلوا الصواب؟ وكانت النتيجة أن ٦٠٪ من العينة أجابوا بأنه قد فعل الصواب .

السؤال الثانى لنفرض أن الجيش الاسرائيلى يحتل قرية عربية بالقتال ، فهل يتحتم عليه أن يفعل كما فعل يشوع مع أهالى اريحا ومقيدة ؟ والاجابة كانت موافقة ٣٠٪ من العينة على عمل المثل ضد أهالى القرية العربية المحتلة.

أما السؤال الثالث فقد درس تأثير التمرکز العنصرى على الحكم الاخلاقى ، عندما طلب رد فعل العينة على عمل فظيع ارتكبه جنرال لين فى الصين ، وحصل هذا السؤال على رد ايجابى من جانب ٧٠٪ فقط .

من هنا كان طبيعيا أن يصف بن جوريون يشوع من نون قائلا : "إنى اعتبر يشوع هو بطل التوراه ، إنه لم يكن مجرد قائد عسكري ، بل كان المرشد لأنه توصل الى توحيد قبائل اسرائيل " .

قول واضح بل سافر فى وضوحه ، يشوع بطل لابد من تقديمه كنموذج من اجل توحيد القبائل أو الجماعات التى جاءت من الشتات من كافة انحاء المسكونة " لايجمع بينهم

رابط سوى الرابط الايولوجى الصهيونية).

ولم تكن التوراة تقدم النموذج الموحد لليهود فقط ، إنما تقدم الفتوى المقدسة للحروب التى تشنها اسرائيل ضد العرب، وهامو - فيدر بوش . أحد منظرى الصهيونية العربية يقول " ان الحروب التى تشنها اسرائيل على الدول العربية هى وفق "الهالاخا" (الشريعة النظرية) حرب مقدسة للدفاع عن "اليشوف" (الاستيطان اليهودى) فى فلسطين ضد الجيوش العربية التى غزت أرض فلسطين لكى تبديد - معاذ الله - الشعب المقاتل من أجل حريته ، وكذلك فإن إنشاء "جيش الدفاع الاسرائيلى والخدمة فيه هى فى رأى الصهيونية الدينية من تشريعات التوراه الصحيحة ويذكر د. الشامى فى كتابه السابق ذكره أن الحاخام العسكرى موشيه جورن اعلن ان الحروب الثلاثة التى قامت بين العرب واسرائيل ٤٨ ، ٥٦ ، ١٩٦٧ ، هى فى منزلة "الحرب المقدسة" فأولها لتحرير أرض اسرائيل ، وثانيها لاستمرار دولة اسرائيل ، وثالثها فقد كانت لتحقيق نبوءات أنبياء اسرائيل .

مما سبق يتكشف لنا إن مخططى استراتيجية التنشئة الاجتماعية لأجيال الصهاينة المولودين على أرض فلسطين ، لم يتركوا وسيلة ما أو أداة إلا وتم من خلالها إعادة التنشئة تلك وكانت التوراة هى الاساس والمنطلق الذى خرجت منه تلك المفاهيم المعززة لوجدان الصهيونى - كما يقولون هم - وقد شملت شبكة القنوات التى من خلالها يتم تمرير تلك المفاهيم الموحدة والخالقة لكلية اجتماعية متناسقة حول أهداف ما وأغراض ما ، بل وماضى ما ايضا - النظام التعليمى التربوى فى اسرائيل والاعلام والادب والسينما .

ويهمنا هنا أن نلقى الضوء على فلسفة النظام التعليمى والتربوى ، والتى تكشف لنا بوضوح كامل استراتيجية التنشئة الاجتماعية وغرضها فى صهر التجمعات والجماعات الصهيونية على أرض فلسطين المحتلة .

النظام التربوى فى اى مجتمع لابد أن يستند على مجموعة من القواعد والمثل والقيم والأهداف التى تستمد من شخصية الشعب وهويته وتاريخه وأهدافه وغاياته، ولما كان التجمع الصهيونى على أرض فلسطين قبل اعلان الدولة مجرد جماعات استيطانية وبعد الدولة مجرد جماعات تحاول الانصهار كان لابد من تخليق تاريخ وهوية وشخصية ، وهنا لعبت التوراة والصهيونية دورا هاما فى منطلقات وأهداف وغايات النظام التربوى الاسرائيلى : وقد ظهر ذلك واضحا فى قانون ١٩٥٣ لتنظيم التعليم فى اسرائيل عندما ذكر المشرع الصهيونى فى ديباجة المشروع مانصه "إن التعليم الابتدائى يعتمد على قيم التقاليد اليهودية وعلى احترام الانجاز العلمى ويعتمد على حب "الوطن" والتضحية والاخلاص للدولة وللشعب اليهودى . كما أنه يركز على التدريب على الأعمال الزراعية والحرف

اليهودية وتحقيق مبادئ الرواد الصهاينة الاوائل ، حتى يتحقق فى النهاية المجتمع المثالى .

اذن نحن امام "طبخة" من التقاليد اليهودية والانجازات العلمية والاخلاص للدولة وللشعب ، ومبادئ للرواد الصهاينة الاوائل والمجتمع المثالى !!

ومن المعروف ان النظام التعليمى الصهيونى قبل ١٩٤٨ ، كان تعليميا تقليديا يعتمد على تعليم التلمود والتوراة وكان التدريس يتم باليديشية عند يهود أوروبا الشرقية وبالعبرية المبسطة أو اللادينو عند اليهود الشرقيون ، وقد تمت محاولات لتأسيس مدارس من قبل يهود المانيا وفرنسا يتم فيها التدريس باللغة الألمانية والفرنسية إلا أن الرواد من اليهود المستوطنين تمسكوا بالعبرية كلفة تعليم وتدریس وقد ساعد ذلك على سرعة انتشار العبرية بين اليهود ، وفى عام ١٩٠٣ جاء مناحيم يوسيشكين على رأس بعثة من المدرسين الصهاينة الادريين لزيارة فلسطين وأجتمع مع العديد من المدرسين اليهود فى مؤتمر نتج عنه تأسيس جمعية المعلمين العبرية وكان ذلك بمثابة الخطوة الاولى فى تشكيل النظام التعليمى الاسرائيلى حيث استحوذت تلك الجمعية على كل مهمات التعليم بين اليهود فى فلسطين وعن طريقها تم نشر الكتب الدراسية بالعبرية وتنظيم الدورات التأهيلية للمعلمين اليهود، وكانت تلك الجمعية على علاقة وطيدة "بمنظمة الصهيونى التنفيذية" اليد الفاعلة للوكالة اليهودية فى الاهتمام بأمور التعليم وبناء المدارس .

وقد برز من خلال الممارسة التعليمية من كافة الاتجاهات الصهيونية - حسب قول د . سمير هوانه فى بحثه عن نظام التعليم العام فى الكيان الاسرائيلى المنشور فى كتاب "الأبعاد التربوية للصراع العربى الاسرائيلى" والصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية عام ١٩٨٦ - ثلاثة نظم للتعليم

- النظام العام الذى يجمع بين القيم الصهيونية والقيم التقدمية العالمية فى التربية .

- النظام الدينى (المزاحى) الذى ركز بشدة على تعليم وتعاليم الديانة اليهودية .

- نظام الكيبوتزات والذى اعتمد منهج التعليم العام واضاف اليه مبادئ حزب العمل الاسرائيلى واعتبر التعليم الدينى الصرف الذى كان تحت اشراف جماعة أجودات اسرائيل خارج نظام التعليم العام فى فلسطين وذلك لان هذه المدارس لا تدرس سوى العلوم التلمودية فقط. لكن بعد اعلان الدولة فى ١٩٤٨ تم التعامل مع النظام التربوى التعليمى على انه ركن محورى من امن اسرائيل، وعن ذلك يقول جاكوب كلاتزمان - زبوى صهيونى فى اسرائيل "التربية هى ايضا من مستلزمات الدفاع الوطنى" .

وكان أول عمل تقوم به الدولة الجديدة هو فرض قانون للتعليم الاجبارى عام ١٩٤٩ ، وقد نظر لهذا القانون على انه قانون استراتيجى لحماية المجتمع من الانقسام ، وذلك

عن طريق تقديم فرصة متساوية لكافة اليهود على أرض فلسطين المحتلة من تعليم اللغة العبرية والتقاليد اليهودية التلمودية في محاولة لتضييق الهوة بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين (السفارديم - الأشيكنازيم) ، وهكذا تشكلت أول وزارة للتربية عام ١٩٤٩ وترأسها أول وزير لها زلمان شازار الذي أصبح رئيس للدولة الصهيونية فيما بعد. وقد جعل قانون ١٩٤٩ التعليم إجباريا ومجانيا من سن ٥ سنوات على أن يقضوا عام في روضة الاطفال لتعليم العبرية في سن مبكرة ، وفي عام ١٩٥٣ قامت وزارة التربية بتصفية الانظمة التعليمية الموازية للنظام العام التعليمي في اسرائيل وأعطت الأباء الخيار بين إرسال أبنائهم الى التعليم العام الحكومي أو التعليم الديني الحكومي وظلت مدارس اجودات اسرائيل غير رسمية وفي عام ١٩٦٥ صدر تقرير 'برواد' للتربية ، والذي على أساسه تم إحداث تغيير في سياسة التعليم العام في اسرائيل ، وأصبح النظام الجديد .

حضانه من سن ٣ - ٤ سنوات

المرحلة الابتدائية من ٦ الى ١٢

المرحلة الاعدادية

المرحلة الثانوية

وقد تم التركيز على تعليم الطقوس العربية واليهودية المتعلقة بالاعباد ، التركيز على بعض الحقائق الأساسية الجغرافية لفلسطين (اسرائيل) في خلال السنة الاجبارية للحضانه والتي تشرف عليها المنظمات الخاصة والاحزاب . اما المرحلة الابتدائية ، فقد قامت الوزارة عام ١٩٥٤ بوضع منهاج تعليمي خاص بتلك المرحلة وتم تعميمه على أكثر من ١١٠٠ مدرسة ليشمل اللغة والأدب العبري - التوراة - التاريخ - الجغرافيا - علوم طبيعية ، رياضيات - انجليزي فرنسي أو عربي . اشغال . زراعة . موسيقى . فنون . تربية رياضية .

والمهم في ذلك المنهج أن العبرية والتوراة يتم تدريسها في عشر حصص كل أسبوع (خمسة لكل مادة منهما) .

المرحلة الاعدادية هي مرحلة اجبارية مجانية تشرف عليها الوزارة إشراف كامل وفيها يتم تدريس التوراة لمدة أربع حصص في الأسبوع للصف ، السابع وخمس حصص في الأسبوع في الصف الثامن بالاضافة الي ذلك يتم تدريس مادة قانون بني اسرائيل العرقي حصاة واحدة في الأسبوع في الصف السابع ، وسبع حصص في الاسبوع في الصف الثامن .

واللغة والأدب العبري ثلاثة حصص في الاسبوع في الصف السابع وثلاثة في الاسبوع في الصف الثامن ، والتاريخ ٣ في الصف السابع وحصتين للجغرافيا في نفس الصف ، اما الصف الثامن فله أربع حصص تاريخ وجغرافيا ، وأخيرا حصاة واحدة في الاسبوع للصف السابع تربية وطنية والصف الثامن ست حصص تربية وطنية .

ويتبين من خلال ذلك المنهج التعليمي المقرر على المرحلة

الاعدادية انه مكس بالمادة الصانعة لحالة التكيف الاجتماعي ، اي حالة التلقين المفروضة من اجل خلق كتلة على قدر من القواسم والمشاركات الجامعة .

ولم تكن قناة التعليم هي القناة الوحيدة الفارضة للتكيف الاجتماعي على الجماعات اليهودية الصهيونية المتعددة، بل كانت هناك برامج التنمية المجتمعية التي بدأت بإنشاء النوادي في المدارس الابتدائية في عام ٦٨ / ١٩٦٩ حيث كانت هناك نوادي تضم ٤٨٠٠٠ طفل، ومراكز شباب يصل أعداد المنضمين اليها ٦٠٠٠٠ شاب وشابه ، كما كانت هناك النوادي العلمية التي ضمت في نفس عام ٦٨ / ٦٩ ما يقرب من ٢٣٠٠ طالب ، وتقوم الوزارة بالتمويل والاشراف على هذه النوادي العلمية ويساعدها في ذلك وزارة الدفاع حيث يتم إعمال برنامج (جادنا) الذي يشمل على رحلات وتدريب بدني وتشجيع على الاستيطان في كل ارض فلسطين ، ويعطى الشاب حق الاختيار بين أن ينهى الخدمة العسكرية العامة في جيش الدفاع ، أو ينخرط في حركة ناحال الاستيطانية ويخدم الفترة نفسها مع هذه المنظمة على الحدود .

كما أن هناك برنامج الوعي اليهودي، ويهدف لتثقيف الصغار، وتعويدهم على الطقوس اليهودية والعادات الخاصة بالديانة اليهودية ، وعادة ما يقدم هذا البرنامج الى معلمى المرحلتين الابتدائية والاعدادية بالاضافة الى الطلاب. ويشمل هذا البرنامج قراءة وتفسير التلمود والاجادة والترتيل والصلاة والفكر اليهودي ومشكلات اليهود المعاصرة .

وفي دراسة "ثقافة السلام لدى الاطفال الاسرائيليين" دراسة تحليلية لديوان "سلامي وأمني" للدكتورة سناء عبد اللطيف صبرى صادر عام ١٩٩٩ ، تؤكد لنا الدراسة على طفو القنوات الثابتة والابجديات والقوالب الجامدة التي تتشكل منها صورة العربي عند الطفل الاسرائيلي ، فها هي 'ليثاء ميلر' في قصيدة "حلم ملون" تعبر عن شعورها ، وتكشف الكراهية المخبوءة داخل مكتون عقلاها حيث تقول عن الجندي المصري : رأيت في الحلم جنديا مصرياً .. كان يجي نحوي .. وفجأة استيقظت من حلمي . في حالة خوف وفرع .

وفي قصيدة "إلياف براند" بعنوان "بعيدا الى الجيش" يمجّد البطولة اليهودية الخارقة مقابل جن المقاتل العربي . حيث يقول .

بعيدا ، الى الجيش ذهب والدي ... أرسل لكي يحرس الحدود

من النقب الى أعلى الجولان ... كان العدو يهرب بمجرد رؤيته .

أما الطفلة "أييليت إبستين" فتكشف عن قناعاتها الثابتة عن العرب في قصيدة "سوف تعرف" حيث تقول : -

عندما لانخاف الارهابيين

الذين يشنون الغارات بعد

حينئذ سوف نعرف أن السلام قد حل
هكذا تتردد قصائد الاطفال اليهود الصهاينة تلك
التصورات عن السلام !! ولعل ذلك يؤكد ما طرحناه عن
التكيف الاجتماعى وغرضه .

كما كان للإعلام الصهيونى دورا رئيسيا فى استراتيجية
التكيف الاجتماعى ، قبل قيام اسرائيل وبعدها . يتبين ذلك
من برنامج العمل ذى البنود الاربعة الذى تم إقراره فى
المؤتمر الصهيونى الاول المنعقد فى بال بسويسرا عام
١٨٩٧ ، حيث اكد البند الثالث على ضرورة نشر الروح
القومية والوعى القومى بين يهود العالم وتنميتها ، جنبا
الى جنب البنود الثلاثة الاخرى :

أ - تطوير الاستيطان اليهودى فى فلسطين .

ب - تنظيم يهود العالم وربطهم فى مؤسسات صهيونية .

ج - اتخاذ الخطوات اللازمة للحصول على تأييد الحكومات
المختلفة من اجل تحقيق هدف الوطن .

وهكذا سار الاعلام الصهيونى موجهها على مسارين : مسار
اليهودية العالمية، مسار الرأى العام العالمى لكى يوجه لهما
رسالته الخاصة بأهمية الوطن لليهود ، وبعد قيام الدولة
كان يتوجه للرأى العام بأهمية تلك الدولة للسلام !

وفى مقدمة الكتاب السنوى لحكومة اسرائيل ١٩٦١ / ٦٠
قال بن جوريون " ان الطريق الاكثر ضمانا للوصول الى
السلام والتعاون مع جيراننا لا يكون بدعوة شعب اسرائيل
ووعظه بالسلام، كما يفعل بعض محبى السلام من البسطاء
، ولكن عن طريق الحصول على أكبر عدد ممكن من
الاصدقاء .. الذين سيفهمون أهمية اسرائيل وقدرتها على
المساعدة فى تقدم الشعوب النامية والذين سينقلون ذلك
المفهوم الى جيراننا " .

وهكذا كانت استراتيجية الاعلام الصهيونى بين يهود العالم
- قبل اسرائيل - توعية وتثقيف وتلقين (التنشئة
الاجتماعية) يهود العالم بالصهيونية ، وإعدادهم نفسيا
للهجرة الى فلسطين تحقيقا للنبوءة اليهودية باقامة دولة
يهودية .

وقد اضاف الاعلام الصهيونى الاسرائيلى الى نفسه دورا
بعد قيام الدولة انطلاقا من تلك الاستراتيجية وهو الدعاية
والاعلام عن منجزات اسرائيل وتصويرها كملجأ وحيد
وأمن من الاضطهاد الذى يعيشه اليهود فى الشتات .

وهكذا عمل الاعلام الاسرائيلى من اجل تحقيق استراتيجية
من خلال المبدأين اللذين قال بهما بن جوريون ، وسارت
عليهم وسائل الاعلام الاسرائيلى ولا تزال .

- التأكيد على ان يهودية اليهودى لا تكتمل إلا بالهجرة
الى اسرائيل .

- التأكيد على ان الحليف المخلص الوحيد (لدولة) اسرائيل

هو اليهود .

ويذكر الدكتور منذر عنتباوى فى دراسة عن أضواء على
الاعلام الاسرائيلى " رقم (٣١) صادرة عام ١٩٦٨ من
مركز الابحاث عن المداخل التى اعتمدها الاعلام
الاسرائيلى لتحقيق غرض اسرائيل فى الوجود .

١ - تقديم اسرائيل كناتج للفكر والجهد والمهارة النابغة عن
الحضارة الغربية .

٢ - التأكيد على (المعجزات) التى حققتها اسرائيل فى
"الصحراء" التى كان اسمها فلسطين والتى أهملها الغزاه
العرب .

٣ - التذكير المتواصل بأن اسرائيل هى تحقيق لنبوءة
دينية وردت فى العهد القديم .

٤ - التذكير المتواصل بفظائع النازية عبر التاريخ لليهود
وان انشاء اسرائيل كان حل تاريخى للمشكلة اليهودية .

٥ - تصوير معاداة العرب لاسرائيل على أساس انه نتاج
تعصب دينى وعنصرى .

من خلال تلك المداخل نسنطيع ان نؤكد ان غرض تلك
الرسالة ليس حكرا على الرأى العام اليهودى فى العالم
وعلى الرأى العام العالمى ، بل أن جانبه الآخر هو توجيه
وصناعة الرأى العام الداخلى فى اسرائيل من اجل تحقيق
الغايات والاعراض الصهيونية .

ولم تقلت السينما الاسرائيلية من استراتيجية التنشئة
الاجتماعية، حيث حققت صناعة السينما الصهيونية
أهدافها على محورين أساسيين ، الأول منها فرض قضية
اليهود وما تعرضوا له من اضطهاد على عقلية المشاهد ،
والثانى التركيز على الوطن (فلسطين) كنبوءة مقدسة ،
وهكذا كانت الرسالة السينمائية مزدوجة جزء منها (مثله
مثل الاعلام - موجه للخارج والرأى العام العالمى ، وجزء
منها موجه للداخل الاسرائيلى حيث يتم صناعة الوعى
والتاريخ والقواسم المشتركة .

تلك هى شبكة القنوات التى نعبر من خلالها استراتيجية
التنشئة الاجتماعية ، والتى تستهدف صهر تلك الجماعات
الصهيونية وخلق تجانس ما و قواسم مشتركة من التاريخ
حتى الوطن والحلم ، لذا كان طبيعيا ان نجد مفهوم
الاطفال للسلام، هو عدم الخوف من الارهابيين ، وهو
هروب وجبن الاعداء عندما يوجهون الجندى الاسرائيلى !!

ولم تكن شبكة تلك القنوات شاملة التعليم والتربية والادب
والسينما، انما اشتملت ايضا على ادوات مثل الهستدروت
والاحزاب والطوائف الدينية والجماعات النقابية والجمعيات
التعاونية كلها اجتمعت تحت سقف واحد واسهمت جميعها
- كل حسب دوره ووزنه - فى استراتيجية التنشئة
الاجتماعية.

صورة العربي في الأدب العبري قبل وبعد مرحلة السلام

دعاء الشريف

فلسطين العربية دون غيرها لتكون الوطن القومي لليهود، وظهرت عبر التاريخ دعوات متعددة لتجميع اليهود في فلسطين، وتأمين استيطانهم فيها .

الهجرة الأولى إلى فلسطين عبر السنوات (١٨٨٢-١٨٨٥) وعام ١٨٩٠: ارتبط أبناء فريق يهودي من الجيل الناشئ في الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر بالحركة الثورية الروسية. وتأثروا إلى مدى عميق بالتفكير "الراييكالي" (٢) للعصر. فشكل فريق منهم حركة "الهاسكالا" (٣)، بينما اتجه فريق آخر نحو إنشاء حركة يهودية قومية، بهدف استعمار فلسطين، وكان لنشاط اليهود الروس من طلبة الجامعات أثره في ظهور جماعة رواد "أحباء صهيون" - "بيلو" (٤) التي عملت على تنظيم وتنشيط الهجرة إلى فلسطين على أساس قومي مستندة إلى تعاليم التوراة، وقد ارتكز برنامجها الأساسي على ثلاث نقاط هي: محاربة الاندماج، الشعور القومي، استيطان فلسطين .

بقيت الحركة الصهيونية مفتقرة إلى التنظيم والتخطيط، إلى أن تمكن "ثيودور هرتزل" (٥) من عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية في ٢٨ أغسطس ١٨٩٧ . وظهر هدف الصهيونية في هذا المؤتمر وهو إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام. (٦)

الهجرة الثانية (١٩٠٤-١٩١٤) بظهور الحركة الصهيونية التي تعهد بها الدكتور هرتزل، أصبح أمر الهجرة أكثر تنظيماً "الكيبوتزات"، وعندما قررت المنظمة الصهيونية تنفيذ مشاريعها الاستيطانية عام ١٩٠٨ كان عدد المستوطنات قد وصل إلى ٢٥ مستوطنة حيث بلغ عدد سكانها ٦٥٠٠ نسمة .

تكمن أهمية هذه الهجرة في أن زعمائها جندوا أقلامهم وتفكيرهم في خدمة الحركة الصهيونية بشكل بحت، وكانت قيم الصهيونية عندهم أهم من الإنسان، وقد أنتج هؤلاء المهاجرين ما يسمى بالأدب العبري الفلسطيني (٧) ومن سمات هذا الأدب :

الاهتمام الخاص بوصف طبيعة فلسطين وأنماط البشر الذين يعيشون فيها من البدو أو الفلاحين الفلسطينيين. الاهتمام بوصف الصراع بين جماعات المستوطنين

إن أدب أي شعب من الشعوب يعكس حياته وتقاليده ومثله وتياراته الفكرية، لذا فإن الأدب الذي أنتجه اليهود عبر العصور أيا كان نوعه هو بمثابة مرآة صادقة عكست لنا الظروف التي أحاطت بهم وجعلت المفكرين والأدباء يستغلون هذا الأدب في تفسير بعض المفاهيم الحياتية والنفسية لدى الشعب اليهودي . إننا نعرف جميعاً ما للأدب من نفوذ قوي وما له من سيطرة على آراء البشر وانفعالاتهم . إن مجرد القتال بالسيف هو حدث موقوت ، وجراحه لا تصيب إلا الجسد وكرام الناس يصفحون عن هذه الجراح وينسونها ، ولكن جراح القلم تنفذ إلى القلب ، وتنفض صديدها في أنبل الأرواح وتبقي حية في العقل وتخلق فيه حساسية شاذة لأي صدام مهما هان شأنه.

ونظراً لأن الشخصية العربية الفلسطينية كانت وما زالت عنصر التحدي الرئيسي الذي احتك به اليهود منذ احتلالهم فلسطين وحتى الآن . لذلك سنلقي الضوء على صورة الشخصية العربية في الأدب العبري رواية - قصة قصيرة - شعر - مسرح، بداية من ظهور الحركة الصهيونية وموجات الهجرة إلى فلسطين، مروراً بالصراع العربي الإسرائيلي والوصول بالمرحلة إلى ما بعد اتفاقيات السلام، من خلال مجموعة من النماذج الأدبية التي عالجت هذا الموضوع لنرى هل أحدث السلام بالفعل تغيير جذري في صورة الشخصية العربية في الأدب العبري في إسرائيل استعداداً للتعايش الفعلي مع العرب ؟ وما هو المنظور الإسرائيلي للسلام من خلال هذا الأدب .

ونظراً لأن فلسفة المجتمع الإسرائيلي التي تقوم على العنف والحرب قد أدت إلى ربط كل شيء فيه وفقاً لتواريخ نشوب الحروب كمعيار زمني يفصل بين مرحلة وأخرى فإنه اتساقاً مع هذا الربط أصبح هناك ما يسمى بأدب الحروب (١) (١٩٤٨-١٩٦٧-١٩٧٣-١٩٨٢)

لذلك سيتم تقسيم الدراسة في هذا البحث طبقاً لتقسيم أدب الحروب، وطبقاً لاتفاقيات السلام التي أبرمت بين العرب وإسرائيل، من خلال منظور أدبي مع عرض مبسط وسريع لأهم الأحداث السياسية على الساحة العربية الإسرائيلية التي صاغ منها الأدب والفكر الإسرائيلي توجهاته .

صورة العربي في الأدب العبري (١٩٤٨-١٩٠٠) اتفق الاستعمار مع الصهيونية العالمية على اختيار أرض

الصهاينة الذين كانوا يطلقون عليهم اسم "الطليعيين"، وبين أصحاب الأرض من الفلسطينيين، وهو المسمى بـ (الأدب الطليعي).

ظهور القصص الريبورتاجية التي تصف بدقة وثائقية قصص صراع المستوطنين الصهاينة خلال هذه الفترة ضد البيئة وضد عرب فلسطين (٨).

وتوالت هجرات اليهود بعد ذلك إلى فلسطين (٩) ومما زاد من تشجيع المهاجرين اليهود على استيطان فلسطين، مقولة "أرض بلا شعب وشعب بلا أرض" التي أطلقها المفكر الصهيوني "إسرائيل زينجويل" (١٨٦٤-١٩٢٦) على أرض فلسطين وكانت هذه المقولة تساند المقولة الأخيرة في المقولات الثلاثة التي يركز عليها الفكر الصهيوني (١٠) كما تزيل العقبة التي كانت تعترض الحلم الصهيوني الزائف المتمثلة في وجود شعب عربي على الأرض، حتى وصل الأمر إلي أن الفيلسوف الصهيوني "ماكس نورداو" الذي كان مقرباً من "هرتزل" وقع في حالة ذهول عندما اكتشف وجود الشعب الفلسطيني فهرع إلى هرتزل ليقول " : أن هناك شعباً يسكن تلك الأرض (١١) .

أما الأديب "موشيه سميلانسكي" (١٢) فقد ذكر في سيرته الشخصية أنه عندما قابل العرب لأول مرة في طريقه من "يافا" إلى مستعمرة "ريشون لتسيون" كان غير مرتاح، وشعر بالقلق والغضب، وذهل عندما وجدهم هناك حيث يقول " : ماذا يفعل هؤلاء العرب هنا ؟ لماذا هم فقراء وقذرون ؟ بينما الأرض حول قريتهم جيدة وخصبة ..إنهم همجيون ويكونون سعداء ويعيشون في سلام عندما يستقرون، ولكن عندما يهيجون يصبحون قتلة يقتسمون خبزهم التافه مع الشخص الجائع الفقير، ولكنهم يرتكبون القتل من أجل ما يريونه ولا يستطيعون تحقيقه (١٣) .

وبسبب تشبع أفكار المهاجرين بروح التعالي والسامية بداخلهم والتي زرعتها فيهم أفكار الحركة الصهيونية، ازدادت دهشة المستوطنين عندما رفض العرب وخاصة الفلاحين أفكار الاستيطان وممارسات المستوطنين، ويقول شموئيل يوسف عجنون (١٤) في دهشة بالغة " تلقوا هذا البلد الصغير من يد الواحد العظيم .لم نأت لفرض سيادة ولا للحكم، بل للحراثة والزرع والبذر، من أجل المحافظة على قوانينه وحماية تعاليمه (١٥) .

وهنا اتضح زيف الأحلام الصهيونية وتحطمت مقولة "زينجويل"، وما زاد من تخطيط المهاجرين هو أن هذا الشعب العربي الموجود بالفعل على أرض فلسطين الراض للاستيطان هو شعب مقاتل لا يرضخ للحلم الصهيوني ويدافع عن أرضه .

منذ ذلك الحين تحول العرب الفلسطينيون إلى سؤال كبير ومؤرق بالنسبة للحركة الصهيونية، وبالأخص على مثقفها وكتابها وأدبائها الذين تباينت إجاباتهم على هذا السؤال في فروع الأدب المختلفة .

الرواية والقصة القصيرة في هذه الفترة ظهرت تيارات فكرية مختلفة تعالج مشكلة

الوجود العربي على أرض فلسطين، وكانت كالاتي :

تيار تجاهل وجود العرب تماماً، ومضى يتحدث عن مجتمع اليهود الجديد في الأرض الجديدة القديمة، بوصفهم أبناء هذه الأرض العائدين إليها، كما هو شأن عدد كبير من الكتاب الذين تخلو كتاباتهم من أي إشارة إلى وجود عرب في فلسطين بالرغم من أن عدد اليهود بالنسبة للعرب الفلسطينيين في هذه الفترة لم يتعدى الربع (١٦)، ويتضح هذا في كتابات "حاييم هزاز" (١٧) و"شموئيل يوسف عجنون" اللذين قلما تحدثا عن العرب الفلسطينيين في أعمالهما الأدبية .

اتجاه انتهجه بعض الكتاب الذين سحرتهم تلك الحياة الوحشية البدائية لعرب فلسطين، ووجدوا في ملامح هذه الجماعات ونمط حياتها صورة أجدادهم العبرانيين القدماء، كما في رواية "عماسي هاشومير" التي طبعت لأول مرة عام (١٩٢٠)، ليعقوف رايبينوفيتش (١٨) ويسجل فيها حياة البدو والحرية التي يمارسونها كل يوم من خلال عدم الاستقرار في أرض معينة والتنقل إلى أماكن جديدة على الدوام . الصحراء مهد الإنسانية ومصدر الطهارة والنقاء قبل أن يفسدها الإنسان "وهو يرى الحياة مع البدو مثل الحياة في جنة عدن قبل أن يأكل الإنسان من شجرة المعرفة . ويصف رايبينوفيتش البدوي بأن "شعره أشعث طويل، عيونه غريبة، وصرخاته، وهو يمر بين العرب بقافلة جماله مرعبة" .. "الإنسان لغز والحياة لغز ولكن الصحراء تبقى أكثر الألغاز، فهي مهد الإنسان (١٩) .

كان هناك تيار بين المستوطنين الأوائل دعا إلى "ضرورة إقامة علاقات بين الشعبين، وعلى ضرورة فهم اليهود للعادات العربية." (٢٠) ودعا "موشيه سميلانسكي"، وهو أبرز ممثلي هذا التيار اليهود إلى "أن يقبلوا بالسلوك الاجتماعي والعاطفي للعرب من أجل كسب صداقتهم." (٢١) وهي فكرة سادت لدى كثير من السياسيين والمثقفين اليهود والصهاينة أمثال "حاييم وايزمان" و"أحاد هاعام" (٢٢) وغيرهم.

لكن دعوات هؤلاء جميعاً لم تترجم إلى سلوك على المستوى الاجتماعي أو إلى تفهم ومعرفة على المستوى السياسي والفكري أو التعاطف على المستوى الإنساني، فعلى سبيل المثال نجد أن "حاييم وايزمان" والذي كان يتحدث دائماً عن "يوتوبيا (٢٣) فلسطينية يعيش فيها اليهود والعرب بانسجام، كانت نظريته لا تتعدى نظرة السيد للمسود، فقد رأى أن "الاستيطان اليهودي في فلسطين سيحسن التطور الاقتصادي فيها، ويرفع مستوى معيشة سكانها العرب"، وقاده هذا التفكير إلى الاعتقاد أن العرب نتيجة لذلك سيقبلون طواعية سيادة اليهود على الأرض، "حيث يمكن أن يتمتعوا هم بحقوق مدنية، ولكن دون أن تكون لهم قوة اتخاذ قرار في الدولة (٢٤) .

أدرك زعماء الحركة الصهيونية مدى العلاقة بين الحياة والأدب لذلك عمدوا إلى نزع الهوية الفلسطينية عن عرب

فلسطين في قصصهم ورواياتهم، وكانت صورة البدوي العربي في فكرهم هي صورة البدوي المتخلف والفلاح الجاهل.

كما حرصوا على أن ينسبوا للعربي الفلسطيني الأعمال البسيطة حتى يعطوا انطباعاً بأنه لا يصلح للقيام بأعمال تتعلق بالتحكم في مقاليد الأمور ولا في اتخاذ القرارات السياسية ولا في الفكر والثقافة ولو برمز بسيط لذلك كانوا يرمزون للعربي الفلسطيني إما بالبدوي أو الفلاح فهو لا يعرف مهنة غيرهما، فعلى سبيل المثال نرى سميلانسكي يذكر في هذه الفقرات (ص ٤١-٤٢) من قصة "محمد:"

عندما جاء الربيع، حمل أهل الجنوب خيامهم، ورحلوا جميعاً من الجنوب إلى الشمال. حملوا الخيام والممتلكات على ظهور الجمال.. لم يقتربوا من القرى بنظر الفلاحون إليهم، وكان كلمة "الجوع" المخيفة قد علقت على ظهورهم.. نصبوا خيامهم مؤقتاً على بعد مسافة من القرية.. وعلى الطريق كانوا يجمعون الخضار العفن والفواكه وما جمعه أكلوه على الفور. لقد انتقل من أيديهم إلى أفواههم.. بدأت النسوة يطبخن، والرجال جمعوا الأشواك والأعشاب الجافة، وأشعلت النيران.. وبدأوا يوزعون الخبز ويأكلونه وهو لا يزال حاراً (٢٥).

كما أراد "موشيه سميلانسكي" توضيح أن العرب غير جديرين بملكية الأرض ولا بزراعتها حيث يصف شخصية "عبد الله بن الشيخ العجوز" في قصة "عائشة:"

إنه شخص صغير ودميم، روحه شريرة مليئة بالغيرة والكراهية وانفعالاته العاطفية مبتذلة. إن عبد الله يلهث وراء النقود ويحسبها، ولا يمكن أن يكون محل ثقة، ولا يصون كلمته أبداً. إنه يصون فقط الكراهية تجاه أي شخص يعترض طريقه (٢٦).

ولم يقف المفكرون الصهاينة عند هذا الحد بل تمالأوا في تشويه صورة العربي، فيصف "إسحاق شامي" (٢٧) العربي في قصة "انتقام البطارقة" بالعنف "بدأ يفك في بطن زراير صدريته، وينزع الكوفية من حول عنقه البدين الذي اختفى تحت قفطان، فظهر صدره الأسود اللون، وكان شعره الأسود طويلاً خشناً.. وحينئذ حول جسمه العريض تجاه الباب المؤدي إلى الرواق"، كما يصف البدوي فيقول: "يمكنك أن تلمح جفاف الصحراء، ووهج الشمس في سمرتهم وجوههم المتجعدة، وتبرز أنوفهم الخطافية من بين أغطية الرؤوس الملونة كمناكير الطيور الحادة، وعيونهم متوهجة وكأنها كانت في النار (٢٨).

وإذا كان "موشيه سميلانسكي" قد وصف العرب بأنهم همجيون، وقذرون، ووصفهم "شامي" بالعنف وحدة الطبع فإن "إسرائيل زارحي" (٢٩) ووصفهم بأنهم جانحين أفضاظا، عديمو الشفقة ولا توجد رحمة في قلوبهم حيث يصف عرب إحدى القرى أثناء المعارك التي دارت بين الأتراك والقوات البريطانية في قصة "قرية السلوان" بقوله:

يدخل عرب القرى بين النيران ليحرقوا القتلى، وليسرقوا

الجثث فيقطعون الإصبع الذي به خاتم أو يأخذون السنة الذهبية من الفم (٣٠).

وهكذا فإنه يريد أن يصور الشخصية العربية الفلسطينية بأنها شخصية بشعة تتصف بالإجرام واللصوصية أما في قصة "انتقام الآباء" (٣١) فقد تركز اهتمام الأديب اسحق شامي على حالة البطل "أبو الشوارب" النفسية، كما تظهر في سلوكه وقد مثلت صفاته السلبية الموروثة منذ الولادة من جهة ووفاته من جهة أخرى، أساسين لذلك التصوير، وبينما يتابع القارئ حركة البطل الصاعدة منذ انتخابه زعيماً ثم امتلاكه للثروة والنفوذ، وحتى ارتكابه جريمة القتل هنا بعد وصول الأحداث إلى ذروتها، يبدأ هبوط البطل ويزداد انحداره ويفقد قوته حتى يصل مرحلة الانهيار الكامل والموت المحتم. كان أبو الشوارب أسير رغباته، التي كانت تسيره وتقيد عقلانيته ومسئوليته المعنوية، ولم يستطع أبداً الإفلات من تلك الرغبات كان ضحية الغباء الذي يؤدي إلى ظلام العقل الإنساني ويشل الدماغ.. "أصبح ضحية لمزاجه السريع العاصف (٣٢).

أما سكان المدن من الفلسطينيين فقلما نجد لهم ذكراً في الأعمال الأدبية على وجه الخصوص، أو في كتب المثقفين والكتاب اليهود من الرواد خاصة. وإن وجبوا فمن قبيل أن سكان المدن جميعاً مغرورون وسيئون، مراوغون ومخادعون، وهم بلا رحمة (٣٣).

وهكذا نرى أن الشخصية العربية سواء في المفهوم الإسرائيلي أو الفكر الصهيوني أو الأدب النثري العبري في بداية هذا القرن هي شخصية البدوي أو الفلاح، الجاهل المنحط، القذر، المتوحش، الذي تلتصق به كل الصفات السيئة وكل العادات الذميمة، وشخصيته أيضاً هي شخصية الإرهابي الذي يثير الرعب والفرع.

المسرح

معظم المسرحيات التي تعرض العربي في المسرح الإسرائيلي هي نصوص سياسية تجيز هذه الشخصيات لغرض طرح الأفكار الصهيونية. وعموماً فإن العربي في كل المسرحيات التي عرضت أو نشرت في تلك الفترة يظهر فيها "عبداً" (٣٤).

أن عملية "استيعاب" العربي في الدراما العبرية والمسرح الإسرائيلي فيما بعد كانت بطيئة ومتردة. وهذا هو ما تشهد عليه الإحصاءات بين الأعوام ١٩٤٨-١٩٦١ حيث ظهرت شخصيات عربية في ١٧ مسرحية وفي بعض مسرحيات الفصل الواحد وغالبيتها لم تعرض على خشبة المسرح وظلت في بطون الكتب والدرجات (٣٥). وفي هذه النصوص ظل التطرق إلى شخصية العربي في الحدود الدنيا.

إن الفكرة الأساسية التي دأبت الأيديولوجيا الصهيونية على ترويجها وزرعها في منابت رؤوس المهاجرين اليهود إلى فلسطين، هي أن فلسطين لم تكن سوى أرض قاحلة، خالية من السكان، و"قد تركزت النصوص المسرحية في هذه

الفترة علي الحديث حول شخصية البدوي "المتنقل"، وليس العربي الفلسطيني، مع التأكيد علي افتقار الروابط بين البدوي وبين أرضه، وبما أن البدوي يفتقر إلي الروابط القوية بالأرض فإنه يفتقر إلي الروابط القومية بالوطن" (٣٦).

ويشير "دان أوريان" (٣٧) إلي أن الفلاح العربي شخصية متخلفة ولا تستحق الأرض حيث يقول في هذا الصدد: "السمات الجماعية للعرب سلبية دوماً. الافتراض المستتر في المسرحيات يذهب إلي أنه بالإمكان التوصل إلي تفاهم وتعاون مع العرب كأفراد لكن من الصعوبة بمكان تقريب المجتمع العربي من المجتمع اليهودي. العرب هم مجموعة متخلفة مناقضة للعصرية اليهودية. إنهم دوماً إما فلاحون أو رحل وليسوا عرباً مدنيين (٣٨) ولا تنتهي اتهامات أوريان عند هذا الحد بل يسوق أدلة واهية يحاول من خلالها أن يبرر بها موقف كتاب المسرح حيث يقول "يجد المؤلف المسرحي إثباتات عديدة تسوغ تصوير المجتمع العربي بأنه مجتمع متخلف. لا توجد لديهم خدمات طبية وهم لا يعرفون حتى ما هي الوقاية الصحية. وفي مسرحيات مثل "نمر أبي زروع" لأهارون بولاك عام ١٩٤٢، التي تتظاهر بمعرفة المجتمع العربي القروي وتبدي وداً حيال ثقافته، فإنها تبدأ في أحد بيوت قرية عربية جميع من فيه يحكون جلودهم تحت وطأة لسعات البراغيث، الطب العصري يجلبه اليهود إلى المنطقة. وفي مسرحيتي "العين" ليعقوب يافيه عام ١٩٣٢ و"الحكمة" لشوليت بتدوري عام ١٩٣٩ يجلب اليهود المياه إلى المناطق المقفرة وينقذون الأولاد العرب من الأمراض، بينما العرب متسربلون بمعتقدات خرافية ومخاوف ويعارضون التقدم، الذي فيه رجس من عمل الشيطان" (٣٩).

الموقف الرائج في المسرحيات هو أن التقدم والثقافة والازدهار الاقتصادي، الذين جلبهم اليهود مع قدومهم، سيرجحون الكفة لجهة "تهويد" العرب أو على الأقل لجهة تحويلهم إلى أنصار للاستيطان. بعض مسرحيات العقدين الثالث والرابع هي ذات نهاية تسعى لعقد المصالحة مع الاستيطان في أرض إسرائيل. والمصالحة هنا عادة ما تكون ناتجة عن اقتناع الطرف العربي بالخيرات التي جلبها الاستيطان اليهودي (٤٠).

الشعر عبأت الصهيونية الفراغ الفكري بمغالطات فكرية مستعينة بلباقة الأدباء وبلاغتهم لخلق الأجواء القابلة لتلقي الإيحاء وقد أدرك هذه الظاهرة الكاتب الصهيوني "آحاد هاعام" وأصر في مقالاته على الوحدة الفكرية قبل الانتقال إلى استعمار الأرض حيث حدد وظيفة الأدب "بزرع بنور الأفكار والرغبات الجديدة (41)" ولم تظهر شخصية العربي بوضوح في تلك الفترة، حيث أن الأدب الصهيوني أهتم بالوقوف أمام التسامح بقوة منذ البداية مقاوماً أي

تطلع جدي لحل المشكلة اليهودية والهجرة إلى فلسطين حتى ولو سفح دم، وهذا يتضح في شعر الأديب "بياليك" (٤٢) الذي لا تخلو أشعاره بشكل عام من روح العنصرية اليهودية والاحتقار لسائر الشعوب غير اليهودية (الجويم) بما فيهم العرب. يتضح ذلك في قصيدة منبت شعب (٤٣) الشعب لا يتزحزح، لا يضطرب، لا يخاف عدوه، ليس أسداً غاضباً الأصوات لا ترعب.. والرجال رابطو الجأش وسط ذلك يخلق البطل يتحدى الجحيم.. قدرة الحياة يحطم أغلال شعبه ويسمو بهم رغبة القلب اشتياق كموج البحر تنتشر كالنار في الهشيم ولو سفح الدم هذا شعبنا يده العليا دائماً

صورة العربي في الأدب العبري في الفترة (١٩٤٨-١٩٦٧).

قبل ٤٠ يوماً من إعلان قيام دولة إسرائيل شنت القوات الصهيونية هجوماً شمل منطقة الساحل الفلسطيني والمناطق الأخرى الواقعة غرب القدس. وقد ارتكبت القوات الصهيونية العديد من المجازر والمذابح مثل (مجزرة سعسع، مذابح الرملة، مجزرة الدويمة)، ومذبحة "دير ياسين" (٤٤) الرهيبة، وفي نفس الفترة شنت القوات اليهودية هجوماً على مدينة يافا فسقطت ولحقتها حيفا وطبريا، وهكذا نجحت الحركة الصهيونية في إنشاء دولتها على معظم أراضي الساحل الفلسطيني. ونتج عن هذا اقتلاع حوالي ٣٠٠ ألف مواطن فلسطيني من مدنهم وقراهم (٤٥).

وفي يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ كان (دافيد بن جوريون) رئيس أول حكومة مؤقتة لإسرائيل، يعلن عن قيام الدولة اليهودية في أرض إسرائيل.

شهد الكيان الإسرائيلي بعد عام ١٩٤٨، مجموعة من التغيرات الديمغرافية الجذرية التي أثرت بدورها على عمليات الاستيطان اليهودي في فلسطين، فأصبح الإرهاب والقتل الجماعي وهدم المنازل وتدمير القرى وتشريد السكان العرب ومصادرة الأراضي سياسة إسرائيلية رسمية معلنة.

بالرغم من الانتصار الذي حققه الجيش الصهيوني وفاجأ به الجميع إلا أن التفاخر بهذا النصر لم يكن هو النتاج الأدبي شعراً أو نثراً بعد حرب ١٩٤٨. لقد كان الموضوع الرئيسي تقريباً فيما عدا إستثناءات الأدب المجند (٤٦)، هو تخططات ومعانات المحارب الصهيوني الذي وضع بواسطة مخططات الصهيونية أمام اختيار صعب إما أن يتراجع عن فكرته ويأتي من حيث أتى، وإما أن يواصل ويخوض حرباً دموية إنساناً ضد إنسان وشعباً ضد شعب، لذلك فقد أصبح العالم الداخلي والفرداني لدى الجندي الإسرائيلي بكل صراعاته هو الموضوع الرئيسي لأدب حرب ١٩٤٨ (٤٧).

الرواية والقصة القصيرة

بالرغم من أن الأدباء قد تميزوا في كتاباتهم بوجود عقدة الإحساس "الزائف" بالذنب لما أحدثوه من طرد وتشريد وقتل العرب إلا أنهم تمالوا في تشويه صورة العربي الفلسطيني وتحقيرها، وإظهارها في صورة بشعة متوحشة تجسيدا للرؤية الصهيونية للشخصية العربية التي ترى بأنها شخصية تحمل قدراً هائلاً من الرغبة في الانتقام والوحشية والتعطش للدماء وهذا نراه مثلاً في قصة (خربة خزعة) للكاتب "يزهار سميلانسكي (٤٨) حيث يقول "جابي" أحد الجنود الذين اشتركوا في احتلال القرية ليأخذهم الشيطان "العرب سكان القرية" كم لديهم من الأماكن الجميلة. لو كان رجالنا "اليهود" أصحاب هذا المكان لقاتلوا قتالاً وأي قتال هؤلاء يهربون، بل أنهم لا يحاولون القتال .. ويجيبه آخر .. : دع هؤلاء العربوش (٤٩)، أنهم ليسوا رجالاً (٥٠).

كما يصور الطفل العربي الصغير حين يكبر ويكون رجلاً بأنه سيكون مثل الحية السامة وذلك على لسان "شلومو ويهودا" : " رأينا كذلك ذلك الشيء الذي كان يدور، والذي لا يمكن أن يكون حين يكبر إلا حية سامة، ذلك الذي هو الآن (٥١).

أما في قصة "الرسام والراعي" فإن "يوسف أريخا" (٥٢) يبين سبب القلق الذي كان يعيش فيه الرسام بعد أن تركه الراعي قائلاً :

كان يتوقع أن يرى خلف ظهره خنجراً مصقولاً، وعينين فيهما القتل، وقدمين حافيتين لينقلا الراعي من الكمين رويداً رويداً كحية مفترسة (٥٣).

ويصف "مردخاي طيب (٥٤) الشباب العرب في قصته "قيثارة يوسي" قائلاً :

" فإن يوناه اليوم كما هي ضعيفة وواهنة جسدياً ونفسياً، أما هؤلاء الصغار الذين يثيرونها فإنهم متوحشون بطبيعتهم (٥٥).

وحرص الأدباء الإسرائيليون أيضاً على أن يظهروا العربي الفلسطيني في صورة المتسلل واللص ورجل العصابات وذلك حتى يبرروا لأنفسهم مطاردته، ومعاملته بقسوة وعنف وطرده من أرضه، وقد تكررت هذه الصورة كثيراً في كتابات الأدباء الإسرائيليين مما يؤكد شيوع المفاهيم الخاصة بتشويه صورة العربي الفلسطيني فنجد أن "س. يزهار" يتحدث في قصة "خربة خزعة" عن التعليمات التي تلقاها من قيادته :

ولا يمكن تقدير هذه الخاتمة النزيهة حق قدرها إلا بعد أن تعود إلى البداية، وتستعرض فيما تستعرض ذلك البند الموقر "معلومات" الذي سرمان ما يحذر من خطر متزايد لـ "متسللين" و"نوى عصابات (٥٦).

أما "ناتان شاحم (٥٧) فيصف أحد الشباب العرب في قصة "تراب الطرق" قائلاً "شاب نحيف قدر، ولكن كتفيه

عريضان، وعلى رأسه قبعة عسكرية قديمة (٥٨). كما يصف الشباب العرب عندما كانوا يصعدون على العرب ويلعقون المربي :

كانوا يقفزون على العرب، ويلعقون المربي التي تسيل على حروفها، كان "كفتوروفيتس" يقذفهم بالشتائم، ويهددهم بالسوط، ولكنهم التصقوا بالعربة كالذباب . ثم يصفهم مرة أخرى :

كانوا يجرفون بأصابع قدرة ذلك الطين العكر من فوق العربَة ويضعونه في أفواههم (٥٩).

وفي قصة "على سن الطلقة" يتحدث "اسحق أوزبار" (٦٠) عن "إبراهيم" عندما ذهب ليخطب الفتاة التي أحبها فيقول :

ذهب يطلب يدها ولكن أباه طرده كالكلب (٦١) ونفس الشيء نجده في قصة "أبو يوسف" حيث يذكر "حبيب هزاز" على لسان "أبو يوسف" وهو يوجه كلامه إلى المساجين بعد أن قص عليهم قصة الرجل الذي عطف على الكلب فأثابه الله على ذلك :

"أنهى" أبو يوسف "كلامه وقال نولكن أنتم يا أولادي اعطفوا على كلب مريض مثلي حتى تنالوا العطف في العالم الآخر (٦٢).

ليس غريباً أن نجد إشارة الأدباء الإسرائيليين إلى الأعمال التي يقوم بها العرب منصبة على نمطي البدوي والفلاح وحتى إذا تخطت الإشارات حدود هذين النمطين فإنها لا تخرج عن الإطار العام لهما . فإذا كانت الإشارة إلى عربي يعمل في مجال التجارة - نجده يعمل في تجارة الغلال الزراعية التي ينتجها الفلاح من الأرض، أو أعمال القطف والانتقاء والتعبئة التي ترتبط بالزراعة، وإذا كانت الإشارة إلى عربي يعمل عملاً يدوياً - نجده لا يقوم إلا بالأعمال الحقيمة المضيئة التي لا يقوم بها عادة إلا الأعراب البدو في المناطق التي يتمركزون فيها (٦٣) ففي قصة "الحاج إبراهيم" يصف "أشر براش" (٦٤) عمل "الحاج إبراهيم" فيقول :

محله، محل الخضراوات لم يكن إلا مخزناً كبيراً خالياً، بابه المزدوج والمرتفع مغلق ويقوم على عتلتين كبيرتين من الحديد، وهو نفسه يجلس على عتبة حجرية (٦٥).

وإشارة إلى ما يسمى بالأعمال التافهة أو الحقيمة التي يقوم بها العرب يقول "أهارون ميجد (٦٦) على لسان "سليمان" في قصة "الكنز" :

أخذت زوجتي والأولاد على الجمل وذهبت، وأخذت هي تجمع السيقان وتشعل النيران لتخبز، بينما نحن نجلس في السقيفة ونشرب القهوة.

ثم يقول على لسان "سليمان" أيضاً عندما تخيل أنه يجلس مع زوجته في المنزل :

هناك كانت "أمينة" تهف القمح . هنا كانت تخبط لتنقي

العدس (٦٧).

ويقول "يوسف حناني (٦٨) في قصة "مزمار أحمد" عن "أحمد:"

إنه يسكن في العزبة المجاورة وهو ذاهب الآن إلى أمه التي تعمل في الموشافاه عند اليهود (٦٩).

والمقصود هنا أن "أم أحمد" تعمل خادمة لدى اليهود، وهذا من سلسلة الأعمال الحكيمة التي ينسبها الأدباء الإسرائيليون إلى عرب فلسطين والتي كانت شائعة أيضاً لدى أكثر من كاتب حيث نجد أن "أشر براش" يقول على لسان "صفية" في قصة "صفية المسيحية" "أنا وزوجتي نعمل بالسمسرة فقط . ففي الحقيقة كل هذا المحصول ليس ملكنا . العرب يحضرون لنا عينات أو عدة عبوات ونحن نبيع ما عندهم (٧٠).

المسرح

بين السنوات ١٩٤٨-١٩٦٧ زاد عدد الأعمال المسرحية إلى ٢٦ نصاً مسرحياً (٧١) جرى التطرق فيها إلى العرب من باب الإشارة أو التلميح فقط وفي القليل منها ظهرت شخصيات عربية جميعها في أدوار ثانوية، حيث أصبحت "المسألة العربية" في حكم المواضيع الغائبة وفي مجموعة المسرحيات المكتوبة خلال مرحلة كتاب "جيل الدولة" ظهرت الشخصيات العربية فقط في مسرحية واحدة هي "إنهم يصلون غداً" لنتان شاحم (١٩٥٠) وكانت شخصيات شاحبة بلا أسماء ومن غير "هوية فردية".

ففي هذه المسرحية نلتقي بعربيين أسرتهم القوات الإسرائيلية المحاصرة في تل محاط بأراض مزروعة بالألغام ..

جونى:

- دعك من المزاح ! هل حكوا لك شيئاً ؟

أليكس:

- أبداً .. إذا لم يتكلم العربي بعد أول لكمة في وجهه فلن يتكلم البتة . لا فائدة ترجى من استمرار التحقيق معه . ولا أريد أن أفتح دكاناً للجزارة هنا .

جونى:

- وماذا فعلت مع هذين الاثنين ؟

أليكس:

- لا شئ .. أصدرت الأوامر بالقضاء عليهما.

جونى:

- يصرخ (يا أبله) ! يهدأ قلبلاً (أرجو أن تسامحني، أي غباء ! هل تم القضاء عليهما "

أليكس:

- كلا، لقد سلمتهما إلى جدعون.

جونى:

- يصرخ عبر النافذة (يا جدعون، أرسل الاثنين إلى هنا، وتعال أنت) . لأليكس من قال لك لا أبغي القضاء عليهما ؟ قصدت أنه لا يقضى على عربوشين هكذا ونحن في مثل هذه الحالة . إنه تبذير، هل تفهمني ؟ إنه تبذير .. شخصان يعنيان لغمين على الأقل .. هكذا تسير الأمور عندنا . يوجد ستة ألغام فيبقى أربعة !

وبالرغم من أن الكاتب هنا يحاول وصف المعاملة الغير آدمية التي يتلقاها العرب على أيدي الجنود الإسرائيليين إلا أن المسرحية لا تخلو من وصف الشخصية العربية بالسلبية والتخلف والاستسلام .

الشعر

في أعقاب الحرب الإسرائيلية ١٩٤٨ نُشرت كتابات ينضج منها التعطش للدماء والدعوة إلى مزيد من الحروب لضمان الوجود الإسرائيلي وحماية أمنه، وإسكات العرب إلى الأبد وبالرغم من ذلك نجد أن اتجاهات الشعر الإسرائيلي في تلك المرحلة كانت تنعي الموتى الذين سقطوا في الحرب فلقد خسرت إسرائيل في حرب ١٩٤٨ ستة آلاف قتيل (٧٢) وتحول الشعر من الرومانسية إلى شعر يحمل معاني الصدمة القوية التي واجهها الشعب الإسرائيلي في مواجهة الموت.

صورة العربي في الأدب العبري (١٩٦٧-١٩٧٣)

أسفر العنوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧ عن احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان وشبه جزيرة سيناء، وتجسد الإرهاب والتمييز العنصري الصهيوني ضد سكان المناطق العربية المحتلة في سياسة الضم الزاحف والقبضة الحديدية ومخططات خلق الوقائع الجديدة، والتي استهدفت في مجملها تقطيع أوصال المناطق المحتلة والتضييق على سكانها ودفعهم لمغادرتها والهجرة منها لزرعها بالمستوطنين الصهاينة وتهويدها.

شكلت حرب ١٩٦٧ من نواحي معينة تغييراً هاماً فيما يتعلق بالموقف من العرب الفلسطينيين لم يكن ملموساً من قبل، فلقد أثرت الحرب بصورة مفاجئة تأثيراً مزدوجاً على المجتمع الإسرائيلي . حيث أثارت مشاعر متطرفة وأساطير دينية قومية بين قطاع من الإسرائيليين الدينيين، بينما أثارت لدى قطاع آخر "خاصة بين نوي الوعي والمثقفين" ما يمكن أن نطلق عليه أزمة ضمير، أو عقدة الإحساس بالذنب . فقد ينمو بعد الحرب مباشرة وعي واضح بأن إسرائيل بتعريتها للعرب في أثر الهزيمة قد أخذت على عاتقها على الأقل قدراً من المسؤولية الأدبية عن مصيرهم. لقد خلق إحساس لدى الكثيرين من الشباب الإسرائيليين

بالشك تجاه القضية التي يموتون من أجلها لأنهم يموتون من أجل شيء قائم أساساً على الظلم . حيث انطلقت في إسرائيل نداءات حماسية بذل جهود فورية من أجل توطين اللاجئين الفلسطينيين الذين أصبحوا للمرة الأولى منذ عام ١٩٤٨ تحت حكم إسرائيل (٧٢).

الرواية والقصة القصيرة

النموذج الذي سنسوقه للتدليل على عقدة الإحساس الزائف بالذنب في الوعي الإسرائيلي، قصة "في مواجهة الغابات" (١٩٦٨) (٧٤) للأديب الإسرائيلي "أ. ب. يهوشوع" (٧٥). وتحكي هذه القصة التي يدور محورها حول جذرية الوجود العربي على أرض فلسطين، والتشكيك فيما يسمى "الحق اليهودي" في فلسطين كواحد من التعبيرات عن عقدة الإحساس بالذنب حول طالب إسرائيلي يحصل على وظيفة حارس لغابة صغيرة أقامها "الصندوق القومي الإسرائيلي" ، وذلك حتى يستطيع الاندزال لينتهي من أطروحته التي كلفته بها الجامعة عن الحملات الصليبية . وقد أقام في الغابة كشك صغير بالقرب من عربي أخرس "مقطوع اللسان" يعيش مع طفلة الصغيرة، ويكتشف الطالب أن الغابة مغروسة على أنقاض قرية عربية مهجورة، كانت هي قرية العربي الأخرس . كما يكتشف أن العربي يدبر خطة لإحراق الغابة، ويتضح له أنه يجمع صفائح النقط لهذا الغرض. وهنا نجد أن الطالب الإسرائيلي يساعد العربي من أجل تحقيق مآربه . وينفذ العربي هدفه ويقوم بإحراق الغابة، ويرفض الطالب الإسرائيلي الإدلاء بالشهادة ضده، ويقوم في نفس الوقت بالاهتمام بمصير ابنة العربي بعد أن اعتقلته السلطات الإسرائيلية، يعود الطالب الإسرائيلي إلى المدينة دون أن يكمل أطروحته، بينما مشاعر الانحطاط والدونية التي هجر المدينة بسببها قد ازدادت لديه بسبب الموقف السلبي الذي وقفه منه المسئول عن الغابات، وبسبب إنكار رفاقه له لأنهم اعتقدوا أنه سينتهي من أطروحته ويكف عن أن يكون طالباً أبدياً .

وفي جانب آخر تابع الكتاب الإسرائيليون وصف العربي بأنه غير متحضر وساذج وغبي ومتخلف وهو يعيش في وسط تنتشر فيه الأمراض.

فيقول عاموس عوز (٧٦) جاء المرض من الصحراء متقللاً بلعاب الحيوانات المهمة التي لا تخضع لأية مراقبة بيطرية، ومع أننا أخذنا الاحتياطات اللازمة مسبقاً إلا أن المرض أصاب أغنامنا وأبقارنا وفنك ببعضنا (٧٧). وهنا يظهر عاموس عوز جهل العربي وإهماله العناية بحيواناته؛ مما يؤدي إلى إصابتها بمختلف الأمراض. هذا إلى أن العربي لا يعرف الفرق بالحيوان، على عكس غيره من الناس الذين ينتمون إلى الشعوب المستنيرة التي تحيط الحيوان بصنوف العناية والرفق.

ويصف العربي قاتلاً:

- أنهم يشتمونك بعبارات متقلعة يخنقها الغضب أو الشهوة

الداكنة .. وأيديهم تعبت على جسدك وكذلك السكين .. ومن ثم الصرخة (٧٨).

أما " موشيه شمير (٧٩). فيعرض علينا صورة ساخرة عندما يحكي كيف يستحم العربي وينظف جسده . فعند حديثه عن صياد سمك عربي يستحم يقول : مازلت أذكر تلك الساعة عندما راقبت عامل البحر العربي وهو يغتسل. لقد فتح صنبور المياه، وأدخل قليلاً من الماء إلى فمه، ثم أدخل أصابع يده في فمه وأخذ يفرك أسنانه . ثم تناول بعد ذلك حفنة من الرمل والوحل وأخذ يفرك بها جسده لمدة طويلة (٨٠). وشمير في هذا يريد أن يصف العربي بأنه متأخر أيضاً حتى في نظافة جسده، فهو لا يعرف فرشاة الأسنان، ولا المعجون، ولا يعرف كذلك الصابون ويستعير عنه بالوحل.

المسرح

كانت من الظواهر الجديرة بالرصد في الواقع الإسرائيلي في أعقاب حرب ١٩٦٧، شيوع ظاهرة المسرح الغنائي الانتقادي الساخر . فقد كان المأمول لدى قادة إسرائيل أن يأتي قادة العزب إلى إسرائيل راكعين طالبين السلام بلا شروط، ولكن طالت فترة الانتظار ولم يحدث ما توقعه قادة إسرائيل، وهنا بدأ الإحساس يعم نوي الوعي من أدباء إسرائيل بأن دائرة الحروب المغلقة التي تخوضها إسرائيل لن تمنحهم الأمن والسلام أبداً . وتعتبر المسرحية الغنائية " أنت وأنا والحرب القادمة " لحانوخ ليفين (١٩٢٤) الكاتب المسرحي الإسرائيلي انعكاساً لهذه المشاعر التي سادت قطاعاً عريضاً من الإسرائيليين الذين سئموا الحروب وسقوط الضحايا (٨١).

إن المشهد الأول الذي يحمل عنوان " استعراض النصر لحرب الإحدى عشر دقيقة " هو عبارة عن خطبة ساخرة على لسان قائد عسكري إسرائيلي يتباهى فيه بالنصر الذي حققه برجال لوائه الذين لم يعودوا من ساحة القتال.

العميد : أيها الجنود وقادة اللواء، رفاق السلاح الأبطال، وأبنائي وأبائي ! منذ إحدى عشرة دقيقة خرجنا جميعاً، كرجل واحد، وقلب واحد لملاقاة العدو، خرجنا للدفاع عن سيادة دولتنا . لقد نازلنا عدواً أكبر منا وتغلبنا عليه بفضل الروح التي تخفق في قلوبنا . وفي خلال إحدى عشر دقيقة نجحنا في أن ندمر، ونبيد، ونشتت، وننوس، ونحطم، ونقطع، ونقتلع، وننسف ونقضي على عدونا (٨٢).

الشعر

شهدت فترة حرب الاستنزاف مجموعة من ردود الفعل العارمة التي اجتاحت كل قطاعات المجتمع الإسرائيلي بشتي فئاته مطالبة بوضع حد لهذه الحروب لتفادي الموت وزيادة عدد القتلى حتى لو تطلب هذا السلام مع العرب وبأي ثمن، وقد نشرت الملاحق الأدبية للصحف العبرية العديد من الدواوين التي توضح مدى الإحباط النفسي الذي عم جيل الشباب الإسرائيلي بسبب الحرب (٨٣) فعلى سبيل المثال : تقول الشاعرة . " حدفا روتام " في مرثيتها

التي نشرت في جريدة معاريف بتاريخ ٢٧-٢-١٩٧٠
أنت لا تسمع إلا صرخة
ولا ترى إلا وجوها ليست موجودة
ولا تشم إلا رائحة القبور

لذلك أركض مستقيماً على ظهري
وانتظر أن تأتي
لتسد فتحات أنفي
ولتضع أحجار صغيرة في عيوني
أحمل التراب بقدر وزنك
وأهله علي - أمين

صورة العربي في الألب العبري في الفترة (١٩٧٣-١٩٧٨)
رأى قادة إسرائيل بعد حرب الأيام الستة أن هذه الحرب
قد أنهت جميع الحروب بين العرب وإسرائيل ويجب على
العرب طلب الاستسلام وليس السلام (٨٤).

وفي السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ذاق الإسرائيليون لأول
مرة منذ إقامة دولتهم مرارة الهزيمة، لقد حطمت الحرب
بالنسبة إلى الإسرائيليين "أساطير" عديدة منها "إمكانية
المحافظة على الوضع الراهن الناجم عن حرب الأيام الستة"
و"الاستخفاف بالرأي العام العالمي" و"الثغرة الأبدية" بين
القوى العسكرية الإسرائيلية والقوة العربية، لقد ساد في
إسرائيل بعد الحرب مشاعر القنوط والكدر على الحكومة
الإسرائيلية، كما صب الأدباء جام غضبهم على العرب.

الرواية والقصة القصيرة

وصف أدباء إسرائيل العرب بأنهم متوحشون مجردون من
كل القيم الإنسانية ولا يراعون مشاعر الآخرين سواء الدينية
أو الاجتماعية، ومثالا علي ذلك ما ورد في قصة (افرات)
للكاتب والناقد "يهود بن عيزر (٨٥) وفيها يسرد حوادث
وقعت في منطقة صفد سنة ١٩٢١ بين العرب واليهود،
فيذكر أن العرب قاموا بأعمال وحشية، جعلته يتصور
العربي كائناتاً حياً لا يعرف الرحمة ولا الشفقة، فالقتل
والإجرام غريزة من غرائزه، وهواية من هواياته. وأشهر ما
لديه لون الدم الأحمر القاني.

يقول في قصته : أن العرب باغتوا اليهود واعتدوا عليهم
كالحيوانات المفترسة، وأخذوا يسرقون ممتلكاتهم ويقتلونهم.
(٨٦).

"إن علياً هذا كان يربط ابنته، التي رفضت الزواج من رجل
غني يكبرها إلى جذع الشجرة حتى تقبل الزواج منه رغم
أنفها وفي هذا يظهر لنا تمون علياً فظ القلب يرضى لنفسه
أن يبيع ابنته بالمال دون موافقتها لرجل يبلغ من العمر ثلاثة
أضعاف عمرها (٨٧).

هذا ملخص لقصة (افرات)، لكن لم يذكر لنا صاحب القصة
الدوافع التي دفعت العرب ليقترفوا مثل هذه الجرائم.
كما ظهرت صورة العربي في تلك الفترة أيضاً على أنه

متخلف لا يعرف التصرف وأنه بعيد عن النظافة والتحضر.
حتى "أ.ب. يهوشوع" المعروف بعلاقاته العديدة مع الكتاب
والشعراء العرب ساهم أيضاً في تشويه صورة العربي،
فمثلاً في رواية (العاشق) نجد العجوز توجه حديثها إلى
نعيم تعال ورجيني إذا ما جبيليش بق (٨٨). وعندما ترى
بيجامته تقول له من أين سرقت هذه البيجامة أي أن هذه
العجوز ترى في العربي لصاً، وتضيف أنه يهرع إلى سريره
دون أن يزيل الأوساخ التي علق بجسمه .. ولكنها تثور
عليه قائلة.. حرام عليك يا ولد ..نحن لسنا في مكة ..اغتسل
قبل الدخول في سريرك (٨٩).

ونلاحظ في العبارة السابقة أن العجوز تلقي تعاليمها
الدينية المتحضرة حرام عليك يا ولد علي العربي، وفي نفسه
الوقت تسيئ إلى التعاليم العربية "الإسلامية..". لاحظ مكة،
وكأنها تريد أن تقول لسنا في مكة حتى تظل متسحاً مثلما
تعود أهلها.

وتعتبر هذه العجوز عن ارتياحها لأن ذلك العربي تعلم منها
فيما بعد أن يذهب ليغتسل قبل النوم متباهية عليه لأنها
نقلته نقلة حضارية كبيرة.

المسرح

منذ أوائل السبعينيات حدث تحول هام في توجه المسرح
الإسرائيلي إزاء شخصية العربي، حيث ظهرت شخصيات
عربية في ٣٠ مسرحية إسرائيلية (٩٠)، معظم هذه
الشخصيات لعبت دور مركزي جعل المشكلة التي يمثلها
الموضوع الأكثر أهمية في المسرحيات. ويظهر هذا التحول
في المسرحية الساخرة "ملكة الحمام" لحانوخ ليفين، التي
حاولت تسخيف وتعرية "الزهو القومي الزائد للإسرائيليين
وتغاضيتهم عن الآخر العربي"، حسبما يؤكد أوريان (٩١).
ومسرحية "ملكة الحمام"، التي أوقف عرضها بقوة
المعارضة الرسمية والشعبية، اشتملت على مشهد بعنوان
"سمطوخة" قدم خلاله المؤلف شخصية العربي من خلال
النظرة الإسرائيلية الراجحة له.

ومحاور المشهد الذي يطرحه "ليفين" عبر هذه المسرحية
ليقدم لنا الرؤية الساخرة للموقف اللإنساني الذي ينظر به
الإسرائيليون إلى الفلسطينيين كشعب وهي:

أن الفلسطيني برغم كونه إنساناً طبيعياً إلا أن اليهود في
إسرائيل ينظرون إليه كمخلوق أدنى منهم، لا يستحق أن
يكون آدمياً من حيث كون اليهود هم الأدميين الحقيقيين،
بينما سائر البشر، ومن بينهم هذا الفلسطيني يقعون في
المرتبة الأدنى منهم. وهو يريد أن يؤكد وجود تلك العنصرية
اليهودية التي ثبتها الفكر الديني العنصري التلمودي على
اعتبار أن اليهود هم "شعب الله المختار"، وأن سائر البشر
هم في مرتبة الحيوانات.

السيدة طوفلا والسيدة يوفيل جالستان في مقهى على
الرصيف. سمطوخه يجمع الأواني القذرة من الطاولات

طوفلا:

هذا هو سمطوخه . إنه عربي . ذكي ومطيع ولا يضر اليهود . يعرف أن يقف على رجلين مثلنا تماماً . سمطوخه ، أرمهم كيف تعرف الوقوف على رجلين .

سمطوخه ، الواقف أصلاً على رجلين ، لا يتحرك

طوفلا:

(تأمره) قف على رجلين يا سمطوخه ! على رجلين ! (ليوفيل) هل ترين كيف يقف على رجلين ؟ إنه يهوى ذلك كثيراً . فهذا يعطيه شعوراً بأنه مثلنا تقريباً . فقط في المنزل يضطر سمطوخه للمشي على أربع ولا يفعل ذلك بإرادة منه وإنما ببساطة ، بسبب ارتفاع السقف .

أما الموقف الثاني ، فهو أن الفلسطيني إرهابي أيا كان " العربي هو العربي " ويستحق الضرب وتكسير العظام والمعاملة بلا رحمة طالما أنه يقتل الإسرائيليين بعملياته الإرهابية . (يمر في الشارع صديقان هما شلفا ومنوحا . يتوقفان)

شلفا:

هاهو ذا سمطوخه يقف في الخارج . ماذا سيحصل يا سمطوخه ؟ بالأمس قنبلة في المجمع التجاري واليوم في مكاتب مسرح " الكاميري " . وماذا بعد ؟

(فترة صمت قصيرة)

منوحا:

تعرف أن لا علاقة له بالقنابل .

شلفا:

طبعاً . لكن إذا كنت رجلاً بدائياً فمن الصعب علي أن أميز بين عربي يضع القنابل وبين عربي لا يضع القنابل . العربي يظل عربياً . لسمطوخه تعرف أنه بمقدورنا ضربه إذا ما رغبنا في ذلك . صحيح ؟ فترة صمت قصيرة تعرف أنه بمقدورنا تهشيم عظامك أم أنك لا تعرف أنه بمقدورنا تهشيم عظامك ؟ اليهود شعب متحضر أما العرب فهم جهلة متخلفون ..

شلفا:

عينان . له عينان هذا البنون " ابن العاهرة " . لا يهمني أن تكون له عينان . لكن ليته يقدر ذلك . يعتقد بأن ذلك طبيعي ويقول في قرارة نفسه : ما وجه الغرابة في أن تكون لي عينان ؟ ولا يخطر على باله أننا شعب حضاري وإنساني ولكوننا كذلك لا ننقر له عينيه بعد تفجير مكاتب المسرح .

الاستهانة بالمقسات العربية " الإسلامية .. "

شلفا:

أنا متأكد أنه لا يتذكر حتى كيف تبدو مكة .

منوحا:

تعال يا سمطوخه وقل له كيف تبدو مكة وننتهي من ذلك فترة صمت قصيرة . هيا ، كيف تبدو مكة يا سمطوخه ؟ (فترة صمت قصيرة)

شلفا:

ألم أقل لك ؟

منوحا:

(يختنق صوته) يسألونك يا سمطوخه كيف تبدو مكة ؟

سمطوخه:

تبدو مكة مثل أختي ، كلانا خرج من الثقب نفسه .

إن الفلسطينيين ، في النهاية يجب أن يقوموا بخدمة الإسرائيليين ، لأن هذا هو ما خلقوا له . يوفيل :

بوصفي أم لثلاثة أبناء أحدهم جندي محارب ، وابنة لأبوين نجيا من " النكبة " من حقي أن أقول : لا توقعوا الأذى بالعربي ، لأن هناك الكثير من الأقداح المتسخة في المطبخ ، كما أن زوجي مقاول وفي حاجة إلى أمثاله من الأيدي العاملة الرخيصة لكي يبني لكم شققاً سكنية ذات حجرتين ، وذات حجرتين ونصف ، وذات ثلاث حجرات ، وذات أربع مع تدفئة مركزية وتجهيزات تليفونية - أقول لكم هذا لأنني أم لثلاثة أبناء أحدهم جندي مقاتل ، وابنة لأبوين نجيا من النازي .

طوفلا:

أوكي " سمطوخا " . بهذا نكون قد انتهينا اليوم ، تستطيع الآن أن تعود إلى المطبخ ، وبوسعك أن تعود الآن إلى المخزن ، وسنطلبك إذا اقتضت الحاجة يبدأ " سمطوخا " في الانصراف .. على قدمين يا " سمطوخا " على قدمين ! هوب ، هوب ، هوب تضحك السيدة مع السيدة يوفيل مثلنا تماماً .

غالبية الأعمال المسرحية الإسرائيلية الأخيرة ، وإن نجحت في إثارة المسألة العربية أو الفلسطينية ، لم تتخلص من اتجاه القولية حيال شخصية العربي .

ويشعر الكاتب الإسرائيلي المعجب بالفكرة الصهيونية بأن وجوده على هذه الأرض يتناقض أساساً مع وجود العربي أو يدرك على الأقل أن ذلك يتم على حساب العربي . من هنا يبدأ الصراع الحاد مع ذاته من جهة ومع ذلك العربي من جهة أخرى . وإذا ما اتخذ هذا الصراع اتجاه التعاطف مع العربي " وهو عادة ما يحدث " فإنه يبقى تعاطفاً رومانسياً يتجاوز الواقع التاريخي أو يتجاهله .

الشعر

أعلنت المؤسسة العسكرية الصهيونية بأنها ستدافع عن

مصالحها وأطماعها، وستجد إمكانية للحد من نشاط المقاومة العربية في الوقت الذي تفرض فيه القيود على مغادرة المستوطنين التي أصبحت مغادرتهم ضرورة ملحة للبقاء على حياتهم .. بإيهاهم مجدداً أن العرب هم الأعداء وليست التعاليم الصهيونية التي زجتهم في المشاكل . ولكن إثارة العداء ضد العرب لا يحل مشاكل المستوطنين برأي عالم النفس الصهيوني "سمي دفيني" الذي يقول "إن سبب الأزمات التي يعاني منها السكان بسببنا نحن وذلك بالجوء إلى تلقين الأبناء أن العرب أعداؤهم (٩٢) .

القوة العربية المتنامية الأصلية باتت كوابيس تجثم على صدر المستوطنين فحين تكبر القوى العربية تضعف القوة الصهيونية كما يصورها الشاعر حاييم ريبنزون (٩٣) .

حمامة فوق النهر أنت

مكسورة الجناح

اسمك على المياه

يتلاشى وإياك

كل المقربين

ولكن بعد زيارة السادات إلى القدس والدعوة إلى السلام ظهرت هناك تيارات مختلفة في الشعر حيث ارتفع مؤشر معنويات المستوطنين، فالانتصار الذي حصلوا عليه كان دون ضحايا، فقد كتب "ديدي منوسي (٩٤) قصيدة بعنوان "الرياضة الأسبوعية" مسجلاً الشروط الصهيونية ومؤكداً أن هذا الحدث انتصار لم تستطع القوات الصهيونية العسكرية تحقيقه :

لنتنفس الصعداء

فإذا لم نكن نعيش حلماً فلنقيد كل شروطنا

ومتطلباتنا

بتأكيد عدم الفصل

(بين ما نريد وما نأخذ)

وهناك تيار آخر اتضح فيه أن مظاهر الاحترام لدعوى السلام ما هي إلا وسيلة لامتناع ما يمكن امتناعه والسطو ما استطاعوا، حيث انبثقت تطلعات جديدة إضافة للتطلعات القديمة التاريخية "بروتوكولات حكماء صهيون"، تؤثر السبل للسيطرة الاقتصادية على جميع "الأغيار" وربما يكون "ديدي منوسي" أكثر تعبيراً عن هذه الأطماع بحكم علاقته العميقة "بالهستدروت" وجريدة "يديعوت أحرونوت" التي قلما يخلو عدد منها من نشر نتاجه فهو يقول في قصيدة بعنوان "التنديد السيمفوني (٩٥) .

قال رئيس الحكومة .. لكل المخلصين المساعدين

على ماذا يدل كامب ديفيد .. أعلى الملك داوود ؟

العلم الجبار .. والملك الإمبراطور

فأنا ميال للحنو .. على نهجه

قال وزير الخارجية .. بأساليب ملوية

إذا كنت مجنوناً .. فلن تكون اتفاقية

فهل أنت معتوه ؟

الآن والماضي .. لتتشد الاتفاق الإيجابي

قال وزير المالية .. لندخل الاستحقاقات

(بسرعة)

لتخفيف الكأس .. نماذج كثيرة

أعيدت .. طلباً للنزاهة

وإضافة الصحراء .. على قائمة سادوم

الصفيف الآتي من سيناء .. والطور

معاناة كعقوبة سيناء .. لا تخضع للشك

والعيب .. وربما تقرأ الحزن هذا

بين الأمم .. فلا تراه

الاغتصاب هو هدف "بيجن" وقصده . أما وزير الخارجية

فلم يحلم أن تحقق وزارته مثل هذا الكسب للأطماع

الصهيونية، كما تبلورت خلال المفاوضات مشاعر التعالي

من جديد :

في الذكرى الخامسة للحرب

ذهب البكاء

الناس لا يكون

الأعين لا تدمع

في السنة الخامسة للحرب

الآخرون أصبحوا

كنيع نضب

كجذع شجرة

عارية (٩٦)

ومن هذا السرد لصورة العربي في الأدب العبري الذي

تتبعناه منذ بداية هذا القرن وحتى عام ١٩٧٨، اتضح لنا

سوء النية والنيل المسبق للشعور بالغضب في الفكر

الصهيوني والإسرائيلي الذي استغل العداء الأدبي في

مسخ وتشويه صورة العربي ونعته بأسوأ نعوت المعجم

العبري، وبالرغم من ظهور مجموعة من الأدباء والمثقفين

الذي تعاطفوا مع العرب من خلال الإحساس الزائف بالذنب

إلا أننا نجد أن موقفهم السياسي والأدبي لم يتخطى حاجز

الوعي لديهم .

- (1) لشامي، رشاد (دكتور: عجز النصر الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١١ .
- (2) راديكالية : كلمة لاتينية قديمة معناها جذر النبات " . الراديكاليين " الذين يردون الوصول بالأمور إلى أقصى أطرافها، انتقلت إلى السياسة ثم إلى علم الاجتماع وأحياناً الفن والنقد وشاع المصطلح بعد ذلك على المتطرفين من أي اتجاه .
- (3) الهاسكالا : حركة التنوير اليهودي، والنهضة الثقافية التي بلغت أوجها في أوروبا في القرن الـ ١٨ وطالبت بنشر العلم والثقافة بين سواد الشعب، وإلغاء الحواجز بين بني إسرائيل وسائر الشعوب، وكان من أهم نتائجها إحياء اللغة العبرية كلفة كتابة وتخاطب.
- (4) البيلو : اسم مجموعة من الطلاب الذين هاجروا إلى فلسطين عام ١٨٨٢ واتخذوا لهم شعاراً من سفر أشيا ٥،٢ هو : "يا بيت يعقوب هلم فنسلك في طريق الرب . "واخذوا منه الحروف الأولى فقط.
- (5) ثيودور هرتزل : (1860-1904) مؤسس الحركة الصهيونية.
- (6) عبد المنعم، محمد فيصل ، أسرار ١٩٤٨، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة ١٩٦٨، ص ٧٨-٨٢ .
- (7) للأدب العبري ثلاث تسميات نو دلالات مختلفة :
- الأدب العبري : يقصد به كل الأعمال المكتوبة حتى وقتنا الحاضر بواسطة اليهود باللغة العبرية أو اللغة الآرامية .
- الأدب اليهودي : يشمل كل الأعمال التي كتبت بواسطة اليهود عن موضوعات يهودية بصرف النظر عن اللغة التي تكتب بها .
- الأدب الإسرائيلي : انتج بعد إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، وهذا الأدب في معظمه أدب عبري وإن كان بعضه قد كتب بلغة "اليديش" ويغلب عليه الطابع العلماني .
- (8) الشامي، رشاد (دكتور)، عالم الفكر، العدد الثالث، ١٩٩٦، ص ١٠ .
- (9) الهجرة الثالثة (1919 - 1923)
- الهجرة الرابعة (1924-1926)، وهي هجرة أبناء الطبقة المتوسطة من الصهيونيين.
- الهجرة الخامسة (من عام ١٩٢٩ فصاعداً خاصة تلك التي جاءت من ألمانيا.
- (10) مقولة الشعب اليهودي، مقولة معاداة السامية أو العداء البشري لليهود، مقولة الملكية التاريخية للأرض العربية في فلسطين.
- (11) صميذة . محمود دكتور، استراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر، أبوظبي، ١٩٨٨، "المقدمة" بقلم إبراهيم البحراوي دكتور، ص ١١ .
- (12) ولد الكاتب والقصصي العبري موشيه سميلانسكي في الاتحاد السوفيتي سنة ١٨٧٤، وتوفي في تل أبيب سنة ١٩٥٢، هاجر إلى البلاد سنة ١٨٩٠ له عدة مؤلفات، وكثير منها يدور حول حياة الفلاحين العرب واليهود . كان من بين المؤيدين لتقسيم البلاد بين العرب واليهود . من بين مؤلفاته : في حقل أوكرانيا، بين كروم يهودا، بعث وكارثة، آلام الولادة، في ظل البيارات.
- (13) Domb. Risa : The Arab in Hebrew prose (1911-1948) London, Vallintine Mitchell, P 23-25.
- (14) ولد الكاتب العبري شموئيل يوسف عجنون في شمال النمسا سنة ١٨٨٨، وتوفي في مدينة القدس سنة ١٩٧٠ هاجر إلى فلسطين سنة ١٩٠٨ ويعتبر عجنون من عمالقة الأدب العبري . كتب العشرات من القصص والروايات ونال عدة جوائز أهمها جائزة نوبل سنة ١٩٦٦، كما منح لقب دكتوراه الشرف في الجامعة العبرية سنة ١٩٥٨، وتنعكس في مرآة أدب عجنون حياة اليهود ومشاكلهم . وله أيضاً لون آخر من الأدب هو أدب الأسطورة . وفي كثير من إنتاجه الأدبي نرى تأثير أسلوب التوراة بارزاً.
- (15) دومب بريزا : «سورة العربي في الأدب اليهودي ١٩١١-١٩٤٨» ترجمة توفيق عطاري، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٩٠، ص ٤٩ .
- (16) حزين . صلاح : الشخصية العربية في الأدب الإسرائيلي ، مشارف دورية، دار مشارف للنشر رام الله، دار عربسك للنشر حيفا، العدد (7)، مارس، ١٩٩٦، ص ١٢١ .
- (17) حاييم هزاز : ولد في أوكرانيا بروسيا عام ١٨٩٨، وجاء إلى فلسطين عام ١٩٣١، وتوفي في مارس ١٩٧٣ كتب عدة روايات صورت بدقة حياة يهود اليمن ومنها رواية "ياعيش" و"الساكنة في الحدائق" (1944) كذلك كتب عدة مسرحيات عن الخلاص المسيحاني مثل "نهاية الأيام" (1950) ومن أعماله التي تتناول فترة الانتداب البريطاني في فلسطين " (1942) رحي متحطمة" و"أحجار فائدة" (1946) و"المعزة"، وعدداً كبيراً من القصص القصيرة التي تعكس نوعاً من التوتر والقلق الناتج عن خوفه من انهيار القيم اليهودية وضياعها .

(18) ولد يعقوب رابينوفيتش في "فولكوفيسك" في ليتوانيا، في عائلة دينية. ثم ذهب إلى سويسرا لدراسة الآداب الألمانية والفرنسية والسكندنافية، استقر في فلسطين عام ١٩١٠، حيث التزم بالعمل مع حزب "هابوعيل هاتسعير"، وأصبح واحداً من الكتاب الدائمين في مجلته الأدبية، كما كتب في مجلات أخرى.

(19) المقتطفات بين الأقواس موجودة في كتاب ريزا دومب، المصدر السابق، ص ١٢٦-١٢٨.

(20) ريزا دومب، المصدر السابق، ص ٢٨.

(21) ريزا دومب، المصدر السابق، ص ٢٩.

(22) أحاد هعام : معناه واحد من الشعب، وهو اسم شهرة لقب به الروائي "أشير جينز برج"، فيلسوف الصهيونية الثقافية، وهو من أشهر الكتاب والمفكرين في الأدب العبري.

(23) يوتوبيا : كلمة يونانية تعني المدينة الفاضلة.

(24) دومب. ريزا (دكتورة)، المصدر السابق، عمان، ص ٥.

(25) دومب. ريزا (دكتورة)، المصدر السابق، عمان، ص ١٢٥.

(26) Domb. Risa : Op. P 96.

(27) ولد اسحاق شامي في مدينة الخليل بفلسطين في عام ١٨٨٨، وتوفي في حيفا عام ١٩٤٩. أصدر شامي كتابه الأول عام ١٩٠٧ بعنوان "العاقرة". اهتم في كتاباته بوصف حياة يهود الشرق. من مؤلفاته "انتقام الآباء" و"ست قصص". يعتبر من أكثر كتاب الأدب العبري الفلسطيني الذين كتبوا عن العرب شهرة حتى قيام دولة إسرائيل.

(28) Domb. Risa : Op, P 43

(29) إسرائيل زارحي : ولد في بولندا حيث تلقى تعليماً دينياً وعلمانياً، هاجر إلى فلسطين. كان غزير الإنتاج، وخلال السنوات الخمس عشرة من إبداعه، نشر أربعة عشر كتاباً أدبياً، منها ست روايات طويلة موضوع رواياته هو الصعوبات التي واجهت المهاجرين اليهود في سعيهم للاندماج. وإلى جانب ذلك فقد اهتم بموضوعين آخرين : العلاقة الخاصة بين الرجل والمرأة، والثاني القدس. هذان الموضوعان يظهران في "قرية سلوان".

(30) Domb : Op, P 99.

(31) شامي. اسحق : انتقام الآباء. تل أبيب ١٩٢٨.

(32) المصدر السابق، ص ٤٩-٧٢.

(33) ريزا دومب، المصدر السابق، ص ٤٠.

(34) أوريان. دان : شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي (باللغة العبرية)، منشورات "أورعام"، ١٩٩٦، ص ١٠.

(35) شلحت. أنطوان : زحزحة بعض القيم، مشارف دورية العدد ١٣، يناير ١٩٩٧، ص ٩٩.

(36) شلحت. أنطوان : المصدر السابق، ص ١٠٠.

(37) دان أوريان : محاضر في قسم المسرح جامعة تل أبيب بكلية "أورانيم". درس في الجامعة العبرية في القدس وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة بلجيكا، نشر مقالات ومؤلفات في البحث المسرحي وفي التربية للمسرح.

(38) أوريان. دان : المصدر السابق ص ٢٩.

(39) شلحت. أنطوان، المصدر السابق، ص ١٠١.

(40) أوريان. دان، المصدر السابق، ص ٣٠-٣١.

(41) السعد. جودت : الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١، ص ٣٠.

(42) ولد بيالك عام ١٨٧٣ في قرية رادي بمقاطعة فولهينيا الروسية، وتمثلت في حياته كل صور الحياة اليهودية التقليدية التي سادت "الجيتو" اليهودي الواسع في روسيا. وفي عام ١٨٩١ اتجه إلى أوديسا حيث تعرف على الزعماء الفكريين للإحياء القومي العبري. سعى للحفاظ على التراث العبري الكلاسيكي لكي يضعه في خدمة الإحياء القومي، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٥ وساهم في تأسيس الجامعة العبرية. وتوفي سنة ١٩٣٤ ودفن في تل أبيب.

(43) بياليك. حايم نحماني : قصيدة منبت الشعر، ضمن المجموعة الكاملة لأعمال بياليك، تل أبيب، الطبعة الأولى، ١٩٣٨.

(44) بتاريخ 4/1948، نفذت عصابات "الاتسل وليحي" مذبحاً في بلدة دير ياسين العربية، الواقعة على مشارف القدس. حيث قتل ٢٥٤ عربياً، معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ.

(45) شفيق ناظم الغبرا، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، العدد ١٢٣، يناير ١٩٩٦، صفحة ٥٨.

(46) الأدب المجند : الالتزام بالبعد عن إبراز أي نوع من التناقض بين الأيدلوجية الصهيونية وبين تجربة الفرد في واقع الحياة.

(47) شاكيد. جارشون : الأدب النثري العبري من (1880-1980)، الجزء الثالث، الأدب الحديث بين الحربين، دار نشر هاكيوتس هام أحاد، ص ٢٠٨-٢١٠.

(48) ولد يزهار سميلانسكي في رحوبوت سنة ١٩١٦، يعمل محاضراً في الجامعة العبرية في القدس. اشترك في حرب عام ١٩٤٨، وكان ضابط الاستخبارات للمنطقة الوسطى. وكان لهذه الحرب وقع شديد عليه؛ ويظهر ذلك في أدبه. وهو يعتبر من أعمدة الأدب العبري الحديث. له عدة مؤلفات منها: في أطراف النقب (1945)، قافلة منتصف الليل (1950)، الغاية في التلة (1943)، أيام تسكج (1958)، أربع قصص (1950)، قصص السهل (1964)، بأقدام عارية (1959)، ست قصص صيف (1950).

(49) العريوش أو عربوش كلمة استهزاء وسخرية يطلقها اليهود على العرب.

(50) سميلانسكي يزهار: خربة خزعة، سبع قصص، دار نشر "هكبوتس همتوحاد"، تل أبيب، ١٩٧٧، الطبعة الثانية، ص ٥٥.

(51) المصدر السابق، ص ٨٥.

(52) ولد يوسف أريخا عام ١٩٠٧ في أولفنسك بأوكرانيا، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٥ وعاش فيها حتى عام ١٩٢٩ حيث رحل إلى الولايات المتحدة واستمر هناك حتى عام ١٩٣٢ ثم عاد إلى تل أبيب مرة أخرى ورأس بلديتها حتى توفي عام ١٩٧٢.

(53) أريخا يوسف: قصص عبرية من حياة العرب، دار نشر عوفيد، تل أبيب، ١٩٦٣، ص ٢٣٠.

(54) ولد مردخاي طيب عام ١٩١٠، نشر قصته الأولى عام ١٩٤٧ في مجلة "عتيم". من أبناء الطائفة اليهودية اليمنية، ولذا فقد جاهد كثيراً من أجل شق طريقه في مجال الإنتاج الأدبي، يكتب الشعر ولكنه تميز كقصاص. من أعماله الكبرى: رواية "مثل عشب الحقل 1948"، ورواية "المنبؤ 1957".

(55) طيب، مردخاي: طريق ترابي، دار نشر عوفيد، الطبعة التاسعة، ١٩٧٠، ص ١٥.

(56) سميلانسكي يزهار: المصدر السابق، ص ٣٧.

(57) ولد ناتان شاحم عام ١٩٢٥ في تل أبيب وخدم في "البلاخ" سرايا الصاعقة ثم في الجبهة الجنوبية أثناء حرب ١٩٤٨ وبعد ذلك أصبح عضواً في الكيبوتس "بيت الفا" وله إنتاجات أدبية كثيرة في مجال الرواية والمسرحية والقصة القصيرة يصف من خلالها حياة الكيبوتس.

(58) أريخا يوسف، المصدر السابق، ص ٢٤٢.

(59) المصدر السابق، ص ٣٤٥.

(60) اسحاق أورباز: ولد سنة ١٩٢٣. درس في مستوطنة "مئير شفية". ما بين السنوات ١٩٤٨-١٩٦٣. درس في جامعة تل أبيب. بدأ بنشر إنتاجه الأدبي منذ سنة ١٩٤٨. أول مجموعة قصصية له صدرت عام ١٩٥٩ بعنوان "عشب بري". أما روايته جلد من أجل جلد (فقد نالت جائزة أدبية كبرى سنة ١٩٦٣).

(61) أريخا يوسف، المصدر السابق، ص ٣٣٩.

(62) المصدر السابق، ص ١٦٤.

(63) عالم الفكر، المجلد الرابع والعشرون، العدد الثالث، يناير/مارس ١٩٩٦، ص ١٢١.

(64) ولد أشير براش في جاليسيا عام ١٨٨٩، وهاجر إلى فلسطين عام ١٩١٤ حيث عمل بتدريس اللغة العبرية وآدابها. بدأ حياته الأدبية بكتابة عدة قصائد شعرية ومجموعة قصصية باليديش ثم تحول بعد ذلك إلى الكتابة باللغة العبرية. كتب عدة قصص من واقع الحياة اليهودية في جاليسيا كما كتب أيضاً عن حياة مهاجري الموجه الثانية في فلسطين.

(65) أريخا يوسف، المصدر السابق، ص ١٢٤.

(66) ولد أهورن ميجد سنة ١٩٢٠ في بولندا. نزح مع أهل سنة ١٩٢٦ إلى البلاد واستوطنوا رعانا. كتب في عدة صحف وله عدة مؤلفات، أشهرها "الحي أفضل من الميت" (1970).

(67) أريخا يوسف، المصدر السابق، ص ٣٠٩.

(68) يوسف حناني: كاتب يهودي ولد في فيلنا عام ١٩٠٨، وانتقل إلى فلسطين عام ١٩٢٥ ومنذ ذلك الوقت كانت كتاباته عن الحياة في فلسطين، ومن أهم أعماله مجموعة قصصية بعنوان "في طريق الأحزان 1931".

(69) أريخا يوسف، المصدر السابق، ص ٢٢٠.

(70) المصدر السابق، ص ١٢٦.

(71) شلحت أنطوان، المصدر السابق، ص ٩٩.

(72) الشامي رشاد (دكتور)، عجز النصر، المصدر السابق، ص ١٤٣.

(73) المصدر السابق، ص ١٣٧-١٣٤.

(74) أ. ب. يهوشوع: في مواجهة الغابات، ضمن مجموعة تسع قصص، دار هكبوتس همتوحاد، تل أبيب، ١٩٧٢.

(75) ولد أ. ب. يهوشوع سنة ١٩٣٦، يعتبر اليوم من ألمع الأدباء العبريين. له عدة مؤلفات منها العاشق، مقابل الغابات. وقد صدرت له أيضاً خمس كتب في الولايات المتحدة آخرها (الجلء الأخير).

- (76) ولد الكاتب عاموس عوز سنة ١٩٣٩ ، منذ سنة ١٩٥٣ يسكن كيبوتس حولاه .في المراحل الأولى من إنتاجه الأدبي نرى أنه كانت عنده ميول يمينية .اما في السنوات الأخيرة فقد حدث تحول في مسيرته الشخصية وأصبح ذا ميول يسارية . واليوم يعتبر من مؤسسي حركة السلام الآن . له عدة قصص ومقالات منها : بلاد بنات آوى، ميخائيل خاصتي، هنا وهناك في أرض إسرائيل، وفي الضوء الأزرق القوي .
- (77) عوز .عاموس :بلاد بنت آوى، برزيل .هيلل، ست كتب ١٦ قصة، دار نشر يحيدين احود موتسئيم، ١٩٧٢، ص ٢٨ .
- (78) المصدر السابق، ص ٢٢-٢٣ .
- (79) ولد موشيه شمير في مدينة صفد سنة ١٩٢١ . وبعد سنة واحدة من ميلاده انتقل والديه إلى تل أبيب . بعد حرب ١٩٦٧ أصبح من مؤيدي أرض إسرائيل الكبرى . وفي سنة ١٩٧١ انضم إلى طاقم جريدة معاريف . وانتخب عضوا للكنيست الإسرائيلية في قائمة التكتل سنة ١٩٧٧، ولكنه استقال من الكنيست على أثر الانسحاب من سيناء، وأصبح أحد مؤسسي حزب هتحياء النهضة وهو يعتبر اليوم من اليمين الإسرائيلي المتطرف .
- (80) شامير .موشيه :حياة شعب إسماعيل، تل أبيب، ١٩٦٨، ص ١٨٢-١٨٣ .
- (81) الشامي :رشاد (دكتور)، عجز النصر المصدر السابق، ص ١٦٥ .
- (82) لفين .حانوح :ما شأن العصفور ما إخبث لتسبور، دار نشر "سيمان قرينا"، و"هاكبوتس همئوحاد"، و"موعادون هسيفر هعبري"، تل أبيب، ١٩٨٧، ص ١٣ .
- (83) الشامي .رشاد دكتور عجز النصر ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ .
- (84) وزارة الإعلام، الهيئة العامة للاستعلامات، نظرات على انتصارات العسكرية الوطنية المصرية.
- (85) ولد ايهود بن عيزر في مدينة بيتح - تكفا ملبس سنة ١٩٣٦ . يكتب في صحيفة هآرتس الصباحية . له عدة روايات وقصص أطفال ومقالات في النقد والشعر.
- (86) بن عيزر ايهود، افرات، دار نشر مدن مفعالي، تل أبيب، الطبعة الأولى، ١٩٧٨، ص ١٩ .
- (87) المصدر السابق، ص ١٩ .
- (88) يهوشوع أ .ب.، العاشق، تل أبيب، ١٩٧٨، ص ٢٤٨ .
- (89) المصدر السابق، ص ٢٧٨ .
- (90) شلحت أنطوان، المصدر السابق، ص ٩٩ .
- (91) أوريان دان، المصدر السابق، ص ٤٣ .
- (92) صحيفة عل همشمار الصادرة بتاريخ ١-١٢-١٩٧٨ .
- (93) السعد .جودت ، الأدب الصهيوني بين الإرث والواقع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١، ص ١٣٨ .
- (94) صحيفة يديعوت أحرونوت الصادرة بتاريخ ٩-٢٢-١٩٧٨ .
- (95) صحيفة يديعوت أحرونوت الصادرة بتاريخ ١٨-٨-١٩٧٨ .
- (96) صحيفة معاريف الصادرة بتاريخ ١٥-٩-١٩٧٨ .



مختارات إسرائيلية

النشاط والأهداف

أنشئ المركز في عام ١٩٦٨ كمركز علمي مستقل يعمل في إطار مؤسسة الأهرام لدراسة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلي والقضية الفلسطينية، ثم امتد اختصاصه الى دراسة الموضوعات السياسية والاستراتيجية بصورة متكاملة. ويسعى المركز من خلال نشاطه الى نشر الوعي العلمى بالقضايا الاستراتيجية العالمية والاقليمية والمحلية، بهدف تنوير الراى العام المصرى والعربى بتلك القضايا، وايضا بهدف ترشيد الخطاب السياسى وعملية صنع القرار فى مصر.

الدوريات والمطبوعات:

- التقرير الاستراتيجى العربى: تقرير سنوى بدأ فى الصدور عام ١٩٨٦، وصدرت أولى طبعاته بالانجليزية اعتباراً من عام ١٩٩٢، ويشارك فى اصداره جميع اعضاء الهيئة العلمية فى المركز، وينقسم التقرير الى ثلاثة اقسام رئيسية: النظام الدولى والاقليمى، النظام الاقليمى العربى، جمهورية مصر العربية، الى جانب مقدمة تحليلية وعدد من الدراسات الاستراتيجية.
- كراسات استراتيجية: سلسلة صدرت اعتباراً من يناير ١٩٩١ وتصدر شهرياً باللغتين العربية والانجليزية اعتباراً من يناير ١٩٩٥، وتتوجه الكراسات الى صانعى القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام بتقديم قراءة متعمقة للتحديات الاستراتيجية التى تواجه مصر والوطن العربى، وطرح الخيارات والتصورات والسياسات البديلة لمجابهتها.
- الكتب والكتيبات: أصدر المركز منذ إنشائه عام ١٩٦٨ العديد من الكتب والكتيبات التى شملت موضوعات متعددة تتعرض لمجالات عمل المركز الرئيسية.
- «ملف الأهرام الاستراتيجى»، شهرياً باللغة العربية. اعتباراً من يناير ١٩٩٥.
- «مختارات إسرائيلية»، شهرياً باللغة العربية. اعتباراً من يناير ١٩٩٥.

عضوية المركز:

يمكن الاشتراك فى عضوية المركز التى تمنح حقوق الحصول على إصدارات المركز وأوراق الندوات وملخصات لورش العمل والحلقات الفكرية التى يعقدها المركز، وتقديرات المواقف والنشرات التى يصدرها فى لحظات الأزمات، وحضور محاضرات المركز ومؤتمره السنوى، فضلاً عن تكليف المركز بأبحاث تدرج فى خطته العلمية مع تغطية العضو لتكلفتها. قيمة رسم اشتراك العضوية سنوياً (عشرة آلاف جنيه للهيئة وخمسة آلاف جنيه للأفراد).